القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة السابعة والثلاثون العدد 12028 الأحد 05 نيسان (أبريل) 2026 – 17 شوال 1447 هـ
Volume 37 - Issue 12028 Sunday 05 April 2026

16

نور الدين صلاح الدين
عن تحالف «وطن» السوداني

36

الكُفرة الليبية:
واحات صنعت تاريخ الصحراء

38

ملحق مونديال 26:
المجد للعرب والأفارقة

اتحاد الشغل في تونس:
قيادة جديدة وتحديات
04

اقتصاد: نتنياهو وخط أنابيب
الظهران ـ عسقلان
34

يوميات الفنانين والشعراء
في الحروب الكبرى
46

الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية: حال الاستعصاء

مع تجاوزها الشهر واتساع نطاقها ليشمل قطاعات مدنية وبنى تحتية غير عسكرية ومنشآت خدمية حيوية على غرار الجسور الكبرى، دخلت الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية ضد طهران في حال من استعصاء الحلول وانغلاق المخارج، سواء على أصعدة عسكرية أو تفاوضية. كذلك تواصلت الهجمات الإيرانية على الجوار الخليجي، وبات تعطيل الملاحة في مضيق هرمز عنصر تسوية وتصعيد في آن معاً. (الحدث، 6ـ15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

من القنيطرة إلى دمشق...
غضب سوري على وقع قانون إعدام الأسرى الفلسطينيين

اتسعت رقعة التظاهرات في سوريا، فيما خصّصت غالبية خطب صلاة الجمعة للحديث عن تطورات الأوضاع في غزة، وقانون إعدام الأسرى في مؤشر على تصاعد حضور القضية في الخطاب الديني والشعبي.

منهل باريش

تزامن التصعيد الإسرائيلي في ريف القنيطرة، خلال الأيام الأخيرة، مع اتساع رقعة الاحتجاجات في مدن سورية عدة، في مشهد وضع ملف الأسرى الفلسطينيين وغزة في صدارة التفاعل السوري، بين الشارع والبيانات والمواقف السياسية.

وشهد ريف القنيطرة الجنوبي، يوم الجمعة، تطورات لافتة تمثلت في استهداف مباشر من قبل الجيش الإسرائيلي داخل الأراضي السورية، في ظل تحركات عسكرية غير مسبوقة على طول الشريط الحدودي.

وأفادت مصادر محلية بمقتل الشاب أسامة فهد الفهد، البالغ من العمر 17 عاماً، إثر استهداف سيارته بقذيفة دبابة إسرائيلية في منطقة الزعرورة قرب بلدة الرفيد جنوبي محافظة القنيطرة، ما أدى أيضاً إلى إصابة عدد من الأشخاص، وسط توجه سيارات الإسعاف إلى المكان لنقل الجرحى.

وبحسب مراسلين محليين، تزامن هذا الاستهداف مع تحركات مكثفة للآليات العسكرية الإسرائيلية، ولا سيما الدبابات، في محيط القرى الحدودية، في مشهد وُصف بأنه غير مسبوق من حيث الكثافة.

وفي أول موقف رسمي سوري، دانت وزارة الخارجية والمغتربين «بأشد العبارات» ما وصفته بـ«الجريمة التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي»، والمتمثلة في استهداف سيارة مدنية بقذيفة دبابة في قرية الزبورة بريف القنيطرة، ما أسفر عن استشهاد مدني.

واعتبرت الخارجية السورية أن الاعتداء «يشكل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي الإنساني»، ويعكس استمرار «السياسات العدوانية التي تستهدف المدنيين»، مطالبة المجتمع الدولي بتحمل مسؤولياته واتخاذ إجراءات فورية لوقف الانتهاكات المتكررة.

وفي موازاة ذلك، أعاد الجيش الإسرائيلي إغلاق عدد من الطرق الحيوية في ريف القنيطرة الجنوبي، بينها الطريق الواصل بين قريتي الأصبح وكودنة، إضافة إلى طريق رويحينة المؤدي إلى الأراضي الزراعية غرب القرية، وكذلك طريق أم العظام - الشولي في ريف القنيطرة الغربي، عبر إقامة سواتر ترابية.

وترافقت هذه الإجراءات مع وصول تعزيزات عسكرية إضافية إلى المنطقة، شملت دبابات وآليات ثقيلة، وسط حالة من التوتر والخوف بين الأهالي، ومخاوف من اتساع رقعة التطورات الميدانية في الجنوب السوري.

وخلال الأسبوع، شهد ريف القنيطرة، بشقيه الشمالي والجنوبي، تطورات ميدانية متدرجة، عكست تنامياً في وتيرة التأزم على امتداد الشريط الحدودي مع الجولان المحتل، في ظل تحركات عسكرية إسرائيلية مكثفة ترافقت مع احتجاجات لافتة.

فمنذ مساء الثلاثاء وحتى ليل الأربعاء، حلّق الطيران الحربي والطائرات المسيّرة التابعة للجيش الإسرائيلي بكثافة في أجواء المنطقة، بالتزامن مع إطلاق قنابل مضيئة فوق عدد من البلدات القريبة من الحدود، ما أدى إلى إنارة السماء بشكل غير مسبوق، وسط حالة من القلق والترقب بين السكان.

ولاحقاً، سُجل توتر أمني في ريف القنيطرة الأوسط، حيث أطلقت قنابل مضيئة في محيط سد أم العظام، تزامناً مع إطلاق نيران من قاعدة العدنانية القريبة، في مؤشر على تصاعد النشاط العسكري. وبحسب مراسلين محليين، لم تُسجل إصابات، غير أن حالة من الاستنفار والحذر سادت القرى المحيطة، مع استمرار التحليق العسكري.

وبالتوازي، شهد ريف القنيطرة تحركات احتجاجية، حيث توجه متظاهرون نحو المناطق المحاذية للشريط الحدودي، تنديدا بالسياسات الإسرائيلية، ولا سيما المتعلقة بالأسرى الفلسطينيين، مرددين هتافات غاضبة، بينها: «يا جولاني ويا حبيب.. اضرب، اقصف تل أبيب».

من الجامع الأموي إلى ساحات المدن

وامتدت الاحتجاجات إلى مدن سورية عدة، حيث شهدت حلب واللاذقية ودمشق ودرعا وقفات ومظاهرات حاشدة، عبّر المشاركون خلالها عن رفضهم لقانون إعدام الأسرى الذي أقره الكنيست الإسرائيلي.

وردد المحتجون شعارات مندّدة بالسياسات الإسرائيلية، من بينها: «ويك يا صلاح الدين.. دبحونا في فلسطين»، في تعبير عن اتساع حالة الغضب الشعبي والتضامن مع الفلسطينيين.

وفي أول موقف رسمي سوري، دانت وزارة الخارجية والمغتربين «بأشد العبارات» ما وصفته بـ«الجريمة التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي»، والمتمثلة في استهداف سيارة مدنية بقذيفة دبابة في قرية الزبورة بريف القنيطرة، ما أسفر عن استشهاد مدني.

واعتبرت الخارجية السورية أن الاعتداء «يشكل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي الإنساني»، ويعكس استمرار «السياسات العدوانية التي تستهدف المدنيين»، مطالبة المجتمع الدولي بتحمل مسؤولياته واتخاذ إجراءات فورية لوقف الانتهاكات المتكررة.

وفي موازاة ذلك، أعاد الجيش الإسرائيلي إغلاق عدد من الطرق الحيوية في ريف القنيطرة الجنوبي، بينها الطريق الواصل بين قريتي الأصبح وكودنة، إضافة إلى طريق رويحينة المؤدي إلى الأراضي الزراعية غرب القرية، وكذلك طريق أم العظام - الشولي في ريف القنيطرة الغربي، عبر إقامة سواتر ترابية.

وترافقت هذه الإجراءات مع وصول تعزيزات عسكرية إضافية إلى المنطقة، شملت دبابات وآليات ثقيلة، وسط حالة من التوتر والخوف بين الأهالي، ومخاوف من اتساع رقعة التطورات الميدانية في الجنوب السوري.

وخلال الأسبوع، شهد ريف القنيطرة، بشقيه الشمالي والجنوبي، تطورات ميدانية متدرجة، عكست تنامياً في وتيرة التأزم على امتداد الشريط الحدودي مع الجولان المحتل، في ظل تحركات عسكرية إسرائيلية مكثفة ترافقت مع احتجاجات لافتة.

فمنذ مساء الثلاثاء وحتى ليل الأربعاء، حلّق الطيران الحربي والطائرات المسيّرة التابعة للجيش الإسرائيلي بكثافة في أجواء المنطقة، بالتزامن مع إطلاق قنابل مضيئة فوق عدد من البلدات القريبة من الحدود، ما أدى إلى إنارة السماء بشكل غير مسبوق، وسط حالة من القلق والترقب بين السكان.

ولاحقاً، سُجل توتر أمني في ريف القنيطرة الأوسط، حيث أطلقت قنابل مضيئة في محيط سد أم العظام، تزامناً مع إطلاق نيران من قاعدة العدنانية القريبة، في مؤشر على تصاعد النشاط العسكري. وبحسب مراسلين محليين، لم تُسجل إصابات، غير أن حالة من الاستنفار والحذر سادت القرى المحيطة، مع استمرار التحليق العسكري.

وبالتوازي، شهد ريف القنيطرة تحركات احتجاجية، حيث توجه متظاهرون نحو المناطق المحاذية للشريط الحدودي، تنديدا بالسياسات الإسرائيلية، ولا سيما المتعلقة بالأسرى الفلسطينيين، مرددين هتافات غاضبة، بينها: «يا جولاني ويا حبيب.. اضرب، اقصف تل أبيب».

من الجامع الأموي إلى ساحات المدن

وامتدت الاحتجاجات إلى مدن سورية عدة، حيث شهدت حلب واللاذقية ودمشق ودرعا وقفات ومظاهرات حاشدة، عبّر المشاركون خلالها عن رفضهم لقانون إعدام الأسرى الذي أقره الكنيست الإسرائيلي.

وردد المحتجون شعارات مندّدة بالسياسات الإسرائيلية، من بينها: «ويك يا صلاح الدين.. دبحونا في فلسطين»، في تعبير عن اتساع حالة الغضب الشعبي والتضامن مع الفلسطينيين.

وشهدت دمشق ومحيطها مظاهرات في مخيم اليرموك ومخيمات سبينة ودنون وجرمانا والحسينية، فيما خرجت تحركات مماثلة في مدينة حلب، بما في ذلك ساحة سعد الله الجابري وجامعة حلب، إلى جانب دعوات للتظاهر في مدن أخرى مثل حماة واللاذقية.

ورفع المتظاهرون لافتات تدعو إلى نصرة الفلسطينيين وإلغاء القرار، مؤكدين الروابط الدينية والقومية بين الشعبين، ومشددين على مركزية المسجد الأقصى في الوجدان العربي والإسلامي، في حين استحضر بعض المشاركين تجارب الاعتقال في سوريا، في إسقاط مباشر على معاناة الأسرى الفلسطينيين.

وفي يوم الجمعة، اتسعت رقعة التظاهرات في سوريا، فيما خصّصت غالبية خطب صلاة الجمعة للحديث عن تطورات الأوضاع في غزة، وقانون إعدام الأسرى الذي أقره الكنيست الإسرائيلي، في مؤشر على تصاعد حضور القضية في الخطاب الديني والشعبي.

وشهدت العاصمة دمشق أبرز هذه التحركات، حيث انطلقت تظاهرات من محيط الجامع الأموي، وردد المشاركون هتافات داعمة للمقاومة، في تعبير عن حالة الاحتقان والتضامن مع الفلسطينيين.

كما نُظمت وقفة تضامنية في ساحة الأمويين وسط دمشق، رفع خلالها المشاركون شعارات تندد بالسياسات الإسرائيلية وتدعو إلى نصرة غزة والأسرى.

من زاكية إلى درعا..
السلاح يدخل على خط الغضب

ولم يتوقف التفاعل عند الساحات، بل انتقل أيضاً إلى أوساط تحمل السلاح، مع ظهور بيانات مصورة لمسلحين محليين حملت رسائل تتجاوز الاحتجاج إلى التهديد الصريح.

وفي هذا السياق، خرجت كتيبة من الفرقة 60 في حلب، ليل الخميس، في مظاهرة راجلة تهتف ضد إسرائيل وتتوعدها، فيما تظاهر، يوم الجمعة، مقاتلون من الفرقة 54، في مؤشر على أن موجة الغضب من قضية الأسرى وغزة لم تعد محصورة في المجال الأهلي والمدني، بل امتدت أيضاً إلى تشكيلات عسكرية محلية.

وفي تطور متصل، تداول ناشطون عبر وسائل التواصل الاجتماعي تسجيلاً مصورا يعود لمجموعة من أبناء مدينة زاكية في ريف دمشق، ظهروا فيه ملثمين، باستثناء شخص واحد كان مسلحاً، حيث وجّه أحد المتحدثين رسالة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، حذّر فيها من استمرار ما وصفه بـ«العدوان على الأراضي المقدسة»، مطالباً بالإفراج عن الأسرى، ومتوعداً بالتصعيد في الجنوب السوري وإعلان المواجهة في حال عدم التراجع.

وفي التسجيل ذاته، قدّم متحدث ثانٍ نفسه على أنه من أبناء المدينة، معلناً «اتحاد» المشاركين ووقوفهم إلى جانب الفلسطينيين، في كلمة بدت معدّة مسبقاً، شدد فيها على ما وصفه بواجب نصرة الأسرى، وتضمنت دعوات إلى «النفير العام» ومناشدات للمسلمين في مختلف أنحاء العالم للتحرك.

وفي متابعة للتحقق من التسجيل، تقصّت «القدس العربي» هوية الأشخاص الظاهرين فيه، وتبيّن أنهم من أبناء مدينة زاكية، ومن مقاتلي «لواء العاديات» السابق، وهم معروفون لدى الأهالي في المنطقة.

كما تواصلت الصحيفة مع الناطق للبيان المصور، مجد نور الدين، وهو ناشط محلي، حيث أكد صحة البيان المنسوب للمجموعة، محذّراً في الوقت ذاته من «استثمارات مغرضة» تقوم بها بعض الجهات المحسوبة على «حزب الله» اللبناني، على حد تعبيره.

وعزا نور الدين، في اتصال مع «القدس العربي»، صدور البيان إلى ما وصفه بـ«الحمية والنخوة والغيرة على الدين والعرض والأراضي المقدسة»، إضافة إلى التضامن مع غزة والأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، الذين يواجهون خطر الإعدام بموجب القانون الجديد.

وفي السياق نفسه، أصدر مسلحون ملثمون بيانات في الطبية قرب الكسوة بريف دمشق، وآخرون في جب الصفا بريف درعا، توعدوا فيها إسرائيل ورئيس حكومتها بنيامين نتنياهو، وطالبوا بالإفراج عن الأسرى.

حماس تحيي التحركات السورية

وفي هذا المناخ، التقطت «حماس» الإشارات السورية سريعاً، وتعاملت معها بوصفها تطوراً سياسياً وشعبياً يتجاوز حدود التضامن العابر.

فقد وجّه المتحدث باسم كتائب «القسام»، الجناح العسكري لحركة «حماس»، أبو عبيدة، تحية إلى الشعب السوري وجماهيره، على خلفية المظاهرات التي شهدتها عدة مناطق دعماً للمقاومة الفلسطينية ونصرةً للمسجد الأقصى والأسرى.

وقال أبو عبيدة، في منشور عبر قناته على «تليغرام» مساء الأربعاء، إن التحية تأتي «من قلب غزة العزة، ومن بيت المقدس وأكنافه»، موجهاً كلامه إلى «شعب سوريا الأبيّ، وجماهيره التي خرجت تهتف للمقاومة، ونصرة للأقصى والأسرى».

وأضاف أن «صوت» المتظاهرين وصل إلى غزة، معرباً عن فخره بهذا التحرك، ومؤكداً أن الآمال «معقودة بعد الله على الجماهير وعلى كل الأحرار»، ومشدداً على ثقته بأن «جماهير الأمة ستلتحم يوماً وتشق طريقها لتحرير المسرى والأسرى».

وفي موازاة ذلك، دعت حركة «حماس» جماهير الشعب الفلسطيني، إلى جانب شعوب الأمة العربية والإسلامية، والأحرار حول العالم، إلى ما وصفته بـ«النفير العام»، وتنظيم مسيرات غضب وفعاليات تضامنية خلال أيام الجمعة والسبت والأحد المقبلة، دعماً للمسجد الأقصى وتضامناً مع الأسرى الفلسطينيين.

وأكدت الحركة، في بيان صحافي، أن هذه الدعوة تأتي في ظل تصاعد الانتهاكات بحق المسجد الأقصى واستمرار إغلاقه، إلى جانب تشديد الإجراءات بحق الأسرى، بما في ذلك إقرار قانون الإعدام، في خطوة اعتبرتها تصعيداً خطيراً يستدعي تحركاً شعبياً واسعاً.

اليمن: ماذا بعد انتهاء مهمة البعثة الأممية لدعم اتفاق الحُديدة؟

يرى مراقبون أن إنهاء مهمة البعثة يأتي ضمن مسار أوسع من تقليص الانخراط الأممي في الأزمة اليمنية، بينما يراه آخرون إجراءً أمميًا طبيعيًا في ظل حالة الجمود.

صنعاء ـ «القدس العربي»: أحمد الأغبري

يمثل إعلان البعثة الأممية لدعم اتفاق الحديدة «أونمها» إنهاء مهمتها وسحب فريقها الميداني بتاريخ 31 إذار/مارس المنصرم تحولًا في مسار السلام في اليمن، وقد يدخل معه البلد مرحلة خطيرة لاسيما مع تصاعد التوتر الإقليمي واقترابه من البحر الأحمر.

ويأتي إنهاء البعثة الأممية لمهمتها تنفيذًا لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 2813 الصادر في 27 كانون الثاني/يناير الماضي.

كما جاء إنهاء مجلس الأمن لمهمة البعثة الرقابة الأممية بعد تجديد ولاياتها لنحو سبع مرات، منذ إنشائها بقرار من الأمم المتحدة أواخر عام 2018 للرقابة على تنفيذ اتفاق ستوكهولم الموقع بين الحكومة اليمنيّة المعترف بها دوليًا وجماعة «أنصار الله» (الحوثيون).

وأوكل قرار الإنشاء للبعثة، التي بدأت عملها مطلع 2019، مهام مراقبة وقف إطلاق النار في محافظة الحديدة (غربي البلاد)، والإشراف على إعادة انتشار القوات، ودعم آلية تنسيق بين الطرفين لتجنب التصعيد، وتسهيل الوصول الإنساني للموانئ الحيوية.

ومنذ إنشائها لعبت بعثة «أونمها» دورا في دعم تنفيذ اتفاق الحديدة، الذي يشمل المدينة وموانئها، ضمن اتفاق ستوكهولم.

لا يعني إعلان البعثة إنهاء مهمتها انتهاء العمل ببنود اتفاق الحديدة أو اتفاقية ستوكهولم؛ إذ أن الاتفاقية ما زالت قائمة من الناحية القانونية، ولم يُعلن أي طرف من أطرافها الانسحاب منها، وإنما إنهاء الآلية الرقابية الميدانية التي كانت تشرف على مدى الالتزام ببنود الاتفاق.

كما إن إعلان انتهاء مهمة البعثة يتضمن نقل بقية مسؤولياتها لمكتب المبعوث الأممي الخاص لليمن؛ وهو ما يعني انتقال مهام دعم تنفيذ اتفاق الحديدة من العمل الميداني إلى العمل السياسي والدبلوماسي، وهو تحول قد لا يكون قادرًا على احتواء أي توتر ميداني بين طرفي الصراع في الساحل الغربي اليمني، لاسيما في ظل ردود فعل تعمل حاليًا على استنفار الطرفين لاستئناف القتال، واستغلال انتهاء مهام الرقابة الميدانية الأممية؛ ما يضع مصير الاتفاق على محك التفاهمات بين طرفي الصراع، وقدرة مكتب المبعوث الأممي على احتواء الوضع سياسيًا.

وبينما يرى مراقبون أن إنهاء مهمة البعثة يأتي ضمن مسار أوسع من تقليص الانخراط الأممي في الأزمة اليمنية، يراه آخرون إجراءً أمميًا طبيعيًا في ظل حالة «الجمود» التي استمرت لسنوات دون تحقيق إعادة انتشار حقيقي للقوات؛ وبالتالي فإن انتقال بقية مسؤوليات البعثة إلى مكتب المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى اليمن، يمثل تحولًا إجرائيًا من الرقابة الميدانية إلى العمل السياسي والدبلوماسي، خاصة عند النظر إلى ما حققته اللجنة خلال السنوات الماضية.

وعلى الرغم من كل ذلك؛ فإن الحفاظ على حالة الهدوء في الحديدة، كما هي عليه اليوم، يظل عاملًا حاسمًا لتجنب انزلاق الأوضاع في اليمن إلى جولة جديدة من التصعيد، خاصة في ظل التوترات المتصاعدة في المنطقة واقترابها من البحر الأحمر.

ومن أهم التحديات وربما الأسئلة التي طرحها الكثير عقب إعلان إنهاء مهمة البعثة الأممية هو ما يتعلق بكيفية تنفيذ الاتفاقية ومراقبتها في المرحلة المقبلة.

ويذهب أحد المحللين إلى القول إن «المرحلة المقبلة قد تفتح الباب أمام سيناريوهين متباينين؛ فإما أن تشهد دفعًا جديدًا نحو تسوية سياسية أوسع تعيد إحياء مسار السلام، أو تتصاعد المنافسة مجددًا للسيطرة على ميناء الحديدة، بما قد يعيد التوتر إلى واحدة من أكثر جبهات البلاد هشاشة».

فيما اعتبر الكاتب هاني مبارك، إعلان انتهاء مهمة بعثة الأمم المتحدة لدعم اتفاق الحديدة، يمثل تحولًا جذريًا في المشهد اليمني، ويضع الجميع أمام تساؤلات بالغة الأهمية حول ما بعد البعثة؟!

ويعتقد أنه «بانتهاء مهام البعثة، يلفظ اتفاق ستوكهولم 2018 أنفاسه الأخيرة كإطار مستقل ومراقب دوليًا وميدانيًا. وبالتالي فانتقال المهام إلى مكتب المبعوث الأممي، هانس غروندبرغ، يعني ذلك تحويل ملف الحديدة من قضية منفصلة بآليات مراقبة خاصة إلى جزء من التسوية الشاملة».

ويرى «أن البعثة كانت، رغم ضعفها، تمثل كابحا نفسيا وسياسيا يمنع الانفجار الشامل في الساحل الغربي. اليوم، ومع سحب المراقبين، تصبح خطوط التماس في الحديدة وموانئها (الحديدة، الصليف، رأس عيسى) في مواجهة مباشرة مع احتمالات التصعيد».

شبح الحرب

في الوقت الراهن، ثمة أسئلة تفرض نفسها منها: ماذا سيكون مصير تنفيذ اتفاق الحديدة بعد انتهاء مهمة البعثة الأممية لمراقبة تنفيذه؟

يرى أستاذ علم الاجتماع السياسي في مركز الدراسات والبحوث اليمنيّ، عبد الكريم غانم، أنه على الرغم من تأكيد الأمم المتحدة التزامها بمواصلة دعم تنفيذ اتفاق الحديدة إلا أن الغموض يكتنف مصير تنفيذ الاتفاق بعد انتهاء مهمة البعثة الأممية، حيث يظل دور الأمم المتحدة مطلوبا لفتح قنوات التواصل بين طرفي الصراع.

ويشير إلى «أن معظم مهام البعثة لم يتم تنفيذها، خلال فترة عملها في اليمن، لاسيما إعادة انتشار القوات العسكرية، وفتح الممرات الإنسانية».

ويقول لـ«القدس العربي»: «وعلى الرغم من استبعاد حدوث توتر أمني وعسكري، في مناطق التماس أو ازدياد حدوث خروقات عسكرية، تتعكس سلبًا على تدهور الوضع الأمني في المنطقة، جراء غياب الرقابة الميدانية التي كانت تمثل عنصر توازن بين طرفي الصراع، إلا إن انتهاء عملية البعثة قد يدخل الملف اليمني في حالة جمود، تعيق التوصل إلى حلول، الأمر الذي يجعل شبح الحرب قائما».

ويرى أنه «لتفادي انزلاق الأطراف اليمنية إلى مربع التصعيد العسكري، في هذه المرحلة الحساسة، مع اقتراب التوتر الإقليمي المتصاعد من البحر الأحمر، من المهم نقل مهام البعثة الأممية لدعم اتفاق الحديدة إلى مكتب المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى اليمن، وتعزيز الدور السياسي له، لتعويض غياب البعثة الأممية، واحترام الآليات التي تتبعها الأمم المتحدة لتفتيش السفن القادمة إلى موانئ الحديدة».

ويعتقد عبد الكريم غانم أن «إنهاء مهمة البعثة الأممية لتنفيذ اتفاق الحديدة يمكن أن يكون في سياق تقليص الانخراط الأممي الميداني في اليمن، إذ من المتوقع أن يتركز الانخراط الأممي في اليمن بالدور السياسي، وتقليص التدخلات الميدانية والأدوار الإنسانية في ظل ارتفاع المخاطر التي يواجهها العاملون في مكاتب الامم المتحدة داخل اليمن، لاسيما في مناطق سيطرة أنصار الله، واتساع رقعة الأزمات في العالم».

ويرجّح أن «العامل الأبرز وراء إنهاء مهمة هذه البعثة هو اخفاقها في تحقيق أبرز أهدافها، لاسيما إعادة الانتشار وفتح الحواجز القائمة أمام المساعدات الإنسانية. فمنذ الأسابيع الأولى بدأ تعثر تنفيذ اتفاق ستوكهولم، الذي تأسست هذه البعثة بهدف تنفيذه».

ويضيف:»وعلى الرغم من انتهاء مهمة البعثة إلا إن اتفاق ستوكهولم سيظل يراوح مكانه، ولا خوف من حدوث أي تطورات متعلقة بانتهاء البعثة، فهذا الاتفاق ولد ميتا» حد تعبيره.

مما سبق فإن إنتهاء عمل البعثة الأممية للرقابة الميدانية لدعم اتفاق الحديدة يقدر ما يمثل تحولًا في مسار الأزمة اليمنيّة إلا أنه قد لا ينجم عنه تطورًا عسكريًا يُعيد الأوضاع إلى نقطة الصفر؛ وبالتالي فما بعد انتهاء عمل البعثة لن يكون كما قبلها ولن يعود إليها، إلا في سياق تحولات إقليمية ودولية؛ وهو ما قد يقترب منه في التصعيد الإقليمي الراهن، وقد لا يكون.

أزمة الإسلاميين والسلطات في الأردن:
بعد تغيير إسم الحزب... هل تفتح صفحة جديدة؟

المراقبون السياسيون في حالة شغف للتجربة غير المسبوقة التي وجد الإسلاميون أنفسهم في مفارقتها بعنوان ابتكار إسم جديد للحزب يخلو من أي دلالة أو رمزية دينية.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

حتى اللحظة لم يقرر التيار الإسلامي الأردني ملامح الإسم الجديد الذي سيختاره لأكبر أحزاب المعارضة في البلاد ولا يتضمن لأول مرة في تاريخ الحركة الإسلامية المحلية مفردة «الإسلامي» أو «الإسلامية».

وفي انتظار تحديد الإسم الجديد الذي سيختار بالتأكيد بعناية فائقة يمكن القول إن المراقبين السياسيين في حالة شغف لهذه التجربة الفريدة غير المسبوقة والتي وجد الإسلاميون أنفسهم في مفارقتها بعنوان تحديد وابتكار إسم جديد للحزب العريق يخلو من أي دلالة أو رمزية دينية.

السيناريوهات المقترحة للإسم متعددة.

حزب آخر غير إسمه قبل أشهر واختطف مفردة «الإصلاح الوطني» وهي الصيغة التي يفضلها نشطاء التيار الإسلامي بالعادة.

الاقتراحات هنا تتراوح في تجربة جديدة تماما على الإسلاميين ما بين إرسال مذكرة للسلطات تعتمد صيغة وإسم «جبهة العمل» فقط للدلالة على الامتداد ما بين الإسمين القديم والجديد أو صيغة أخرى تبتكر تماما إسما جديدا.

أصل الحكاية هنا أن حزب جبهة العمل الإسلامي المرخص كان معرضا للحل وسحب ترخيصه إذا لم يلتزم بالحاكمية القانونية التي قررتها الهيئة المستقلة لإدارة الانتخابات عندما أرسلت منذ نحو شهرين تقريبا مذكرة لحزب المعارضة الأبرز والأكثر حضورا وسط الجماهير تبلغ فيها قيادة الحزب بضرورة تغيير الإسم لأن نصوص قانون الأحزاب لا تسمح باستعمال الرموز الدينية.

سبق للإسلاميين في تجربة مضت أن اختاروا إسما جاذبا لقوائمهم الانتخابية وهو «كتلة الإصلاح الوطني»، لكن هذه الدلالة الرمزية اختطفها مبكرا حزب وسطي آخر كان إسمه قبل التغيير «الوطني الإسلامي الأردني».

في كل حال سجل مجلس شورى حزب جبهة العمل خطوة تاريخية السبت الماضي عندما تمكن جناح التكيف والبراغماتية المعتدل من طرح فكرة تغيير الإسم استجابة لما تريده السلطات للتصويت في مجلس الشورى.

حصل التصويت ونجحت التوصية بتغيير الإسم بشق الأنفس وبرجحان صوت واحد فقط لم تعرف هويته بعد، وإن كانت صحيفة «عمون» المحلية قد لمحت للقيادي البارز في التيار الإسلامي الشيخ مراد العضايلة.

خطوة تغيير الإسم محطة مهمة ليس فقط لأنها تستجيب لما تريده السلطات أو تنهي سيناريو اللجوء إلى القضاء لحل الحزب، ولكن لأن الحزب بتصويته على تغيير الإسم أظهر استجابة ديناميكية ذكية جدا سياسيا وبصيغة تسمح بالبحث في العديد من الملفات العالقة في الأزمة بين الدولة والتيار الإسلامي لاحقا.

بين تلك الملفات التوقيفات والاعتقالات التي لا تزال تبقي بعض قيادات الحركة الإسلامية خلف الأضواء.وبينها أيضا تلك الاعتبارات المرتبطة بملفات المحاكمة القائمة حاليا لمرحلة ما بعد قرار السلطات بحظر جمعية الإخوان المسلمين في شهر نيسان/إبريل من العام الماضي.

بعد عام كامل تقريبا من تعبيرات الأزمة بين التيار والمؤسسات الرسمية التي أعقبت قرار حل الجمعية الشهير يفترض أن يحصل قدر من الاسترخاء في العلاقة المتشنجة.

جزئية اتخاذ قرار شجاع من مجلس الشورى بعنوان الخضوع وتغيير الإسم قد تفيد في الهوامش بفتح النقاش الذي كان مغلقا على عدة قضايا وملفات تهم التيار الإسلامي، حيث يقفل تغيير الإسم فعلا احتمالات تأسيس حزب جديد يمثل التيار إذا ما تقبل جناح التأزيم في السلطة ضد الإسلاميين الوضع الجديد والقائم وأصبحت الظروف مهيئة لفتح صفحة جديدة.

بعد قرار حل الجمعية صودرت أملاك وتجمدت حسابات وأغلقت مقرات وجمعيات. وفي الأثناء محاكمات بتهمة غسيل الأموال وأخرى ذات طابع أمني لا يناقش الإسلاميون بها في العادة.

الانطباع بعد اتخاذ خطوة في اتجاه الخضوع لقيادة الدولة لا يمكن إنكارها، ثمة تطلعات وأصوات داخل التيار تطالب الحكومة برد التحية واظهار القدرة على إقامة حوار مع التيار على القواسم أو على التحديات التي تواجه الوطن والدولة والشعب معا كما اقترح عدة مرات الناشط النقابي الإسلامي البارز أحمد أبو غنيمة.

لم يعرف بعد موقف السلطات الرسمية من التنازل الذي يتصور الإسلاميون أنهم قدموه بالاستجابة لشروط الحاكمية القانونية.

لكن الآمال بفتح صفحة جديدة اندفعت وتدفقت وعلى الطاولة مسائل عالقة متعددة تشمل المحاكمات وبعض السجناء والأرصدة المجمدة لبعض الشخصيات وحتى بعض قرارات منع السفر.

كما تشمل التحقيقات في ملفات الدعم المالي للمقاومة الفلسطينية أو مخالفة قوانين جمع التبرعات وحتى تهمة غسيل الأموال.

تلك قضايا عالقة صحيح.لكن استقرارها لدى السلطة القضائية مريح حتى للإسلاميين عموما وجذر الاشتباك سياسي برأي الجميع فيما القضايا العالقة الأخرى يمكن أن تصبح قابلة للنقاش إذا ما طور الإسلاميون تحت قبة البرلمان خطابا تصالحيا مع الذات والدولة يخفف من التشنج التشريعي تحديدا وينعكس على مستويات المرونة التي يمكن لنواب حزب جبهة العمل إظهارها إزاء تشريعات مثيرة جدا للجدل ومطلوبة جدا الآن للحكومة. بين تلك التشريعات قانون الضمان الاجتماعي وبين أهمها القانون الجديد للإدارة المحلية.

القيادة الجديدة للاتحاد العام التونسي للشغل:
تحديات داخلية وفي العلاقة بالسلطة والأحزاب والمجتمع المدني

تدرك القيادة الجديدة جيداً أنها انتقلت من موقع المعارضة إلى موقع المسؤولية، وهو انتقال يفرض عليها تغيير أدواتها وخطابها، من دون أن تفقد روح النقد التي ميّزت تجربتها السابقة.

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

تمثل الانتخابات الأخيرة للاتحاد العام التونسي للشغل، والتي أفرزت قيادة جديدة تضم وجوهاً كانت تُحسب ضمن التيار المعارض داخل القيادة السابقة، لحظة مفصلية في تاريخ المنظمة الشغيلة، ليس فقط من حيث تغيير الأشخاص، بل من حيث التحولات العميقة التي يُنتظر أن تطال التوجهات، والأساليب، وطبيعة العلاقة مع الساحة السياسية. فهذا التحول لم يأتِ في فراغ، بل هو نتيجة تراكمات داخلية، وضغوط خارجية، وتطورات فرضت نفسها على المشهد النقابي في تونس خلال السنوات الأخيرة.

ترتيب البيت الداخلي

تم انتخاب أعضاء المكتب التنفيذي الجديد للاتحاد العام التونسي للشغل وجميعهم عن قائمة «الثبات والتحدي» التي قادها صلاح الدين السالمي، وتضم القائمة صلاح الدين السالمي الأمين العام المساعد، عثمان جلولي عضو المكتب التنفيذي المتخلي، طاهر المزي البرباري الأمين العام المساعد المكلف بالقطاع الخاص. كما تضم أيضا جبران بوراوي، صلاح بن حامد، سلوان السميري، أحمد الجزيري، سليم البوزيدي، فخر الدين العويتي، وجيه الزيدي، سامية عميد الحاجي، نهلة صيادي، بولبابة السالمي، الطيب بحري ومبروك التومي.

وعكست نتائج الانتخابات رغبة واضحة داخل القواعد النقابية في التغيير، وفي إعادة ترتيب الأولويات داخل الاتحاد. فصعود قيادات كانت في موقع النقد والمعارضة يعكس حالة من عدم الرضا عن أداء المرحلة السابقة، سواء من حيث إدارة الشأن الداخلي، أو من حيث التعاطي مع الملفات الاجتماعية والاقتصادية، أو حتى من حيث طبيعة العلاقة مع السلطة. ويحمل هذا التحول في طياته رسالة مزدوجة، فهو من جهة، دعوة إلى الإصلاح والتجديد، ومن جهة أخرى، تحميل للقيادة الجديدة لمسؤولية كبيرة في تحقيق هذه التطلعات.

هناك شبه إجماع على أن ملامح مرحلة جديدة بدأت داخل الاتحاد منذ الإعلان عن النتائج، والعنوان الأبرز لهذه المرحلة هو محاولة إعادة بناء الثقة، سواء بين القيادة والقواعد، أو بين الاتحاد وبقية الفاعلين في الساحة الوطنية. والقيادة الجديدة، وبحسب التصريحات الصادرة يبدو أنها تدرك جيداً أنها انتقلت من موقع المعارضة إلى موقع المسؤولية، وهو انتقال يفرض عليها تغيير أدواتها وخطابها، من دون أن تفقد في الوقت نفسه روح النقد التي ميّزت تجربتها السابقة.

في هذا السياق، يُتوقع أن يكون أول رهانات القيادة الجديدة هو ترتيب البيت الداخلي ومحاولة إعادة البريق الذي افتقده الاتحاد في السنوات القليلة الأخيرة. فالخلافات التي كانت قائمة داخل الهياكل القيادية لم تختفِ بمجرد إجراء الانتخابات، بل قد تستمر بأشكال مختلفة. ولذلك، فإن نجاح القيادة الجديدة سيتوقف إلى حد كبير على قدرتها على إدارة هذه التباينات، وخلق نوع من الانسجام الداخلي، يسمح لها بالتحرك بفعالية على المستوى الوطني. وهذا يتطلب اعتماد مقاربة تشاركية، تقوم على إشراك مختلف الحساسيات النقابية، وتجنب منطق الغلبة أو الإقصاء.

التهدئة الحذرة والتصعيد المحسوب

أما عن مستوى العلاقة مع السلطة، فإن المشهد يبدو بالفعل مفتوحاً على عدة احتمالات متباينة، تتراوح بين التهدئة الحذرة والتصعيد المحسوب، تبعاً لطبيعة التفاعل بين الطرفين في المرحلة القادمة. فالقيادة الجديدة للاتحاد، التي جاءت في سياق داخلي اتسم برغبة واضحة في التغيير، تبدو واعية بأن أحد أهم مفاتيح نجاحها يكمن في قدرتها على إعادة صياغة هذه العلاقة على أسس أكثر وضوحاً وتوازناً. ومن المرجح أن يكون عنوان هذه المرحلة هو البحث عن معادلة دقيقة تقوم على الاستقلالية الفعلية دون الانزلاق إلى القطيعة، وعلى التعاون من دون الوقوع في التبعية. فالنظمة الشغيلة، بحكم تاريخها الطويل ودورها المتجذر في الحياة الوطنية، لا يمكن أن تقبل بأن تتحول إلى مجرد ملحق من ملحقات السلطة أو أداة من أدواتها. هذا المعطى يكاد يكون من الثوابت التي يصعب التراجع عنها، ليس فقط من منطلق مبدئي، بل أيضاً لأن القواعد النقابية نفسها أصبحت أكثر حساسية تجاه مسألة الاستقلالية، وأكثر ميلاً إلى محاسبة قياداتها على هذا الأساس.

وبالمقابل، وبحسب ما تؤكده أطراف قريبة من منظمة حشاد، فإن القيادة الجديدة تدرك جيدا أن الدخول في حالة صدام دائم مع السلطة قد تكون له كلفة مرتفعة، خاصة في ظل هشاشة الوضع الاقتصادي والاجتماعي، حيث يمكن لأي توتر حاد أن ينعكس سلباً على الاستقرار العام، وربما على مصالح الشغالين أنفسهم مع سياسة القبضة الحديدية التي تنتهجها السلطة.

وانطلاقاً من هذا الوعي المزدوج، يُرجح أن تتبنى القيادة الجديدة مقاربة يمكن وصفها بـ«الضغط المسؤول»، وهي مقاربة تقوم على الجمع بين الصلابة في الدفاع عن الحقوق والمرونة في إدارة الخلافات. فالاتحاد، وفق هذا التصور، لن يتخلى عن أدواته النضالية التقليدية، مثل الإضرابات أو التحركات الاحتجاجية، لكنه لن يلجأ إليها إلا في إطار محسوب، وبعد استنفاد إمكانيات الحوار والتفاوض. وفي المقابل، سيحرص على إبقاء قنوات التواصل مفتوحة مع مختلف مؤسسات الدولة، سواء على المستوى الرسمي أو غير الرسمي، بما يسمح بإدارة الملفات الاجتماعية بطريقة تدريجية وتراكمية.

هذه المقاربة، إذا ما تم تطبيقها بذكاء، قد تُمكن الاتحاد من استعادة موقعه كفاعل مركزي في المعادلة الاجتماعية، لا كطرف معارض بشكل مطلق، ولا كشريك صامت، بل كقوة اقتراح وضغط في آن واحد. فهي تتيح له أن يكون حاضراً في طاولة التفاوض، ومؤثراً في صياغة السياسات الاجتماعية، من دون أن يفقد في الوقت نفسه قدرته على التعبئة والدفاع عن منظوريه. كما أنها قد تساعد على إعادة بناء قدر من الثقة مع السلطة، وهي ثقة تضررت في مراحل سابقة بفعل التوترات المتكررة وسوء إدارة بعض الملفات.

غير أن هذه المعادلة، رغم ما تحمله من توازن نظري، تبقى في الواقع هشّة وقابلة للاهتزاز في أي لحظة. فنجاحها لا يتوقف فقط على نوايا القيادة النقابية، بل يرتبط أيضاً بدرجة استعداد السلطة للتفاعل الإيجابي مع هذا التوجه. فإذا ما اختارت السلطة الانفتاح، وأبدت مرونة في التعاطي مع المطالب الاجتماعية، فإن ذلك قد يفتح المجال أمام مرحلة من التعاون الحذر، تقوم على تبادل التنازلات وتحقيق مكاسب تدريجية. أما إذا تتطلب عملا دؤوبا، وقدرة على التكيف، وحسا عاليا بالمسؤولية. فالمرحلة التي تمر بها تونس لا تحتمل المغامرات، بل تحتاج إلى قيادة نقابية واعية، تدرك حجم التحديات، وتعمل على تحويلها إلى فرص في إطار من الحوار والتوافق والدفاع المشروع عن حقوق الشغالين.

أفق الرعاية الصينية
لمساعي لجم النزاع بين كابول واسلام آباد

ليس سهلا خفض التصعيد ثم التقدم نحو التهدئة. تطالب إسلام آباد بضمانات موثقة من كابل تضمن عدم استخدام الأراضي الأفغانية من قبل جماعة «تحريك طالبان باكستان» لشن هجمات عبر الحدود.

وسام سعادة

اقصت الحرب في الشرق الأوسط المواجهة الباكستانية – الطالبانية عن مركز الضوء والمتابعة. مع ذلك فما صنفته حكومة اسلام آباد «حرباً مفتوحة» مع النظام الإسلامي المتشدّد الحاكم في أفغانستان منذ الانسحاب الأميركي عام 2021 لا تزال مستمرة، وقد سبق التصعيد فيها بدء الهجمات الأميركية – الاسرائيلية على ايران بأيام قليلة. في 22 شباط/فبراير وبعد أشهر من الخشونة بين الجانبين، أقله منذ تشرين الأول/أكتوبر 2025، شنت القوات الجوية الباكستانية غارات مكثفة استهدفت ما اعتبرته معسكرات ومخابئ للفرع الباكستاني من طالبان في ولايات ننغرهار وباكتيكا وخوست ردا على هجمات ارهابية من جماعة تحريك طالبان هذه داخل أراضيها. أطلقت باكستان ما أسمته عملية «غضب للحق»، ووسعت ضرباتها لتشمل أهدافاً في كابول وقندهار، بما في ذلك قاعدة بجرام الجوية. فردت قوات طالبان – أفغانستان بهجوم واسع النطاق في 26 شباط/فبراير استهدف مواقع عسكرية باكستانية على طول خط ديورند، معلنة السيطرة على بعض النقاط الحدودية. كما اتهمت حكومة طالبان باكستان بقصف مركز لإعادة تأهيل مدمني المخدرات في كابول في آذار/مارس 2026، ما أسفر عن مقتل أكثر من 400 شخص، وهي تهمة نفتها باكستان مؤكدة أنها استهدفت مخزناً للذخيرة. ما كادت هدنة وجيزة بمناسبة عيد الفطر تعطي انطباعا بخفض التصعيد حتى تبادل الطرفان الاتهامات بخرقها وعادت الحرب بهمة قتالية منذ 26 اذار/مارس الماضي وانتقل الصراع إلى مرحلة استخدام الدفاعية الثقيلة وقذائف الهاون بشكل مكثف على طول خط ديورند، ووجهت طالبان مسيرتها إلى العمق الباكستاني. أساسا لا تعترف أفغانستان بهذه الحدود التي توزع شعب الباشتون بين كيانين. أما باكستان فتسعى لإنشاء شريط حدودي عازل داخل الأراضي الأفغانية لمنع تسلل المسلحين وهو ما ترفضه كابول تماما، ولا يبدو أن طالبان – أفغانستان مستعدة لطرد طالبان – باكستان من عندها، لا سيما وأنها تخشى استنفاد نطاق الزايدة الجهادية عليها، هي التي تواجه عدوا لدودا يتمثل بداعش-خراسان.

في وقت تسعى فيه اسلام آباد بالواسطة بين أمريكا وإيران، برز دور الصين التي تمتلك حدودا برية مع البلدين المتواجهين، أي ممر واخان مع أفغانستان – وهو من أقصر الحدود الدولية في العالم، والحدود مع باكستان التي تخترق جبال قراقرم. تستضيف الصين في مدينة أورومتشي ممثلي الطرفي، أي طالبان، ورغم المحادثات، أعلنت باكستان أن عمليتها «غضب للحق» ستستمر لضمان الضغط الميداني. ليس سهلا خفض التصعيد والتقدم نحو التهدئة، اذ تسعى إسلام آباد للحصول على ضمانات مكتوبة وموثقة من كابل تضمن عدم استخدام الأراضي الأفغانية من قبل جماعة «تحريك طالبان باكستان» لشن هجمات عبر الحدود. هذا في وقت يضغط فيه الاعتبار الاقتصادي على جانبي الحدود لإعادة فتح المعابر التجارية الحيوية.

العقد الاجتماعي بين قوم الباشتون وحركة طالبان

يرتبط مسار الحرب الحالية، وما إذا كانت تؤسس لاستنزاف دام ومزمن، بما آلت اليه الأوضاع في تلك المنطقة من العالم منذ نجحت طالبان في اثر الانسحاب الأميركي قبل خمس سنوات باحكام قبضتها على كامل الأراضي الأفغانية لأول مرة منذ عقود، منهية عقودا من الحروب الأهلية وحروب التدخل، إنما من دون صيانة ما يمكنه أن يمت من قريب أو بعيد بمقتضيات العقد الاجتماعي بين قوم الباشتون وحركة طالبان متجذرة فيهم وبين الطاجيك والأوزبك والهزاره. بالرغم من وجود تمثيل دبلوماسي لبعض الدول لا تزال حكومة طالبان تفتقر للاعتراف الدولي الرسمي، مما يحرمها من المقاعد الدولية ومن الأصول المجمدة (نحو 7 مليارات دولار في أمريكا). أما الخطر الداخلي، فلم تواجهه الطالبان من الفصائل التي تصدرت المشهد الأفغاني لسنوات طويلة، على خلفية الحرب ضد السوفيات والحكم الشيوعي، بل من طرف تنظيم الدولة الإسلامية فرع خراسان. حيث ينفذ هجمات دموية تستهدف الأقليات والشيعة والدبلوماسيين لتقويض شرعية طالبان الأمنية. ولم يعد خطر «داعش خراسان» محصوراً داخل أفغانستان، فقد أثبت التنظيم قدرته على التخطيط لهجمات كبرى في الخارج، مثل هجوم «كروكوس» في موسكو في اذار/مارس 2024 ومثل وهجوم كرمان في إيران، مما جعله «الفرع الأخطر» من بين الشبكات المنضوية تحت مظلة تنظيم «الدولة». تتشارك الصين مع روسيا وإيران الخشية من أن يتحول شمال أفغانستان إلى قاعدة لداعش خراسان لشن هجمات في آسيا الوسطى وداخل حدودها هي، وهو ما يدفع هذه الدول لاستمرار التنسيق مع طالبان. في المقابل، وكما تتهم باكستان حكومة كابول بإيواء جماعة التحريك والتواطؤ معهم، كذلك لم أكثر من مسؤول في طالبان بصلات بين باكستان وداعش خراسان.

الاستقرار الاقتصادي

استطاعت طالبان في سنوات عودتها لحكم أفغانستان التي تناهز الخمس الحفاظ على حد مقبول نسبيا من الاستقرار الاقتصادي للبلد الفقير، بإدارة اكتسبت سمعة انخفاض نسبة الفساد فيها. هذا بالرغم من توقف المساعدات الدولية التي كانت تشكل 75 في المئة من الميزانية. كبديل لهذه المساعدات، تركز «الإمارة الإسلامية» على إبرام عقود تعدين مع الصين، للاستفادة من ثرواتها المعدنية (النحاس، الليثيوم، الحديد) مع الصين كبديل للمساعدات.

أزمة إنسانية: لا يزال أكثر من نصف السكان يعيشون تحت خط الفقر ويعتمدون على المساعدات الغذائية المحدودة.

لا ينفصل المسعى الصيني باتجاه لجم الاحتدام بين باكستان وأفغانستان عن الرببة من دور الهند. لقد الموقف الهندي تجاه حركة طالبان من العداء التام قبل عام 2021 إلى سياسة التقارب بداعي الاستمالة التدريجية. لم تعترف الهند رسمياً بحكومة طالبان، لكنها أعادت فتح سفارتها في كابل في حزيران/يونيو 2022 تحت مسمى «فريق تقني» للاشراف على المساعدات الإنسانية – القمح واللقاحات والمعدات الطبية – وفتح قناة تواصل مع المسؤولين الأفغان، وهي خطوة اعتبرت تسهيلا دبلوماسياً لطالبان لكسر عزلتها الدولية. والهند التي تخشى ان تصبح أفغانستان ملاذاً للجماعات المسلحة التي تستهدفها، وتحديداً لعسكر طيبة وجيش محمد، لكن القلق الباكستاني من انفتاح الهند على طالبان في مقابل بقاء عدم تقييد حركة جماعة التحريك لضرب الداخل الباكستاني لا يستند على الأوهام ليس إلا. تخشى إسلام آباد من «كماشة هندية – أفغانية» تهدد الداخل الباكستاني من خلال استثارة المسألة الباشتونية على جانبي الحدود. بالتوازي، فقد سعت طالبان لتقليل الاعتماد على الموانئ الباكستانية (كراتشي وجوادر) عبر تفعيل ميناء تشابهار عندما كان مدعوما هندياً في إيران، مما يحرم باكستان من عوائد الترانزيت والنفوذ. كان ذلك هو المسار في الأعوام الأولى لعودة طالبان إلى كابول، لكن ميناء تشابهار في مقابل جوادر. لكن التقارب الهندي الإسرائيلي استفحل على حساب العلاقة بين نيودلهي وطهران. اليوم، وفي ذروة الحرب بالشرق الأوسط، تسعى بكين للاستفادة من الأزمة بين أفغانستان وباكستان، لتفعيل دورها في الأولى وتوطيد تحالفها الاستراتيجي المزمن مع الثانية. لكن هل يمكن بالفعل إيجاد حل للمسألة الباشتونية الموزعة بين بلدين مع الإبقاء على نظام الأحوال القائم في كل منهما؟ يصعب ذلك.

حدث الأسبوع إيران

إيران ترفض مقترحات ترامب للتفاوض بعد مفاجأته بإسقاط طائرات أمريكية مقاتلة

لندن ـ «القدس العربي»: محمد نون

انتهى الأسبوع الخامس من الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران بحدثين هامين: أولهما سياسي وتمثل في وصول جهود الوساطة التفاوضية إلى طريق مسدود، وثانيهما عسكري – دراماتيكي تجسّد في إسقاط إيران طائرات أمريكية بينها مقاتلة حربية متطورة من نوع إف 15، صباح الجمعة 3 آذار/مارس 2026 في جنوب غربي إيران، وهي المرة الأولى التي يعترف فيها البنتاغون الأمريكي بسقوط مقاتلة له خلال الحرب، إذ اكتفى سابقا بالاعتراف باضطرار طائرة مقاتلة من طراز إف 35 للهبوط في أحد المطارات في الشرق الأوسط.

وهكذا تبيّن على أرض الواقع أن قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مساء الأربعاء الماضي في 1 نيسان/إبريل، بتمديد الحرب لأسابيع إضافية، لاقى ردا إيرانيا عمليا بأن التفاوض الذي تطالب به الولايات المتحدة الأمريكية تحت النار، هو مطلب مرفوض وأن ميدان الحرب ومفاجآته هو الذي سيكتب نهايتها.

وكان اللافت أن الرئيس ترامب اعتبر أن إسقاط الطائرات الحربية الأمريكية لن يؤثر على المفاوضات المحتملة مع إيران.

وما بين الحدثين، تعمّقت الخلافات بين واشنطن وحلفائها وخاصة في حلف الناتو حينما قال ترامب بأنه يفكر بالانسحاب من الحلف بعدما وصفه بأنه نمرٌ من ورق، وأن كل أعضائه سيئون لعدم انضمامهم الى الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في حربهما ضد إيران التي انطلقت صباح السبت في 28 شباط/فبراير 2026.

طريق تفاوضي مسدود

وتبيّن يوم الجمعة أن المسار التفاوضي الذي تحدث عنه ترامب هو مسار مقفل طالما استمرت الحرب، وأكدت ذلك صحيفة «وول ستريت جورنال» يوم الجمعة حيث ذكرت أن جهود الوساطة الحالية التي تقودها دول في المنطقة من بينها باكستان للتوصل إلى وقف لإطلاق النار بين الولايات المتحدة وإيران وصلت إلى طريق مسدود.

وأضافت الصحيفة أن إيران أبلغت الوسطاء رسميا بأنها غير مستعدة للاجتماع بمسؤولين أمريكيين في إسلام اباد خلال الأيام المقبلة، وأنها تعتبر المطالب الأمريكية غير مقبولة.

وكان مصدر مطلع قال لرويترز إن جيه.دي فانس نائب الرئيس الأمريكي أجرى محادثات مع وسطاء من باكستان بشأن الصراع مع إيران وكان أحدثها يوم الثلاثاء الماضي.

وأضاف المصدر أن الرئيس دونالد ترامب كلّف فانس بأن يوضح في أحاديث خاصة أنه مستعد لوقف إطلاق النار شريطة تلبية مطالب أمريكية معينة، بما في ذلك إعادة فتح مضيق هرمز.

كما نقل فانس ما وصفه المصدر «برسالة حازمة» مفادها أن صبر ترامب ينفد، محذرا من أن الضغط على البنية التحتية الإيرانية سيزداد ما لم توافق طهران على اتفاق.

ورغم ذلك التهديد أبقت إيران على موقفها الرافض للمطالب الأمريكية سواء ما يتعلق منها بإعادة فتح مضيق هرمز، أو التخلي عن برامجها النووية والصاروخية، والابتعاد عن حلفائها في الإقليم المعروفين بمحور المقاومة، بمن فيهم حزب الله في لبنان، وحركة أنصار الله الحوثيين في اليمن، وفصائل المقاومة في فلسطين والعراق.

وتحول رفض التفاوض إلى مطلب يتم ترديده خلال التظاهرات الليلية المستمرة في إيران منذ بداية الحرب لدعم نظام الجمهورية الإسلامية، ومن بين الشعارات التي رفعها المتظاهرون في ساحة تجريش شمالي العاصمة يوم الجمعة: «إن التفاوض (مع الأمريكيين) خيانة... وإن كل الشعوب تخشى من الحرب، لكن الشعب الإيراني يخشى فقط من المفاوضات».

وينبع هذا الرفض من شعور الإيرانيين بأن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل تسعيان قولا وفعلا لتدمير إيران وتفتيتها، سواء من خلال ضرب قواها العسكرية على مساحة الأرض الإيرانية، ومنشآتها النووية في ناطنز وأصفهان وأراك وغيرها، أو تدمير جامعات العلوم والتكنولوجيا في طهران ومصانع الصلب والحديد في أصفهان، وتدمير أعلى جسر في الشرق الأوسط بين طهران وكرج، وغيرها.

لكن أكثر ما حفزته الحرب في أذهان الإيرانيين كان القصف الأمريكي الإسرائيلي لمدرسة البنات في قرية ميناب ومقتل أكثر من 175 طالبة في تلك المدرسة الابتدائية صبيحة بدء الحرب في 28 شباط/فبراير بالتزامن مع اغتيال المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي في مكتبه خلال اجتماعه بكبار قادة مجلس الدفاع الأعلى.

وكان وزير الخارجية الإيرانية عباس عراقجي نفى وجود أي مفاوضات مباشرة أو غير مباشرة مع الولايات المتحدة على عكس ما أعلنه مرارا الرئيس ترامب.

ويوم الجمعة تم تجديد الرفض للتفاوض حيث أكد عضو مجلس تشخيص مصلحة النظام في إيران محسن رضائي، أن أي مسار سياسي لوقف الحرب لن يبدأ «ما لم ترفع العقوبات وتدفع تعويضات عن الأضرار» التي الحقتها الهجمات الأمريكية الإسرائيلية. وأشار رضائي في تصريحات للتلفزيون الإيراني الرسمي، إلى أن طهران ستواصل مواجهة خصومها حتى يشعروا بالندم على أفعالهم.

وتطرق إلى ادعاءات وجود مفاوضات بين طهران وواشنطن، قائلا: «أيها الشعب العزيز، لا تنصتوا لمن يدعون أنهم تفاوضوا أو تبادلوا رسائل، فنهاية الحرب بيد قائد الثورة (مجتبى خامنئي) وبيدكم».

وذهب على أبعد من ذلك الجنرال علي أكبر أحمديان، ممثل المرشد الإيراني الأعلى مجتبى خامنئي، في مجلس الدفاع، عندما قال إن هدف بلاده هو إخراج القوات الأمريكية من المنطقة بناء على حسابات واقعية.

جاء ذلك في تدوينة نشرها عبر منصة شركة «إكس» الأمريكية، يوم الجمعة، ردا على تهديدات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، لبلاده.

وأضاف أحمديان أن إيران لن تتراجع «لا أمام التهديدات ولا أمام الضجيج الفارغ والعروض الاستعراضية».

وتابع: «هذه المنطقة هي ساحتنا، ورودنا لا تستند إلى عروض هوليودية، بل إلى حسابات عقلانية وواقعية». وأكمل: «في الخطوة الأولى طردنا أمريكا من إيران (عام 1979)، أما الخطوة الثانية فستكون إخراج أمريكا من المنطقة (عام 2026)».

وكان ترامب وجّه تهديدات جديدة لإيران، قائلا في تدوينة على منصة «تروث سوشيال»: «جيشنا، وهو الأكبر والأقوى في العالم بفارق كبير، ولم يبدأ بعد في تدمير ما تبقى في إيران».

ولفت ترامب إلى أن «الجسور هي الخطوة التالية، ثم محطات توليد الطاقة الكهربائية»، وأن قيادة النظام الجديدة في إيران «تعرف ما الذي يجب القيام به وبسرعة».

اسقاط طائرات مقاتلة

أما المفاجأة العسكرية الأبرز في نهاية الأسبوع الخامس من هذه الحرب، فتمثلت في اسقاط طائرات مقاتلة أمريكية بنيران الدفاعات الجوية الإيرانية.

واعترف الجيش الأمريكي يوم الجمعة الماضي، بأنه تلقى إخطارا بـ«إسقاط طائرة» في الشرق الأوسط. وأفاد مسؤول أمريكي وآخر إسرائيلي، بأنه تم إنقاذ أحد أفراد طاقم طائرة أمريكية تم إسقاطها في إيران.

وقالت ثلاثة مصادر مطلعة، تحدثت شريطة عدم الكشف عن هويتها بدعوى حساسية الوضع، إن عملية الإنقاذ جرت أثناء قيام القوات الأمريكية بعملية بحث وإنقاذ.

وقالت المتحدثة باسم البيت الأبيض، كارولين ليفيت في بيان، إنه تم إطلاع الرئيس دونالد ترامب على الأمر، وبعدها نقلت فوكس نيوز عن مصادر بأن إدارة ترامب ابغت الكونغرس بإسقاط إيران الطائرة المقاتلة الأمريكية من طراز إف 15.

وكانت هذه المرة هي الأولى التي تعترف فيها الولايات المتحدة بسقوط إحدى طائراتها على الأراضي الإيرانية، مما شكل تصعيدا دراماتيكيا في الحرب منذ اندلاعها قبل خمسة أسابيع، وأثار تساؤلات عن القدرة الحقيقية لمنظومات الدفاع الجوي الإيراني.

ولذلك فإن وقع هذا الخبر كان صعبا على الرئيس ترامب بعدما تحدث أكثر من مرة، بأن الدفاعات الجوية الإيرانية صارت مدمرة بالكامل، تماما كما هو حال القوة البحرية والصاروخية كما قال.

ورفع هذا التطور العسكري من معنويات الجانب الإيراني على المستوى الرسمي والشعبي، مع رصد جائزة مقدارها 10 مليارات تومان (حوالي 64 ألف دولار) لمن يستطيع الاتيان حيا بالطيار الأمريكي الذي تم إسقاط طائرته في إيران.

جاء ذلك بعدما أطلقت إيران الجمعة عملية بحث عن طيار أمريكي بعد إعلانها إسقاط طائرته الحربية في أجواء الجمهورية الإسلامية.

وقال مراسل التلفزيون الإيراني الرسمي عن هذا الحدث: «أيها الأهالي الأعزاء والشرفاء في محافظة كهكلويه وبوير أحمد (في جنوب غرب إيران)، إذا القيتم القبض على طيار أو طياري العدو وقمتم بتسليمه الى الشرطة أو القوات العسكرية، ستحصلون على مكافأة قيمة».

وعرضت قنوات تلفزيونية ووكالات أنباء محلية صورا

لحطام قالت إنه يعود للطائرة الحربية الأمريكية، كما عرضت مشاهد لطائرات أمريكية تقوم بالبحث عن حطام الطائرة والطيّارَين، فيما قالت وكالة مهر، إن مقذوفا إيرانيا أصاب مروحية أمريكية عندما كانت تشارك في عمليات البحث. وتم لاحقا تأكيد مصادر أمريكية لإصابة مروحية من طراز بلاك هوك كانت تشارك في عملية انقاذ أحد طياري إف 15.

بعدها تحدثت صحيفة «نيويورك تايمز» نقلا عن مصدرين أمريكيين أن مقاتلة أمريكية من طراز إيه 10 تحطمت قرب مضيق هرمز (جنوب إيران)، وأنه جرى انقاذ الطيار.

وعن ذلك قال مقر خاتم الأنبياء العسكري الإيراني: «استهدفنا طائرة معادية جنوب جزيرة قشم، وغرقت في مياه الخليج».

وجاءت هذه الخسائر الجوية على الرغم من تكرار الرئيس ترامب تأكيده أن الدفاعات الجوية الإيرانية قد انتهت إلى الدمار، بينما قال الحرس الثوري الإيراني إن إسقاط المقاتلات الأمريكية يتم بمنظومة متطورة محلية الصنع.

ولا شك أن وقوع هذه الخسائر يأتي في وقت حرج للرئيس ترامب وخاصة إذا أفرجت إيران عن مفاجآت جديدة تلحق ضررا بالجيش الأمريكي في وقت تستعد الولايات المتحدة للانتخابات النصفية المقررة في تشرين الثاني/نوفمبر المقبل، وذلك بعدما أشار مستشارون مقربون من الرئيس ترامب بأنّ إطالة أمد الحرب سيؤدي إلى إضعاف شعبيته بين الأمريكيين.

أزمة ترامب مع الحلفاء في مضيق هرمز

وسط كل ذلك يشعر الرئيس الأمريكي بأن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل تعانيان العزلة الدولية لعدم انضمام أي من الحلفاء الرئيسيين للحرب وخاصة الحلفاء في الناتو.

ولّمح ترامب إلى أنه يدرس الانسحاب من الحلف الذي تأسس قبل أكثر من سبعة عقود، بعدما امتنعت دوله عن تلبية دعوته للمساهمة في إعادة فتح مضيق هرمز، المغلق عمليا من قبل إيران منذ بدء الهجوم الأمريكي الإسرائيلي عليها في 28 شباط/فبراير.

وردا على سؤال لصحيفة «ديلي تلغراف» البريطانية عما إذا كان سيعيد النظر في عضوية الناتو قال ترامب «نعم أود أن أقول إن الأمر تجاوز إعادة النظر».

كما انتقد الرئيس الأمريكي فرض بعض دول الحلف قيودا على استخدام واشنطن قواعدها العسكرية في إطار هذه الحرب، وخاصة فرنسا وإسبانيا وإيطاليا، بينما تشبثت بريطانيا برفض الانخراط في تلك الحرب رغم ضغوط ترامب حيث قال رئيس الوزراء البريطاني كير ستارمر: «إن هذه الحرب غير قانونية ليست حربنا».

وأعرب وزير الخارجية الألماني يوهان فادبفول عن قلقه إزاء تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بشأن انسحاب محتمل للولايات المتحدة من حلف شمال الأطلسي «ناتو».

وقال كبير الدبلوماسيين الألمان لمجموعة «فونكه» الإعلامية: «بالطبع مثل هذه التصريحات تثير قلقي». لكنه قال أيضا إنه يعتقد أنه لا يزال من الممكن تفادي خروج الولايات المتحدة من التحالف.

وأضاف «أعتقد أن التزامنا الواضح ودعمنا الحازم للتحالف سيقنع الولايات المتحدة بمواصلة قصة النجاح هذه معا».

وقال فادبفول إن الناتو له «أهمية هائلة» لأمن ألمانيا وجميع الحلفاء الآخرين ودفع بأن التحالف أقوى من أي وقت مضى. وأشار إلى انضمام السويد وفنلندا والتزام الأوروبيين بإنفاق 5 في المئة من الناتج الاقتصادي على الدفاع.

كما أشار وزير الخارجية إلى أن ترامب لا يمكنه اتخاذ قرار بشأن الانسحاب من الناتو بمفرده. وقال فادبفول «سيكون بحاجة على الأقل لموافقة مجلس الشيوخ».

وقد واجه ترامب مؤخرا معارضة من الحزبين في مجلس الشيوخ الأمريكي بسبب تصريحاته.

وفي بيان مشترك صدر يوم الأربعاء الماضي كتب الديمقراطي كريس كونز والجمهوري ميتش ماكونيل زعيم الأغلبية السابق في مجلس الشيوخ أن المواطنين الأمريكيين يكونون أكثر أمانا عندما يكون الناتو قويا.

وجاء في البيان أن «مجلس الشيوخ سيواصل دعم التحالف من أجل السلام والحماية التي يوفرها لأمريكا وأوروبا والعالم».

وبالتوازي هناك تحرك عالمي للضغط باتجاه فتح مضيق هرمز، لكن عبر استخدام الدبلوماسية وليس الأساليب العسكرية (كما يريد ترامب).

وفي هذا السياق دعا ممثلون لحوالي 40 دولة إلى «إعادة فتح مضيق هرمز بشكل فوري وغير مشروط»، مهددين إيران بفرض مزيد من العقوبات عليها، بحسب ما نقلت عنهم وزيرة الخارجية البريطانية إيفيت كوبر عقب اجتماع عبر الفيديو.

وقالت الوزيرة في بيان «إيران تحاول أخذ الاقتصاد العالمي رهينة في مضيق هرمز. يجب ألا تنجح. ولهذا، دعا الشركاء إلى إعادة فتح المضيق بشكل فوري وغير مشروط، واحترام المبادئ الأساسية لحرية الملاحة وقانون البحار».

وأضافت أن الدول اتفقت على «دراسة اتخاذ تدابير اقتصادية وسياسية منسقة، كالعقوبات، للضغط على إيران إذا ما استمر إغلاق المضيق».

وأكدت كوبر أن هذا الإغلاق «يشكل تهديدا مباشرا للازدهار العالمي». واتفقت الدول على «زيادة الضغط الدبلوماسي» على إيران، لكن لم تتخذ أي قرارات بشأن تأمين المضيق في هذه المرحلة، بعدما دعا الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الدول التي تعتمد على النقل البحري عبره إلى التحرك لفتحه طالبا منها أن «تتولى أمره».

وقال الرئيس الأمريكي «اذهبوا إلى المضيق، استولوا عليه، احموه، استخدموه».

وجاء الرد أيضا على ترامب من الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون يوم الخميس الماضي خلال زيارة لكوريا الجنوبية حيث قال :»إن أي عملية عسكرية لـ«تحرير» مضيق هرمز ستكون «غير واقعية»، ومحفوفة «بأخطار جمة».

كذلك دعا مجلس التعاون الخليجي يوم الخميس الماضي، مجلس الأمن الدولي إلى إصدار قرار يجيز «استخدام جميع الوسائل المتاحة واللازمة» لضمان الملاحة في مضيق هرمز التي قوّضتها الحرب في الشرق الأوسط.

وشدد عدد من الدول المشاركة في مبادرة أطلقتها المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وهولندا واليابان في منتصف آذار/مارس على أنه لا يمكن النظر في أي مهمة لتأمين المضيق إلا بعد انتهاء الحرب.

وأكد متحدث باسم وزارة الخارجية الفرنسية هذا الموقف الخميس، قائلا إن أي مهمة في المضيق لن تكون ممكنة إلا «بعد انقضاء مرحلة القصف المكثف».

وستترأس لندن الأسبوع المقبل اجتماعا لـ «مخططين عسكريين» من الدول نفسها لبحث خيارات تفضي إلى جعل مضيق هرمز آمنا للملاحة بعد وقف القتال.

وعبرت حوالي 225 ناقلة مواد أولية المضيق منذ بداية الحرب، بينها أكثر من 40 سفينة إيرانية، بحسب شركة «كيبلر» لتحليلات البيانات البحرية، ما يمثل انخفاضا بنسبة 93 في المئة مقارنة بالمستويات في وقت السلم.

وأعلنت الفيليبين الخميس أن إيران تعهدت السماح لناقلات النفط التي ترفع العلم الفيليبيني بالمرور عبر مضيق هرمز بأمان.

وأظهرت بيانات شحن أن ثلاث سفن تشغلها شركة عُمانية وسفينة حاويات مملوكة لشركة فرنسية وناقلة غاز تملكها شركة يابانية عبرت مضيق هرمز الخميس.

أما الصين، الشريك التجاري الرئيسي لإيران والتي التزمت الصمت منذ بداية النزاع، فاتهمت الولايات المتحدة وإسرائيل بأنهما «السبب الأصلي» لانقطاع الملاحة عبر مضيق هرمز بسبب عملياتهما العسكرية «غير القانونية» ضد إيران.

وبناء على ما تقدم صارت إيران تتحكم بالسيادة على مضيق هرمز، فتسمح لمن تعتبرها سفنا صديقة بالعبور، وتمنع مرور من تعتبرها سفنا مرتبطة بأعدائها، وهو تحول استراتيجي كبير يتيح لإيران التحكم بمرور 20 في المئة من إمدادات الطاقة في العالم، ولعل هذا هو النتيجة الأبرز للحرب الأمريكية الإسرائيلية الثانية على إيران عام 2026، بعد الحرب الأولى الخاطفة التي استمرت 12 يوما في حزيران /يونيو 2025.

حجر ترامب وأسطوانة كورش

صبحي حديدي

أياً كانت تحفظات المرء على، أو اتفاقه مع، «ظُرف» وزير الخارجية الإيراني الأسبق محمد جواد ظريف؛ فإنّ عودته إلى واجهة الوقائع في إيران ليست خالية من المغزى. ففي ردّه على تهديد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، حول إعادة إيران إلى «العصر الحجري حيث ينتمون»، وبّخ ظريف ساسة أمريكا هكذا: «في قلب مهد الحضارة كانت إيران، حين كان أجدادكم في أوروبا (ولم تكن أمريكا موجودة أصلا) في العصر الحجري. نحن من علمنا العالم النظامَ والقانون وفنون الحكم، ومؤسف أنّ قسطا من هذا لم يبلغ بعض الأحفاد الجهلة».

ظريف على صواب، بالطبع، بالمعاني التاريخية والحضارية بادئ ذي بدء، إذا لم يذهب المرء نحو منجزات الحضارة الفارسية العلمية والسياسية والفلسفية والثقافية مقابل أنساق العماء والتخلف والهمجية التي كانت معظم أرجاء الغرب غارقة في ظلماتها. ولا تُلام جهات إيرانية إذا استدعت، على سبيل تسفيه عبارة ترامب العنصرية البذيئة، أسطوانة الملك الفارسي كورش التي تعود إلى أكثر من 2.600 سنة، وتُعدّ واحدة من مواثيق حقوق الإنسان الأقدم، وقد ألهمت توماس جيفرسون أحد كبار الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، أسوة بعشرات القادة والساسة والفلاسفة في أوروبا.

هذا الفخار يصحّ، أيضاً، أن يوضع في سياقات عابرة للحميّة القومية الفارسية، المشروعة بالطبع والمتأصلة عميقاً في نفوس إثنيات الفرس على تنوّعها؛ وأن تُقرأ دلالاته في ضوء الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية الراهنة، على الشعب الإيراني وعمرانه البشري والحضاري قبل أيّ هدف يندرج ضمن أكذوبة استهداف آيات الله وتغيير النظام. وهو، في هذه الحال، مؤشر على تحوّل غير محدود القيمة ولا الأثر، من النهج الديني والسياسي الشيعي إلى الإحياء القومي الفارسي؛ خاصة وأنّ الامتزاج قد لا يكون تناحرياً، بل لعله على العكس: تكاملي على أكثر من صعيد، ثمّ وظائفي من حيث التحشيد والتدجين.

وهو، تالياً، وإذ يصدر عن ظريف تحديداً بعد ابتعاد عن السياسة المحلية أقرب إلى الاستبعاد، وضمن مناخات ما يُشاع اليوم من «مشروع» يطرحه وزير الخارجية الأسبق، وأحد مهندسي الاتفاق النووي لعام 2015؛ يقترب، في كثير ربما وليس في قليل فقط، من حوافّ «تسوية تاريخية» تشمل إدخال تحوّلات ملموسة على بنية نظام الملالي، يمكن أن تُرضي الولايات المتحدة والغرب والجوار الإقليمي؛ حتى إذا كانت غير مؤهلة لإرضاء دولة الاحتلال الإسرائيلي عموماً، واثنلاف بنيامين نتنياهو الراهن خصوصاً.

ففي مجلة «فورين أفيرز» الأمريكية، غير البعيدة عن صنّاع القرار في واشنطن عبر كبار مستشاريهم، طالب ظريف بلاده بتقديم عروض من طراز فرض القيود على البرنامج النووي وفتح مضيق هرمز أمام الملاحة الدولية، وطلب من الولايات المتحدة رفع جميع العقوبات وإبرام اتفاق عدم اعتداء متبادل، وإقامة علاقات اقتصادية تعود بالنفع على الشعبين الأمريكي والإيراني.

أهي أضغاث أحلام، من رجل لم يعد يمسك من مفاتيح النفوذ سوى مساندة الرئيس الإيراني مسعود بزكشيان؟ ليس تماماً، إذ أضيفت إلى روحية المشروع نبرة انتقاد لم تكن مألوفة، لأنها أصلاً لم تكن متاحة أيام المرشد الأعلى علي خامنئي وكبار رجالاته أمثال قاسم سليماني وعلي لاريجاني وعلي شمخاني: ضرورة تمكين المسؤولين الإيرانيين من التركيز بدرجة أقلّ على حماية البلاد من تهديدات الخارج، مقابل توجّه أكبر نحو تحسين حياة المواطنين في الداخل، بما يتيح تأمين «المستقبل الجديد والمشرق الذي يستحقه الإيرانيون».

وفي كلّ حال، ليس الفارق بين حجر ترامب وأسطوانة كورش وظيفياً وتاريخياً وتكوينياً فقط، بل لعله ميزان حضاري بين غطرسة يانكية حمقاء بقدر ما هي عمياء، وفخار فارسي كانت له بدوره جولات توحش وجرائم في المنطقة؛ والعاقبة على حساب الشعوب، دائماً وحصرياً.

وسائل الإعلام العبرية
لا تكتفي بتغطية وقائع الحرب بل تقوم بهندستها

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

تكبّل السلطات الإسرائيلية وسائل الإعلام في تغطياتها خلال الحرب الدائرة مع إيران أكثر من ما كان في حروب سابقة. هذا ما يؤكده مراقبون إسرائيليون وفلسطينيون على حد سواء استنادا لمعاينة ما جرى في الشهر الأول من الحرب. وحتى الإعلام العبري نفسه شهد نقاشا يتركز على كيفية إدارة هذه المعطيات وضبطها ضمن إطار منظم يوجّه إدراك وعي الجمهور ويعيد تشكيل فهمه لمسار الحرب. طبقا للمركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية يُفسّر هذا التراجع ضمن رؤية مركزية تقوم على «منع تقديم أي مساعدة للعدو في زمن الحرب»، وهو خطاب بات يشكّل إطارًا ناظمًا للسلوك الإعلامي في المجالين الرسمي وغير الرسمي داخل إسرائيل. وينبّه «مدار» لطبيعة العلاقة المتداخلة بين الرقابة العسكرية والإعلام في إسرائيل، حيث تشكّلت هذه العلاقة عبر عقود بإطار ناظم للعمل الإعلامي خاصة في سياقات الحرب وفي ما يتعلق بالمعلومات الأمنية، وينص القانون على أن كل من يقوم بطباعة أو نشر مواد مطبوعة أو منشورات تتعلق بأمن الدولة يجب أن يقدمها إلى الرقيب قبل الطباعة أو النشر.

ويقول أيضا إنه فيما تعزز هذا الإطار في السنوات الأخيرة عبر تشريعات وإجراءات إضافية داخل الكنيست، مثل القوانين التي حظرت عمل بعض القنوات الإعلامية أو ما عرف بقانون «الجزيرة»، وملاحقة صحافيين فلسطينيين بتهمة «التحريض».

رؤية إسرائيلية

إسرائيليا يطرح الصحافي والمحلل السياسي رفيف دروكر عبر القناة 13 تساؤلات مباشرة حول غياب نشر مواقع سقوط الصواريخ الإيرانية، وعدم عرض مشاهد اعتراضها كما كان يحدث في جولات سابقة، إضافة إلى غياب الأرقام الدقيقة المرتبطة بعدد الصواريخ في كل رشقة. ولم يقتصر نقد دروكر على اللحظة الراهنة، بل أشار إلى مسار تطوري واضح في سياسات النشر، يمكن تلخيصه في ثلاثة أنماط رئيسة:

أولًا: مرحلة النشر الدقيق، كما في حرب لبنان الثانية العام 2006 حيث عُرضت مواقع السقوط بشكل واضح ومحدد.

ثانيا: مرحلة التحديدات التقريبية، حيث جرى تقليص الدقة المكانية مع الإبقاء على قدر تقريبي من المعلومات.

ثالثًا: المرحلة الحالية، التي تتميز بالامتناع شبه الكامل عن نشر المواقع أو المعطيات الكمية الدقيقة للصواريخ أو الخسائر. وأكد دروكر أن هذا الحجب لا يقتصر على المناطق المدنية إذ يمتد إلى القواعد العسكرية والمواقع الحساسة، التي لا يُكشف عنها حتى بعد مرور فترات زمنية طويلة. من جانبه تطرق جدعون ليفي في صحيفة «هآرتس» إلى زاوية أخرى وقدم نقدا أكثر حدة، إذ يرى أن الإعلام الإسرائيلي تجاوز مرحلة الامتثال التقليدي للرقابة إلى مرحلة جديدة من الرقابة الذاتية. يلاحظ ليفي أن المراسلين يعرضون تفاصيل هامشية مثل أضرار طفيفة، ويحرصون في الوقت نفسه على تأكيد أن ما يُعرض تم بموافقة الرقابة، رغم أن القانون لا يفرض هذا السلوك ولا تطلبه الرقابة العسكرية وهنا يتحول الامتثال من التزام مفروض إلى ممارسة طوعية معلنة. ويوضح ليفي أن هذا التحول الخطير في مفهوم مهنة الصحافة قد بدأ يتفاقم بعد السابع من أكتوبر. على مستوى الصحافة الداخلية، أشار الصحافي نيتسان شابيرا من القناة 12 إلى أن الرقابة منعت نشر معلومات حول احتمال تصعيد من حزب الله قبل أن تُنشر لاحقًا عبر وكالة سي إن إن ما أتاح تداولها داخل إسرائيل. ويدفع هذا الواقع الصحافيين إلى استخدام أساليب غير مباشرة لنقل المعلومات مثل الاعتماد على بيانات الحرس الثوري أو حزب الله. في 10 آذار/مارس 2026، استندت بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية مثل صحيفة «يديعوت أحرونوت» إلى بيانات حزب الله لتحديد الأهداف في محاولة للالتفاف على القيود المفروضة. أما على مستوى الإعلام الدولي، فقد أشارت صحيفة «تايمز أوف يسرائيل» في مقال لها يوم 10 آذار/مارس 2026 نقلًا عن وكالة «أ.ف.ب» إلى أن الحكومة الإسرائيلية شددت قيودها مع تصاعد الحرب مع إيران، بما يشمل حظر ما يلي:

البث المباشر لأفق المدن أثناء الإنذارات، تصوير اعتراض الصواريخ، تصوير مواقع سقوط الصواريخ قرب مواقع حساسة، نشر معلومات عن الخطط العسكرية ومنظومات الدفاع. بالإضافة إلى ذلك، لم يقتصر نمط إدارة المعلومات على الحجب والمنع وإنما امتد في بعض الحالات إلى نشر معلومات مضللة وكاذبة، كما تكشف حادثة المراسل العسكري في القناة 12 نير دفوري الذي نشر مقطعاً كاذباً ادّعى أنه فوق طهران وفيه تبدو قاذفة أمريكية من طراز «بي 2» تحلق فوق طهران ليست سوى لعبة محاكاة عسكرية منشورة منذ سنوات، فيما أعادت القناة 14 بث المقطع بوصفه مادة حقيقية عبر منصاتها. وتكررت حوادث أخرى في الإعلام الإسرائيلي مما أثار موجة سخرية على منصات التواصل الاجتماعي في إسرائيل حيث نشر المستخدمون مقاطع مشابهة من ألعاب أخرى مرفقة بتعليقات ساخرة. وتندرج هذه الظاهرة ضمن سياق أوسع يتمثل في الانتشار المتسارع للمحتوى المضلل والمولد بالذكاء الاصطناعي خلال الحرب حيث يشير خبراء في دراسات الإعلام الرقمي إلى أن حجم هذا النوع من المحتوى بلغ مستويات غير مسبوقة في النزاعات الحديثة ما يزيد من صعوبة التمييز بين الحقيقة والتضليل حتى لدى الجمهور المتابع بشكل يومي.

ثلاثة مجالات

في الإجمال العام وطبقا لمركز «مدار» ينعكس أثر القيود الإسرائيلية على الصحافة خلال الحرب على إيران ضمن ثلاثة مستويات مترابطة، وهي على النحو التالي:

أولًا: على المستوى النظري، ينتج أثر معرفي مباشر يمكن تفسيره عبر نظرية تحديد الأجندة حيث لا يقتصر حجب المعلومات الأساسية على تقليص حجم المعرفة المتاحة ويمتد إلى ضبط ما يمكن التفكير فيه داخل المجال العام. يؤدي ذلك إلى تشكل وعي ناقص داخل المجتمع قائم على صورة غير مكتملة للواقع ما يفضي إلى تضليل عملي حتى من دون تقديم معلومات خاطئة بشكل صريح.

ثانيا: على المستوى الخارجي، يفضي هذا النمط إلى خلق حالة من الغموض لدى الخصم سواء إيران أو حزب الله، إذ يحد من قدرته على تقييم نتائج ضرباته بصورة دقيقة. في المقابل يعرض الإعلام الإسرائيلي نجاحات تعزز شعورا داخل المجتمع الإسرائيلي بالإنجاز حتى في ظل غياب قاعدة معلوماتية واضحة وشاملة.

ثالثًا: على مستوى التحليل السياسي، يتغذى المحللون خاصة في السياق العربي والفلسطيني على البيئة المعلوماتية المحدودة نفسها التي ينتجها هذا النمط الإعلامي الإسرائيلي في أغلب الأحيان. وفق مقاربة بناء الواقع الإعلامي، يتحول الإعلام إلى منتج للفكرة والتصور ما يؤدي إلى تشكل تقديرات استراتيجية لدى الطرف المقابل مبنية على معطيات ناقصة ويعيد إنتاج الفجوة بين الواقع الفعلي وصورته المتداولة. يشار أن منظمة «مراسلون بلا حدود» قد أوضحت في 11 آذار/مارس الماضي في بيان أنه منذ بدء الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران صعّدت بعض دول المنطقة إجراءاتها القمعية تجاه وسائل الإعلام وشدّدت الخناق على الصحافيين بما فيها إسرائيل.

حرب إيران غير القانونية...
خطاب «بشع» متناقض ومخاطر انفجار إقليمي

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

حتى في الوقت الذي أشار فيه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب هذا الأسبوع إلى رغبته في إنهاء حربه غير الدستورية مع إيران بسرعة، يحذّر عدد من الخبراء من أن الإدارة الأمريكية وجدت نفسها في مسار تصعيدي معقّد يجعل الخروج من الصراع أكثر صعوبة كلما طال أمده، محذرين من «فخ استراتيجي» قد يطيل أمد الحرب ويضاعف كلفتها السياسية والاقتصادية والإنسانية.

وفي خطاب رئيسي ألقاه ترامب يوم الأربعاء في أوقات الذروة، قدّم مزيجًا من التهديدات العسكرية والتصريحات المتناقضة، إذ لوّح بقصف إيران وإعادتها «إلى العصور الحجرية»، وفي الوقت نفسه أكد أن المفاوضات لإنهاء الصراع لا تزال مستمرة، من دون أن يوضح إطارًا زمنيًا أو آلية واضحة لإنهاء الحرب التي بدأت، حسب تقارير، عبر عمليات قصف مشتركة بين الولايات المتحدة وإسرائيل قبل أكثر من شهر، ومن دون موافقة الكونغرس، وفي انتهاك للقانون الدولي، وفق ما يراه منتقدوه.

وقال ترامب خلال خطابه: «إذا لم يكن هناك اتفاق، فسوف نضرب كل واحدة من محطات توليد الكهرباء لديهم بشدة كبيرة وعلى الأرجح بشكل متزامن»، وهي تصريحات اعتُبرت تصعيدًا خطيرًا وإشارة إلى توسيع نطاق الاستهداف ليشمل البنية التحتية المدنية الحيوية. كما سعى ترامب إلى تبرير الحرب أمام جمهور أمريكي تُظهر استطلاعات الرأي أنه غير مؤيد لها، عبر مقارنتها بحروب كبرى مثل الحربين العالميتين وحرب كوريا وفيتنام والعراق، مشيرًا إلى أن العمليات العسكرية الحالية قد تكون طويلة ومعقدة.

وفي موازاة التصعيد العسكري، بدأت واشنطن، بأمر من الإدارة، تحريك آلاف القوات الأمريكية نحو الشرق الأوسط للانضمام إلى عشرات الآلاف الموجودين أصلاً في المنطقة، ما أثار مخاوف متزايدة من توسع النزاع واحتمال الانزلاق إلى مواجهة برية طويلة الأمد. كما كرر ترامب ادعاءه بأن إيران تسعى لامتلاك أسلحة نووية، رغم أن ذلك يتعارض مع تقييمات استخباراتية أمريكية سابقة، وأصرّ في الوقت نفسه على أن طهران تعمل على بناء «مخزون ضخم من الصواريخ البالستية التقليدية» قد يهدد الأراضي الأمريكية لاحقًا.

كما تجاهل الرئيس المخاوف المتزايدة بشأن تداعيات الحرب على أسعار الطاقة العالمية، حيث تمرّ نحو ربع تجارة النفط المنقولة بحرًا عبر مضيق هرمز، أحد أهم الممرات الاستراتيجية في العالم. وقال ترامب إن المضيق «سيفتح من تلقاء نفسه» بمجرد انتهاء الصراع، متوقعًا انخفاضًا سريعًا في أسعار البنزين، في وقت تشير فيه البيانات إلى ارتفاعات كبيرة في كلفة الوقود أثرت على المستهلكين الأمريكيين.

في المقابل، قال كولين ريس، مدير الحملة الأمريكية في منظمة «أويل تشينج إنترناشونال»، إن تصريحات ترامب «لا يمكنها إخفاء كيف أن حربه المتهورة وغير القانونية تدفع أسعار الطاقة إلى الارتفاع وتثقل كاهل العائلات العاملة»، مضيفًا أن الحرب والتقلبات في الإمدادات تخلق فرصًا هائلة لشركات الوقود الأحفوري لتحقيق أرباح قياسية، بينما تتحمل الأسر العادية كلفة التضخم في الغذاء والوقود والضروريات الأساسية. ودعا إلى إنهاء الحرب والانتقال نحو الطاقة المتجددة كحل طويل الأمد.

من جانبهم، عبّر عدد من الديمقراطيين في الكونغرس عن قلقهم من غياب استراتيجية واضحة لدى الإدارة. وقال السيناتور كريس مورفي إن خطاب ترامب لم يوضح ما إذا كانت الولايات المتحدة تتجه نحو تصعيد أو تهدئة، مضيفًا «حتى ترامب نفسه لا يبدو أنه يعرف الاتجاه الذي تسير فيه الحرب».

كما وصفت السيناتور إليزابيث وارن وعود الرئيس السابقة بتجنب الحروب وخفض التكاليف بأنها «في مهب الريح»، معتبرة أن الكلفة الإنسانية والاقتصادية للصراع تتفاقم بسرعة.

أما النائبة ياسمين أنصاري، وهي العضو الوحيد من أصول إيرانية في الكونغرس، فقد أدانت بشدة تهديد ترامب بقصف إيران وإعادتها «إلى العصور الحجرية»، ووصفت الخطاب بأنه «بشع ومرعب وشرير»، مشيرة إلى أن الحديث يدور عن دولة تضمّ نحو 90 مليون شخص، ما يعكس حجم الكارثة المحتملة في حال توسع الحرب.

وفي سياق التحليل السياسي والعسكري، حذّر المؤرخ العسكري بريت ديفيرو، الأستاذ المساعد في جامعة ولاية كارولاينا الشمالية، من أن إدارة ترامب قد تكون دخلت في «فخ استراتيجي» يصعب الخروج منه. وفي دراسة مطولة، وصف ديفيرو الحرب بأنها مقامرة اعتمدت على افتراض انهيار النظام الإيراني سريعًا تحت وطأة الضربات الجوية، وهو سيناريو اعتبره غير واقعي نظرًا لطبيعة النظام الإيراني وقدرته على امتصاص الصدمات عبر مستويات متعددة من القيادة.

وأوضح أن مؤسسات إيران صُممت لضمان استمرار الدولة حتى في حال اغتيال عدد من كبار قادتها، ما يجعل فكرة «الضربة القاضية السريعة» غير مرجحة. ومع اتضاح أن هذا الرهان لم ينجح، يرى ديفيرو أن الإدارة الأمريكية أصبحت «رهينة لتطورات لا تستطيع السيطرة عليها».

وأشار إلى أن الحروب مع إيران تحمل طبيعة «الفخ التصعيدي»، حيث يصبح من الصعب على أي طرف التراجع بعد بدء المواجهة، ليس بسبب كمائن عسكرية مباشرة، بل نتيجة تراكم الالتزامات السياسية والعسكرية والاقتصادية. وأضاف أن الردّ الإيراني على الضربات الأمريكية والإسرائيلية حزيران/يونيو 2025 كان محدودًا نسبيًا، إلا أن إعلان أهداف تتعلق بتغيير النظام دفع طهران لاحقًا إلى خطوات غير مسبوقة، بينها تهديدات بإغلاق مضيق هرمز، ما تسبب بارتفاع حاد في أسعار الطاقة عالميًا.

ويرى ديفيرو أن التهديد بإغلاق المضيق، إلى جانب التكلفة الهائلة لأي احتلال لدولة يبلغ عدد سكانها نحو 90 مليون نسمة، هو ما ردع الإدارات الأمريكية المتعاقبة عن خيار الغزو المباشر. لكنه يحذّر من أن استمرار الحرب الحالية قد يجعل الانسحاب الأمريكي مكلفًا للغاية، إذ قد يعني ترك إيران قادرة على التأثير في الاقتصاد العالمي عبر التحكم بالممرات البحرية الحيوية.

ويخلص إلى أن الوضع الحالي يمثل «فخًا كلاسيكيًا للتصعيد»، حيث يؤدي استمرار القتال إلى إضعاف الطرفين اقتصاديًا وسياسيًا، بينما تجعل الكلفة المرتفعة للتراجع أي إنهاء سريع للحرب شبه مستحيل. ويضيف بلهجة حادة أن «هذه الحرب غبية إلى أقصى حدّ».

وتتوافق هذه القراءة مع تحذيرات محللين آخرين مثل إيلان غولدنبرغ، الذي أشار إلى أن الولايات المتحدة وإيران عالقتان بالفعل في ديناميكية تصعيد متبادل، خاصة مع إرسال مزيد من القوات الأمريكية إلى المنطقة، ما يُنظر إليه كإعداد لاحتمالات توسيع العمليات العسكرية. ويحذّر غولدنبرغ من أي مواجهة حول منشآت استراتيجية مثل جزيرة خرج قد تؤدي إلى ردود إيرانية واسعة تطال البنية التحتية للطاقة في الخليج.

وفي تحليل إضافي، يرى الباحث نيكولاس غروسمان أن إيران قد تسعى لإطالة أمد الأزمة بهدف إلحاق ضرر اقتصادي متزايد بالولايات المتحدة، ما يمنحها ورقة ضغط استراتيجية غير مسبوقة. ويعتبر أن طهران، إذا تمكنت من الصمود أمام القصف، ستعزز موقعها الردعي عبر قدرتها على التأثير في الاقتصاد العالمي، وهو ما لا يمكن لواشنطن تجاهله بسهولة.

ويحذّر غروسمان من أن الحسابات السياسية في واشنطن قد تمنع ترامب من التراجع، خوفًا من أن يُنظر إليه كخاسر في المواجهة، ما قد يدفع نحو استمرار الحرب أو تصعيدها بدل إنهائها. ويختم بأن السيناريو الأكثر ترجيحًا هو حالة من الجمود العسكري أو تصعيد متقطع، مع تداعيات اقتصادية وإنسانية متزايدة على مستوى العالم.

لبنان وشهر على الحرب: سيناريو منطقة
عازلة حتى الليطاني والمواجهة تشتد ضراوة

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

بعد مرور شهر ويومين على بدء الحرب بين إسرائيل و«حزب الله» تشهد الحرب المفتوحة على الجبهة الجنوبية كل يوم فصلاً جديداً من التصعيد الذي ينذر بأن هذه الحرب ستطول في ضوء إصرار كل طرف على فرض أمر واقع على الأرض يتجاوز مفاعيل اتفاق وقف الأعمال العدائية في 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2024.

وبحسب المعلومات فإن هذه الحرب ستشتد ضراوة خصوصاً في حال توقفت الحرب على الجبهة الإيرانية، وبدا أن إسرائيل لا تكتفي باستهداف قادة عسكريين من «حزب الله» بل أرادت استكمال استهداف شبكة أموال «الحزب» بعدما هاجمت فروع جمعية «القرض الحسن» في معظم المناطق اللبنانية من خلال تهديد قطاع الصرافة المرتبط بـ «الحزب» ومواصلة قصف محطات الوقود التابعة له والمسماة محطات «الأمانة». وفي آخر التهديدات ما توعّد به وزير الحرب الإسرائيلي يسرائيل كاتس أمين عام «حزب الله» الشيخ نعيم قاسم وزملاءه «بأنهم سيدفعون ثمناً باهظاً لإطلاق صواريخ على إسرائيل خلال عيد الفصح». وقال: «سنطهّر جنوب لبنان من حزب الله وداعميه وسنقتلع أنياب الأفعى لحزب الله في لبنان بأكمله».

وقد توقف رئيس الحكومة نواف سلام عند «مواقف المسؤولين الإسرائيليين وممارسات جيشهم التي تكشف عن أهداف أبعد مدى، فهي تتضمن توسعاً كبيراً في احتلال الأراضي اللبنانية، وكلاماً خطيراً عن إنشاء مناطق عازلة أو أحزمة أمنية». وقال «إن لبنان أصبح ضحيةَ حرب لا يمكن أن يجرّم أحد بتداعياتها أو موعد انتهائها»، موضحاً «أن شهرًا انقضى على حربٍ مدمّرة، حذّرنا منها وخشيَ معظم اللبنانيينَ اندلاعها ورأوا أنها فُرضت على بلدنا». وأضاف «لقد مضى شهرٌ على إعلان مجلس الوزراء رفضه التام لأي عملٍ عسكري خارج مؤسسات الدولة الشرعية، وتأكيده أن قرار الحرب والسلم يجب أن يبقى حصراً بيد الدولة. وأرى لزاماً علي اليوم، وعلى مجلس الوزراء، أن نُجدد حرصنا على تجنيب لبنان المزيد من المآسي والخسائر جراء الاعتداء على سيادته وعلى مدنه وقراه. كما أجدد التزامنا العمل بالوسائل المتاحة كافةً من أجل وقف الحرب».

ميدانياً، يستنفر «حزب الله» وحداته القتالية في معركته الوجودية والدفاعية عن البر، وتعكس عملياته قدرة على إدارة الجبهة وتثبيت كلفة عالية للجيش الإسرائيلي بالتزامن مع قصف للعمق يطال حيفا وصفد وبدء استخدام صواريخ أرض جو لإعاقة حركة المسيرات في الأجواء وبنسبة أقل حركة الطائرات الحربية.

في المقابل، يصرّ جيش الاحتلال على مواصلة التوغل للوصول إلى خط نهر الليطاني لإقامة منطقة أمنية في الجنوب على خط دفاعي ضد الصواريخ المضادة للدبابات. وقد توعّد وزير الحرب الإسرائيلي يسرائيل كاتس «بتدمير كل المنازل في القرى القريبة من الحدود على غرار ما جرى في رفح وبيت حانون في قطاع غزة»، مشيراً إلى أن جيشه «سيُحكم سيطرته الأمنية على المنطقة بأكملها حتى نهر الليطاني، في عمق يمتد لمسافة تناهز 30 كيلومتراً عن الحدود». وأضاف «إن 600 ألف لبناني ممن هجرتهم إسرائيل من جنوب نهر الليطاني لن يتمكنوا من العودة قبل ضمان سلامة سكان شمال إسرائيل».

ولتحقيق هذا الهدف لم تتورع إسرائيل عن استهداف قوات «اليونيفل» في الجنوب التي سقط لها ثلاثة شهداء من الكتيبة الاندونيسية لدفعها إلى التراجع وإعادة التموضع كما فعل الجيش اللبناني في العديد من القرى والنقاط المتقدمة.

وقد أدانت دول الاتحاد الأوروبي «الهجمات على وحدات اليونيفيل التي تسببت في وقوع خسائر غير مقبولة في صفوف قوات حفظ السلام»، وحثّت «جميع الأطراف، تحت كل الظروف، على ضمان سلامة وأمن أفراد اليونيفيل ومبانيها، وفقاً للقانون الدولي»، مثنية «على عملها الاستثنائي في هذه الظروف الصعبة».

وفي بيان مشترك وزعته بعثة الاتحاد الأوروبي في شأن لبنان، أعرب وزراء خارجية بلجيكا وكرواتيا وقبرص وفرنسا واليونان وإيطاليا ومالطا وهولندا والبرتغال والمملكة المتحدة، والممثلة العليا للاتحاد الأوروبي، عن «دعمهم الكامل للبنان، حكومةً وشعباً، الذي يعاني مرة أخرى العواقب المأسوية لحرب ليست حربه»، ورأوا «أن المسؤولية عن هذا الوضع تقع على عاتق حزب الله». ودعوا إسرائيل «إلى تجنب توسيع النزاع، بما في ذلك من خلال عملية برية على الأراضي اللبنانية»، مؤكدين «بقوة على ضرورة احترام سلامة أراضي لبنان». وأيّدت الدول «القرارات التاريخية الشجاعة التي اتخذتها الحكومة اللبنانية»، ودعت «إلى مفاوضات سياسية مباشرة بين لبنان وإسرائيل، من شأنها أن تساهم في وضع نهاية دائمة للنزاع وتهيئة الظروف لتعايش إقليمي سلمي.

القرى الحدودية

في غضون ذلك، تفاعل قرار قيادة الجيش اللبناني سحب وحداتها من القرى الجنوبية الحدودية وخصوصاً القرى المسيحية كرميش ودبل وعين إبل التي يعيش فيها حوالي 11 ألف نسمة يعاندون الظروف الصعبة وقرروا الصمود والبقاء في قراهم وعدم مغادرتها. وقد ترك مشهد انسحاب ملالات الجيش اللبناني صدمة لدى الأهالي الذين تُركوا لمصيرهم.

وقد أعادت هذه القضية إلى الأذهان ما عاشته تلك المنطقة خلال مرحلة الحرب الأهلية وانقسام الجيش اللبناني وبروز مرحلة الرائد سعد حداد. وقد تكثفت الاتصالات السياسية والدبلوماسية لحماية هذه القرى وتأمين ممر إنساني يربطها بالعمق اللبناني. وبرز في هذا الإطار دور المجلس السفير البابوي المطران باولو بورجيا الذي زار المنطقة ثلاث مرات وأكد دعمه للأهالي وشوهد يحمل على كتفه المساعدات الإغاثية لهم، ما جعل مجلس المطرانة الموارنة برئاسة البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي وأكثر من هيئة تنظيم وقفة احتجاجية في العاصمة اللبنانية تخللتها هتافات ضد رئيس الحكومة نواف سلام واتهامات بأنه «صهيوني». وفي غياب أي تسوية لقضية السفير الإيراني، تحافظ السلطات اللبنانية على موقفها وترفض التراجع عن قرارها وتمتنع طهران عن تعيين سفير جديد لها بديل عن شيباني، فيما يتعاطى الثنائي الشيعي مع قرار الخارجية وكأنه لم يكن.

العلاقة اللبنانية الإيرانية

على خط العلاقة اللبنانية الإيرانية، تستمر هذه العلاقة بالتدهور بعد قرار الخارجية اللبنانية سحب أوراق اعتماد السفير الإيراني محمد رضا شيباني ورفضه الانصياع للطلب منه مغادرة بيروت. وقد عبّر هذا القرار عن تحوّل سيادي واضح بفك ارتباط لبنان مع إيران والتأكيد أنه ليس جزءًا من المحور الإيراني، ولا ساحة تفاوض بالنيابة، ولا أن عاصمته تحت الاحتلال الإيراني، بل دولة مستقلة تحدد خياراتها انطلاقًا من مصالحها العليا. وجاء تمرد السفير شيباني نتيجة الاستقواء بالثنائي الشيعي «حركة أمل» و«حزب الله» اللذين طلبا منه البقاء وتم إنسانية.

ولم تعد الأزمة داخلية لبنانية فحسب بل باتت بين بيروت وطهران خصوصاً بعد أي مواجهة مع الحرس الثوري الإيراني هو من يقف وراء إطلاق صاروخ بالبيستي في اتجاه منطقة كسروان والمتن بعد أزمة السفير حيث تم اعتراضه وتفجيره في الأجواء مع ترجيح توجيهه في اتجاه السفارة الأمريكية في عوكر. ولم تتوقف المسألة عند هذا الصاروخ بل أعقبه إطلاق مسيّرة انقضاضية من طراز «شاهد» انفجرت في وسط البترون وكان مرجحاً أن يكون هدفها «قاعدة حامات الجوية» التابعة للجيش اللبناني والتي تستخدمها قوات أميركية لدواع لوجستية.

ومن شأن التأكد من وجهة الصاروخ والمسيّرة أن يُفاقم الأزمة الدبلوماسية إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية، ولاسيما بعد الإعلان عن مقتل ستة دبلوماسيين إيرانيين بين الحازمية والروشة لتُفاجأ الأوساط الرسمية اللبنانية بأن طهران نعتهم من خلال صورهم بالزي العسكري ما يعني أن صفتهم ليست دبلوماسية بل عسكرية وأنهم كالسفير مجتبى أماني الذي كان يحمل جهاز «بيجر» وانفجر بيده كما حال عناصر «حزب الله».

وسط هذه الأجواء، تشهد الساحة الداخلية مخاوف وتهديدات بحرب أهلية بعد انتهاء الحرب، ووصل الأمر بنائب رئيس المجلس السياسي في «الحزب» محمود قماطي إلى حد التهديد بقلب البلد والحكومة وتنفيذ اعدامات كما حصل مع حكومة «فيشي». غير أن قيادياً مسيحياً أعرب عن اعتقاده أن تهديدات «الحزب» بتنفيذ 7 أيار/مايو جديد هي في غير محلها، لأن لا إمكانية للحزب بتنفيذ تهديداته نظراً لانشغاله حالياً بحربه ضد إسرائيل.

الفصائل العراقية توسّع عملياتها الخارجية:
خمس دول خليجية ومجاورة في دائرة النار

بغداد ـ «القدس العربي»:
مشرق ريسان

صعّدت الفصائل العراقية المنضوية في ائتلاف ما يعرف بـ«المقاومة الإسلامية»، من حدّة تهديداتها لخمّس دول خليجية (السعودية والإمارات، والكويت) ومجاورة (الأردن، وسوريا)، محذّرة إياها من مغبة التورط في الحرب الدائرة منذ 28 شباط/فبراير 2026 بين إيران ومن جهة، والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من جهة ثانية، ملوّحة بـ«اجتياح» الكويت وسوريا في حال سمحت باستخدام أراضيها لتنفيذ هجوم بري ضد إيران.

وهاجمت «تنسيقية المقاومة العراقية»، التي تضم الفصائل المسلحة، حكام الأردن والسعودية والإمارات لمواقفهم تجاه الحرب ضد إيران، فيما حثت على عدم الإضرار بمصالح دولة قطر تقديراً لمواقفها تجاه القضية الفلسطينية و«محور المقاومة».

بيان صحافي لتنسيقية المقاومة ذكر: «شكرٌ وتقديرٌ لشعبنا العراقي الأبيّ، على مواقفه الداعمة لمحور المقاومة، تلك المواقف التي لم تزدنا إلا فخراً وصموداً، فأنتم كما عهدناكم دوماً، أنصاراً للحق، ثابتين في زمن يتزلف فيه أصحاب القرار الحكومي وأغلب القادة السياسيين لقوى الاستكبار الصهيوأمريكي أعداء الإسلام والإنسانية».

وأضاف أن «انحياز حكام الأردن والسعودية والإمارات لإجرام العدو الصهيوأمريكي ضد الجمهورية الإسلامية، وغدرهم بالشرفاء من أحرار العراق؛ يمثل ذروة الدناءة والخسة، مما يستوجب ردعاً حازماً من الحكومة العراقية يبدأ بمعاقبة الأردن على وجه الخصوص، باعتباره أحد منطلقات طائرات الأعداء التي تستهدف مجاهدي الحشد الشعبي والقوات الأمنية العراقية، وذلك بإغلاق المنفذ البري تماماً، وإيقاف هبات النفط العراقي الذي يقتاتون عليه، ليكون ذلك درساً وعبرةً لكل من خان قضايا أمته»، على حدّ البيان.

وأكدت التنسيقية أنه «في الوقت الذي نؤكد فيه أن المقاومة العراقية استهدفت في الأيام الأولى القوات الأمريكية في الكويت، فإنها تجنّبت الإضرار بمصالحها الاقتصادية وبُناها التحتية».

وفيما حثّت على «عدم الإضرار بمصالح دولة قطر –دون القواعد الأمريكية– تقديراً لما يُحسب لها من مواقف مسؤولة تجاه القضية الفلسطينية ومحور المقاومة»، محذّرة الدول التي قالت بأنها «متحالفة مع العدو» من «تداعيات تسخير أراضيها للاعتداء على الجمهورية الإسلامية».

ورغم اللغة التصعيدية الواردة في بيان الفصائل، غير أن تصريح الأمين العام لكتائب «سيد الشهداء» المنضوية في «الحشد الشعبي»، وأحد أقطاب «الإطار التنسيقي» الشيعي، أبو آلاء الولائي، الأخيرة، حمّلت تهديداً مباشراً باجتياح الكويت وسوريا إذا ما أقدمت القوات الأمريكية على استخدام الكويت كنقطة انطلاق لهجوم بري على إيران، أو تحققت «الأنباء» عن نية الرئيس السوري أحمد الشرع في اجتياح لبنان.

بيان صحافي للولائي قال إنه «بعد دخول الحرب الأمريكية شهرها الثاني ضد إيران، وفشلها في تحقيق أهدافها المعلنة، بدأت تتصاعد التهديدات الأمريكية باجتياح بري لأراضي إيران، والانتقال من المعركة المحدودة إلى الحرب الشاملة».

وأشار إلى أنه «في حال أقدمت القوات الأمريكية على استخدام الأراضي الكويتية كنقطة انطلاق للهجوم على إيران، فإن ذلك سيُعتبر كسرًا للحدود الأمنية الإقليمية».

وتابع: «تتداول أنباء عن نية الشرع كسر الحدود والتحرك داخل الأراضي اللبنانية، بما يخدم القوات الإسرائيلية ضد لبنان».

ولفت إلى أنه «إذا تحقق أي من هذين السيناريوهين، فإن ذلك سيدفع محور المقاومة حتمًا إلى اتخاذ خطوات مماثلة، وفق معادلة الرد بالمثل في كسر الحدود الإقليمية».

وكانت الفصائل قد نفذت بالفعل عمليات عسكرية «بالمسيّرات» انطلقت من الأراضي العراقية، نحو أهداف في الداخل السوري.

ووفق نائب وزير الدفاع السوري سمير علي أوسو، فقد تعرضت قاعدة قسرك الأمريكية داخل الأراضي السورية لهجوم بأربع طائرات مسيّرة انطلقت من الأراضي العراقية، مؤكدًا إسقاطها من دون تسجيل خسائر.

وقال أوسو، في «تدوينة» الأسبوع الماضي، إن «دمشق تدين الهجوم الذي استهدف المنطقة الشرقية من البلاد»، محمّلا العراق «مسؤولية منع تكرار هذه الهجمات التي تهدد الاستقرار».

كما سبق أن أعلن الجيش السوري التصدي لهجوم آخر بالمسيّرات استهدف قاعدة التنف جنوب البلاد، مشيرًا إلى أن الطائرات انطلقت من الأراضي العراقية، وتم إسقاطها قرب القاعدة الواقعة على الحدود مع العراق والأردن. ويبدو أن الفصائل العراقية بدأت تتخذ خطوات عملية لتفعيل مبدأ «وحدة الساحات»، خصوصاً بعد أن رحبت كتائب «حزب الله» في العراق– أبرز الفصائل العراقية، بدخول «الحوثيين» في اليمن رسمياً في الحرب، بالإضافة إلى تلويحها بانضمام فصائل «سورية» أيضاً.

في الأسبوع الماضي، تحدث الأمين العام «للكتائب»، أبو حسين الحميداوي، في بيان قائلاً: «دخول ليوث اليمن إلى جبهة المقاومة في الحرب الدفاعيّة المقدسة ضد العدو الصهيوأمريكي الذي استهدف حرم الجمهورية الإسلامية، وقوى المقاومة في المنطقة، يُمثّل مدداً ربانياً، وإضافةً نوعيةً نستشرف فيها بشائر الخير والبركة؛ تصديقاً وتحقيقاً للوعد الصادق».

وأضاف: «إننا إذ نستشعر حجم الظروف الاستثنائية التي كبّلت الإخوة في فلسطين، وتكالب الأعراب عليهم، نرقب منهم وثبة –ولو بيسير الجهد– نيلاً لشرف الذود عن حياض الإسلام المحمدي، وصوناً لكرامة الإنسان؛ فحزب الله –وهو دُرَّة تاج المقاومة وعماد صرحها– لا يُترك وحيداً، وقد جاد بالنفس والنفيس قُرباناً لقضية فلسطين، وما ملاحم (طوفان الأقصى) إلا شاهد صدق على عظيم بذله واستثنائية مواقفه».

وحسب الحميداوي فقد أشار إلى أن «مآقينا ترنو إلى شرفاء أهل الشام؛ ليمحوا ببطولاتهم ووهج تضحياتهم درن خيانة (الجولاني) وزمرته التي ارتهنت لمشاريع الأعداء، فالميدان اليوم يفتح أبوابه لأحرار سوريا كي يعيدوا مكانتها المسلوبة، وفاءً لمسيرة المقاومة التي لم تهادن يوما الصهاينة»، على حدّ وصفه.

وأكد أيضاً أن «مضاعفة عدد العمليات النوعية ضد القوات الأمريكية –لا الكمية– هي التي تُخضع الأعداء، وبقوة الله وعونه سنشاهد المجاهدين في العراق يسحقون رأس المعتدي الأمريكي».

وزاد: «لقد تآمر المجرم (ترامب)، ومعه السفاح (النتن ياهو)، لزعزعة أمن واستقرار الجمهورية الإسلامية، وتأليب شعبها الأبي على قيادته، فأبى الله إلا أن يردَّ كيدهما في نحورهما؛ حيث ثار الشارع الأمريكي على غطرسة ترامب وسياساته ونأمل أن نشاهد قريباً زلزلة الصهاينة من الداخل».

واعتبر أن «الحرب في مفهومنا هي صراع إرادات، وقد لاح في الأفق انكسار إرادة الأعداء».

جولة خليجية لأمير قطر لتعزيز التنسيق الإقليمي في ظل التصعيد

الدوحة ـ «القدس العربي»:
حامد محمد

شهدت دولة قطر خلال الأسبوع الماضي نشاطاً سياسياً ودبلوماسياً مكثفاً على المستويين الإقليمي والدولي، في ظل التطورات الأمنية المتسارعة التي تشهدها المنطقة، ويأتي على رأس هذا النشاط جولة خليجية لأمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، ولقاءات واتصالات دبلوماسية رفيعة المستوى، إلى جانب نشاط دفاعي مكثف وتأكيدات رسمية على قوة الاقتصاد القطري واستقراره رغم التحديات.

استهل الشيخ تميم بن حمد آل ثاني تحركات الأسبوع بزيارة أخوية إلى مدينة جدة في المملكة العربية السعودية، بحث خلالها مع الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، مستجدات الأوضاع الإقليمية والدولية، والجهود المبذولة لخفض التصعيد وتعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة، في ظل التطورات المتسارعة التي تشهدها المنطقة.

كما تناول اللقاء تداعيات التصعيد العسكري على أمن واستقرار المنطقة، إضافة إلى انعكاساته المحتملة على إمدادات الطاقة العالمية واستقرار أسواقها، حيث أكد الجانبان أهمية مواصلة التنسيق والتشاور بين البلدين لمواجهة التحديات الراهنة.

وفي إطار التنسيق الإقليمي، عقد أمير قطر اجتماعاً ثلاثياً في جدة ضم ولي العهد السعودي وملك الأردن عبدالله الثاني بن الحسين، واستعرض القادة خلال الاجتماع مستجدات الأوضاع الإقليمية والدولية، والجهود المبذولة لاحتواء التوترات وخفض التصعيد.

وأكد القادة أهمية توحيد الجهود وتنسيق المواقف لمواجهة التحديات الراهنة، بما يسهم في تعزيز أمن المنطقة واستقرارها وحماية مصالح شعوبها.

وفي سياق الجولة الخليجية، توجه الشيخ تميم بن حمد آل ثاني إلى العاصمة الإماراتية أبو ظبي، حيث التقى الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة.

وتناول اللقاء تطورات الأوضاع الإقليمية والدولية، والمساعي المبذولة لاحتواء التوترات في المنطقة، كما بحث الجانبان سبل تعزيز العمل المشترك والتنسيق بين البلدين لمواجهة التحديات الراهنة.

وأكد أمير قطر خلال اللقاء أهمية الحلول الدبلوماسية في تسوية النزاعات، وضرورة تعزيز العمل المشترك للحفاظ على أمن المنطقة واستقرارها.

استقبالات رسمية

إلى جانب تحركاته الخارجية، استقبل أمير قطر عدداً من المسؤولين الدوليين في الدوحة لبحث تطورات الأوضاع الإقليمية وتعزيز التعاون الثنائي.

وعقد أمير قطر اجتماعاً مع الرئيس فيليكس تشيسيكيدي رئيس جمهورية الكونغو الديمقراطية، حيث استعرض الجانبان تطورات الأوضاع الإقليمية والدولية.

وأعرب الرئيس الكونغولي خلال اللقاء عن تضامن بلاده مع دولة قطر، ودعمها للإجراءات التي تتخذها لحماية سيادتها وأمنها في ظل التحديات الراهنة.

كما استقبل وزير الدفاع في المملكة المتحدة جون هيلي، حيث جرى استعراض علاقات التعاون بين البلدين وسبل تعزيزها، خاصة في المجالات الدفاعية والعسكرية، إضافة إلى بحث تطورات الأوضاع في المنطقة.

واستقبل الشيخ تميم بن حمد، وزير الدفاع الوطني في جمهورية اليونان نيكولاوس جورجيوس ديندياس، حيث تناول اللقاء تداعيات التوترات الإقليمية على الأمن والاستقرار، إضافة إلى بحث سبل تعزيز التعاون العسكري والأمني بين البلدين.

من جانبه، واصل الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن جاسم آل ثاني رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية تحركاته الدبلوماسية المكثفة، حيث شدد في عدد من اللقاءات والاتصالات الدولية على ضرورة وقف الاعتداءات الإيرانية غير المبررة على قطر ودول المنطقة.

وأكد خلال اتصالات هاتفية مع وزراء خارجية كل من المملكة المتحدة وألمانيا وهولندا وبنما، أهمية العودة إلى طاولة الحوار وتغليب لغة العقل والحكمة لاحتواء الأزمة.

وحذر رئيس مجلس الوزراء من مخاطر الاستهداف غير المسؤول للبنية التحتية الحيوية، خاصة المنشآت المرتبطة بالمياه والغذاء والطاقة، لما قد يترتب عليه من تداعيات خطيرة على الأمن الإقليمي والدولي.

وفي هذا السياق، استقبل وزير الدفاع البريطاني جون هيلي ووزير الدفاع اليوناني نيكولاوس ديندياس، حيث جرى بحث تطورات التصعيد العسكري في المنطقة وسبل تعزيز التعاون الدفاعي بين قطر وهذه الدول.

وشدد خلال اللقاءات على ضرورة تعزيز التنسيق الدولي لمواجهة التحديات الأمنية، والعمل على حل الخلافات بالوسائل السلمية.

تعزيز التنسيق الدفاعي

على الصعيد الدفاعي، أجرى الشيخ سعود بن عبدالرحمن بن حسن آل ثاني نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدولة لشؤون الدفاع سلسلة من اللقاءات والاتصالات مع عدد من نظرائه في الدول الصديقة.

فقد التقى وزير الدفاع البريطاني جون هيلي خلال زيارته للدوحة، حيث جرى بحث آخر المستجدات الأمنية في المنطقة وسبل تعزيز التعاون الدفاعي بين البلدين.

كما التقى وزير الدفاع اليوناني نيكوس ديندياس، حيث ناقش الجانبان أوجه التعاون العسكري والتنسيق المشترك في ظل التطورات الإقليمية الراهنة.

وأجرى أيضاً اتصالين هاتفيين مع وزير الدفاع الإيطالي غويدو كروسيتو ووزير الدفاع السويدي بول جونسون، حيث جرى استعراض تطورات الأوضاع الأمنية في المنطقة وتعزيز التعاون الدفاعي بين الجانبين.

وأكد الدكتور ماجد بن محمد الأنصاري مستشار رئيس مجلس الوزراء والمتحدث الرسمي لوزارة الخارجية في الإحاطة الأسبوعية لوزارة الخارجية، أن القوات المسلحة القطرية أثبتت قدرة كبيرة على حماية البلاد والتصدي للهجمات.

وأشار الأنصاري إلى أن القوات المسلحة نجحت في إحباط أكثر من 90 في المئة من الهجمات التي استهدفت قطر خلال الفترة الماضية، مؤكداً أن البلاد ليست هدفاً سهلاً لأي اعتداء.

وشدد على أن دولة قطر تقف ضد استهداف المنشآت الحيوية والمدنية، محذراً من أن استهداف منشآت الطاقة يمثل خطوة خطيرة قد تكون لها تداعيات واسعة، كما أكد أن قطر تدعم الجهود الدبلوماسية الرامية إلى خفض التصعيد، مرحباً بالمبادرات الدولية التي تهدف إلى تحقيق الاستقرار في المنطقة.

وشهدت دولة قطر خلال الأسبوع الماضي سلسلة من الهجمات التي استهدفت أجواءها ومياهها الاقتصادية، حيث أعلنت وزارة الدفاع في أكثر من بيان عن تعرض البلاد لهجمات بطائرات مسيرة وصواريخ أطلقت من إيران.

وأكدت الوزارة أن القوات المسلحة القطرية نجحت في التصدي لمعظم هذه الهجمات، إذ تمكنت الدفاعات الجوية من اعتراض عدد من الطائرات المسيّرة في عدة حوادث متفرقة.

كما أعلنت الوزارة عن استهداف قطر بثلاثة صواريخ كروز، حيث تم اعتراض صاروخين منها، فيما أصاب الصاروخ الثالث ناقلة نفط مؤجرة لقطر للطاقة في المياه الاقتصادية للدولة. وأوضحت الجهات المعنية أنه تم التعامل مع الحادثة بسرعة وإخلاء الناقلة التي كان على متنها 21 فرداً بدون تسجيل أي خسائر بشرية، فيما جرى اتخاذ الإجراءات اللازمة والتنسيق مع الجهات المختصة لضمان سلامة الطاقم وتأمين الموقع.

على الصعيد الاقتصادي، أظهرت المؤشرات استمرار قوة الاقتصاد القطري رغم التحديات الإقليمية، فقد أعلنت وكالة فيتش للتصنيف الائتماني أن مشروع «غولدن باس» للغاز الطبيعي المسال في الولايات المتحدة، والذي تمتلك قطر للطاقة 70 في المئة من أسهمه، حقق إنجازاً مهماً ببدء إنتاج الغاز من أولى خطوطه الثلاثة.

ومن المتوقع أن يبدأ تصدير الغاز الطبيعي المسال من المشروع في الربع الثاني من عام 2026، بطاقة إنتاجية تبلغ 18 مليون طن سنوياً.

كما توقعت الوكالة أن يبلغ متوسط الإنفاق الرأسمالي لشركة قطر للطاقة نحو 37.5 مليار ريال سنوياً حتى عام 2029، في إطار خطط التوسع في إنتاج الغاز الطبيعي المسال، وأشارت إلى أن المرحلة الأولى من توسعة حقل الشمال ستبدأ الإنتاج في عام 2026، فيما يتوقع أن تبدأ المرحلة الثانية بحلول عام 2028.

وأكدت «فيتش» أن الاقتصاد القطري يتمتع بمرونة كبيرة، مدعوماً بأصول سيادية ضخمة تصل إلى نحو 226 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، وهو ما يعزز قدرة الدولة على مواجهة التقلبات الاقتصادية الإقليمية والعالمية.

كما أظهرت بيانات المجلس الوطني للتخطيط أن الناتج المحلي الإجمالي لدولة قطر بلغ نحو 734.5 مليار ريال في عام 2025، مسجلاً نمواً سنوياً يتجاوز 3 في المئة مقارنة بعام 2024.

أذرع إيران وخلاياها النائمة:
تحد قديم – جديد لدول الخليج يُضاف إلى الصواريخ البالستية

رلى موفّق

لم يكن مستغرباً إعلانٍ أربع دول خليجية، على نحو متزامن تقريباً، عن كشف خلايا نائمة على أراضيها مرتبطة بإيرانٍ وأذرعها العسكرية. فبناء شبكات سرية يُشكل الوجه الآخر للاستراتيجية الإيرانية في التغلغل في الدول، حيث لا هيمنة مباشرة عليها، بهدف بناء أدوات نفوذ وخلق بنى تحتية جاهزة يمكن تفعيلها عند الحاجة، سواء لأغراض الضغط السياسي أو التصعيد الأمني وحتى الاقتصادي – المالي. إنه الوجه المكمل للأذرع العسكرية والأمنية التي بنتها على أُسس عقائدية ومذهبية في دول المنطقة من لبنان والعراق إلى اليمن، وحيث يمكن لأقدامها أن تصل إلى قارات العالم.

فوفق بيانات رسمية، أظهر رصد ضبط تسع خلايا مرتبطة بإيران وأذرعها، وعلى رأسهم «حزب الله»، في قطر، والبحرين، والكويت، والإمارات، خلال 27 يوماً. وتُشير البيانات إلى أن هذه الخلايا، التي بلغ عدد أفرادها نحو 74 شخصاً من جنسيات متعددة، كانت منخرطة في أنشطة تتراوح بين التخابر، وجمع الأموال، والتخطيط لعمليات تستهدف شخصيات ومصالح حيوية.

تتسم هذه الخلايا بعدة خصائص مشتركة. أولها: الطابع الشبكي، حيث تعمل ضمن مجموعات صغيرة مترابطة، ما يصعّب كشفها دفعة واحدة. ثانيها: الارتباط الخارجي، سواء عبر قنوات مباشرة أو غير مباشرة، مع جهات مرتبطة بإيران، بما في ذلك «حزب الله»، الذي يلعب في كثير من الأحيان دور الوسيط أو المشغِّل في مثل هذه العمليات. أما ثالثها: فتنوّع المهام، إذ لا تقتصر على العمل الأمني، بل تشمل أيضاً اختراقات تجارية واقتصادية وتمويلية. ترتبط هذه الشبكات، في كثير من الحالات، بجهات وسيطة مثل «حزب الله»، الذي يلعب دوراً محورياً في نقل الخبرات وتدريب العناصر وإدارة بعض العمليات، ولا سيما في الكويت والبحرين. فتتحوَّل العلاقة إلى شبكة متعددة المستويات، حيث لا تكون إيران دائماً في الواجهة، بل تُدير نفوذها من الخلف عبر طبقات من الأذرع وأدواتها المالية والاقتصادية.

ويعكس اكتشاف هذه الخلايا قدرات الأجهزة الأمنية الخليجية، على رصد وتعقب هذا النوع من التهديدات المعقدة؛ وهي ليست مجرد تهديد أمني عابر، بل مؤشر على طبيعة الصراع في المنطقة، الذي بات يُدار عبر منظومات معقدة تجمع بين العمل العلني والسرّي. فإيران لا تعتمد على أداة واحدة، بل على منظومة متكاملة تشمل الميليشيات، والشبكات السياسية، والخلايا الأمنية، في إطار استراتيجية طويلة الأمد كانت تهدف، على الدوام، إلى ترسيخ نفوذها الإقليمي. وكشفت اعتداءات النظام العقائدي – الذي يُمطر الدول الخليجية بالصواريخ البالستية والمسيَّرات في عدوان صارخ تحت ذريعة استهداف القواعد الأمريكية، منذ الحملة العسكرية الأمريكية – الاسرائيلية على إيران في 28 شباط/فبراير الماضي – أنَّ التعامل مع الاعتداءات والتهديدات الإيرانية هو تحدٍ استراتيجي طويل الأمد.

كان واضحاً لدول الجوار أن بناء الجمهورية الإسلامية الإيرانية مرتكزاتها على مفهوم «تصدير الثورة الإسلامية» يحمل أخطاراً جمَّة على أمنها القومي وبيئاتها المجتمعية في الداخل، بقدر ما يحمله ملفها النووي.

شكّلت مسألة أذرعها الإقليمية وبرنامجها الصاروخي أحد أبرز مطالب واشنطن وحلفائها منذ انخراط إيران في مسار التفاوض مع الولايات المتحدة، وخصوصاً في السنوات التي سبقت توقيع الاتفاق النووي الإيراني 2015. غير أن طهران نجحت، إلى حدّ كبير، في تحييد هذين الملفين عن طاولة المفاوضات، وحصرِ النقاش في الملف النووي، وهو ما اعتبر إنجازاً استراتيجياً بحد ذاته.

اعتمدت إيران مقاربة تفاوضية واضحة تقوم على مبدأ الفصل بين الملفات، باعتبار أن برنامجها النووي هو الموضوع الوحيد القابل للتفاوض، بينما الصواريخ الباليستية ودعم الحلفاء في المنطقة هما «شأنان سياديان» غير قابلَين للنقاش. كان هذا الموقف، ولا يزال، جزءاً من استراتيجية مدروسة لحماية عناصر القوة الأساسية في مشروعها الإقليمي. وقد نجحت، مدعومة بتفاهمات مع قوى دولية أخرى، في حصر الاتفاق في الجوانب النووية التقنية. وساعدها في ذلك رغبة القوى الكبرى في التوصل إلى اتفاق سريع يمنع تطوُّر البرنامج النووي، حتى لو كان ذلك على حساب ملفات أخرى. وأتاح لها تباين مواقف القوى الدولية، المناورة وتفادي الضغوط القصوى.

خلال العقدين الماضيين ما بعد الغزو الأمريكي للعراق في 2003، وتوقيع الاتفاق النووي في 2015، تمددت إيران عبر أذرعها وخلاياها في المنطقة بشكل كبير لخلق وقائع ميدانية تجعل من نفوذها الإقليمي عنصراً يصعب التفاوض عليه، كما عملتْ – عبر أذرعها – على بناء شبكة الأمان لنظامها.

ما عاد هذا واقع إيران اليوم بعد هجوم السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2023 على إسرائيل الذي شنَّته حركة «حماس»، وبعد حرب الـ66 يوماً الإسرائيلية على «حزب الله» في لبنان، وحرب الـ12 يوماً على إيران، والحملة الأمريكية – الإسرائيلية التي يواجهها نظام الملالي منذ 28 شباط/فبراير الماضي ولا تزال تتوالى فصولاً، والتي طالت تداعياتها بشكل مباشر دول الخليج العربي.

تلعب طهران بكل أوراقها في هذه الحرب التي كانت ترى أنها واقعة لا محالة، وكانت تُطلق عليها تسمية «الحرب الأخيرة». استخدمت أذرعها – «حزب الله» والفصائل العراقية – واستهدفت المواقع الحيوية في دول الخليج وأغلقت مضيق هرمز وبدأت تستخدم ورقة الحوثي في اليمن والتلويح بإغلاق باب المندب، وحرَّكت خلاياها النائمة في دول خليجية، وتُبقي على هذه الورقة في ما خص أمريكا ودول الغرب التي رفعت منسوب الإجراءات احترازياً لأعمال تخريبية.

هي أخطار تفوق بحدتها ما يُشكِّله برنامجها النووي. ولم يعد ممكناً أن لا تكون جزءاً رئيسياً في أي حلول أو تسويات أو مفاوضات ستلي الحرب الدائرة اليوم مهما كان شكل انتهائها، سواء بوقف النار أو الهدنة أو الاستسلام أو إعلان أمريكا انتهاء مهمتها. باتت هذه الملفات توازي الملف النووي وربما تتقدَّمه من حيث الأهمية بالنسبة لأمن دول الخليج التي وجدت نفسها في قلب «الحريق»، كما بالنسبة لإسرائيل التي تنظر إلى المواجهة القائمة مع إيران وأذرعها على أنها مسألة وجودية.

يقول الرئيس الأمريكي إن حماية الحلفاء في المنطقة جزءٌ من حملته العسكرية، ويقصد هنا بـ«الحلفاء» دول الخليج، ولا سيما السعودية، والإمارات، وقطر، والكويت، والبحرين، فضلاً عن إسرائيل بالطبع. غير أن ذلك لا يمكنه أن يُشكل عامل اطمئنان صلباً للمنظومة الخليجية التي سبق أن استُبعدت من مفاوضات 2015، لا بل جاء الاتفاق النووي على حساب مصالحها وأمنها القومي.

القلق الخليجي مشروع ما دامت المواجهة الأمريكية – الإسرائيلية مع إيران مستمرة، وإمكانات تدحرج الحرب ممكنة، والنهائيات لم تُرسم بعد في المنطقة التي يُعاد تشكيلها من جديد.

بسبب حرب إيران أوروبا تنتفض في وجه ترامب عسكريا وسياسيا

لندن ـ «القدس العربي»: حسين مجدوبي

منذ عودة الرئيس دونالد ترامب إلى البيت الأبيض تزايد الشرخ بين الولايات المتحدة والدول الأوروبية إلى مستويات غير مسبوقة تهدد بانفصال حقيقي. ومن ضمن النتائج المترتبة عن هذا التوتر ارتفاع شعبية رؤساء الدول والحكومات الذين يواجهون حرب ترامب وإسرائيل ضد إيران، وانتقل الأمر إلى مواجهة شخصية كما يحدث بين ترامب ونظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون.

لعلّ من أبرز العناوين المثيرة في هذه الحرب أنّه، ولأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية، أقدمت واشنطن، إلى جانب إسرائيل، على شنّ هجوم ضد إيران دون إبلاغ حلفائها الأوروبيين، الذين علموا بالأمر عبر نشرات الأخبار. وهو أمر غير مسبوق تمامًا. وتؤكد مصادر عسكرية واستخباراتية أوروبية أنّه جرت العادة أن تُبلَّغ الدول الكبرى بأي عملية عسكرية أمريكية في أيّ مكان من العالم قبل ساعات من تنفيذها، بل أحيانًا قبل أيام. وتوضح هذه الجهات أنّ عملية الإخطار تخضع لاعتبارين رئيسيين:

أولهما أنّ البنتاغون يعتمد في عملياته على دعم لوجستي، مثل استخدام القواعد العسكرية الأمريكية في أوروبا أو في مناطق تابعة لدول أوروبية ما وراء البحار، كما هو الحال في قاعدة دييغو غارسيا البريطانية في المحيط الهندي. فعلى الرغم من رفض بعض الدول المشاركة في عمليات عسكرية معينة، كما حدث مع فرنسا وألمانيا خلال حرب العراق سنة 2003، فإنها غالبًا ما تقدّم تسهيلات، ولو في حدّها الأدنى، للجيش الأمريكي. ويبقى عدم إخبار الدول الحليفة هو تجاوز أعراف ملزمة بحكم انتماء كل الدول الغربية إلى منظمة شمال الحلف الأطلسي. أما الاعتبار الثاني، فيتمثل في أن أي حرب في الشرق الأوسط قد تفضي إلى عمليات إرهابية، نظرًا لحضور العامل الديني في هذه المواجهات، وهو ما قد يؤدي إلى ردود فعل انتقامية تندرج ضمن أعمال الإرهاب. ولذلك، عندما يعمل صناع القرار بحرب ما، تعطى الأوامر إلى الأجهزة الأمنية والاستخباراتية إلى رفع مستوى اليقظة والاستعداد.

من جانب آخر، ترفض الدول الأوروبية الدخول في مغامرة عسكرية ضد دولة بحجم إيران، في وقت لم يُغلق فيه بعد ملف أوكرانيا. ولم تقبل الدول الأوروبية، وخاصة فرنسا وألمانيا وبريطانيا، بسياسة ترامب التي يُحابي فيها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، لاسيما بعد محاولة دونالد ترامب فرض إيجاد حل للحرب من خلال إجبار كييف وأوروبا على قبول التنازل لموسكو عن المناطق الشرقية من أوكرانيا، وهي الأقاليم التي تدخل ضمن دونباس.

وترفض الدول الأوروبية دخول الحرب لأسباب عسكرية واقتصادية. وعلى الصعيد العسكري، تتخوف أوروبا من احتمال اندلاع حرب ضد روسيا بحلول سنة 2030، وترى أن ما ينبغي التركيز عليه حاليًا هو بناء أنظمة الدفاع على مستوى القارة، والتحول إلى قوة ردع حقيقية في مواجهة أي تهديد عسكري قادم من الكرملين. لقد فقدت أوروبا الكثير من صواريخ أنظمة الدفاع بسبب تزويد أوكرانيا بالسلاح طيلة الأربع سنوات الماضية، أي منذ اندلاع الحرب في شباط/فبراير 2022 من جهة، ومن خلال المشاركة في الدفاع عن إسرائيل خلال حرب غزة وخاصة في حرب حزيران/يونيو الماضي بين إسرائيل والولايات المتحدة ضد إيران من جهة أخرى. ويحدث هذا في وقت يهدد فيه الرئيس دونالد ترامب بمراجعة حقيقية لدور الولايات المتحدة في الحلف الأطلسي، وذلك بالانسحاب منه ويتحجج بأن الأوروبيين أعضاء غير أوفياء لواشنطن في هذه الحرب. وعلقت جريدة «الباييس» في افتتاحيتها يوم الجمعة من الأسبوع الجاري على هذا الموقف التهديدي بـ«هذا التعليق من ترامب بحد ذاته دليل على المدى الذي وصلت إليه الدولة التي بنت البنية الدبلوماسية والعسكرية والتجارية للغرب، لتصبح اليوم العامل الرئيسي المزعزع للاستقرار». وكان انتقاد الرئيس ماكرون لترامب بليغا الجمعة عند تعليقه على ما تصفه الصحافة بشطحات تصريحات الرئيس الأمريكي كل يوم أن «هذا ليس استعراضا. نحن نتحدث عن الحرب والسلام وحياة الرجال والنساء. يجب أن نتحلى بالجدية وألا نقول اليوم عكس ما قلناه بالأمس»، وتابع ماكرون «الكلام كثير، والأمور تتجه في كل اتجاه. نحن جميعًا بحاجة إلى الاستقرار والهدوء والعودة إلى السلام، فهذا ليس عرضا مسرحيًا!». وكان أكثر قساوة عندما رد على سخرية ترامب من زوجة ماكرون، حيث قال الرئيس الفرنسي «كلام غير أنيق وليس في المستوى».

وترجمت بعض الدول الأوروبية موقفها الرافض للحرب ولعنجهية ترامب إلى إجراء عسكري واضح وهو منع الطائرات الأمريكية من المرور من أجوائها. وتزعمت إسبانيا هذه المبادرة حيث كان رئيس الحكومة بيدرو سانشيز قاسيا في تصريحاته ضد الحرب ومنع استعمال القواعد الأمريكية–الإسبانية في الحرب، ولاحقا نهجت كل من فرنسا والنمسا وإيطاليا الموقف نفسه. ويعد الموقف الإيطالي مدهشا بحكم أن رئيسة الحكومة ميلوني من أنصار ترامب. ويرتكز الموقف الأوروبي على أن الولايات المتحدة ورطت أوروبا عسكريا في حرب العراق سنة 2003 على أسس كاذبة، وهو الادعاء بوجود أسلحة نووية لدى نظام صدام حسين، وتبين لاحقا الكذب المتعمد لشن الحرب. وصرح أكثر من زعيم أن الحرب تعني هجرة مئات الآلاف الذين على أوروبا استقبالهم.

وسياسيا، تجد الدول الأوروبية في هذه الحرب مناسبة لتقليل دور اليمين القومي المتطرف الذي تدعمه الإدارة الأمريكية الجديدة بمبرر أنه الوحيد القادرة على الحفاظ على نقاء «القارة الأوروبية أمام ما يتم وصفه بالغزو الإسلامي وغزو العالم الثالث». وجاء في وثيقة الأمن القومي الأمريكي تشرين الثاني/نوفمبر الماضي أن أوروبا قد تفقد صفتها الحضارية الغربية المسيحية في ظرف عشرين سنة إذا استمرت الهجرة من الجنوب على هذا الإيقاع. وتعتبر الأحزاب القومية المتطرفة ترامب المثال الذي يجب الاحتذاء به. غير أن هذه الحرب جعلت اليمين القومي الأوروبي في موقف حرج لأنه لا يستطيع دعم حرب يعتبرها الرأي العام الأوروبي غير قانونية.

ويعتبر الاقتصاد من العوامل الرئيسية التي دفعت بأوروبا إلى الابتعاد عن الولايات المتحدة في هذه الحرب، واستفادت من درس الحرب الروسية–الأوكرانية. فخلال الحرب الأخيرة، بدأ الأوروبيون يتخلون عن الغاز والنفط الروسي، وتفاجأوا أن الشركات الأمريكية رفعت أسعاره بشكل كبير، ما أثر على النمو الاقتصادي لاسيما في دولة مثل ألمانيا. والآن يتكرر السيناريو، فقد تسبب البيت الأبيض في جعل إيران تغلق مضيق هرمز، وبعدما عجز البنتاغون عن فتحه، كان الجواب «يمكن لأوروبا شراء الطاقة من الولايات المتحدة».

حدث الأسبوع – غزة

غزة «الإبادة» تستمر بصمت... قتل ومعاناة وفرض وقائع

غزة – «القدس العربي»: أشرف الهور

تشير كل الوقائع على الأرض إلى إن إسرائيل ذاهبة نحو فرض المزيد من الوقائع على الأرض في قطاع غزة، مستغلة استمرار انشغال العالم بالحرب على جبهة إيران، وذلك لتمرير مخططاتها العسكرية، التي تهدف إلى استمرار احتلال أغلب مناطق قطاع غزة، من خلال الخطة التي عرضها «مجلس السلام» وتتلاءم مع مطالبها بشأن «سلاح المقاومة»، والتي أبدت فصائل المقاومة بشكل مبدئي الاعتراض عليها.

قتل وقصف

وقد لوحظ أن حجم الهجمات الحربية الدامية تزايد في قطاع غزة خلال أيام الأسبوع الماضي، لتطال الهجمات حواجز شرطية وتجمعات لمدنيين ومناطق النزوح، مخلفة ضحايا بين شهداء وجرحى.

وفي مرات عدة قصفت طائرات إسرائيلية مناطق النزوح في مدينة غزة، واستهدفت بطائرات مسيرة من نوع «كواد كابتر» بطلقات نارية مناطق أخرى تقع وسط القطاع، ركزت على تجمعات للمواطنين المدنيين، بالإضافة إلى ذلك شنت غارات أخرى على مدينة خان يونس وتحديدا على المناطق الغربية من المدينة، التي يكثر فيها النازحون، فاستهدفت هناك حواجز شرطية ومناطق الخيام.

وكغيرها قتلت هذه الصواريخ الحربية التي أطلقت على المواطنين، أو الرصاص الموجه من الطائرات المسيرة عددا كبيرا من السكان بينهم نساء، في عدة مجازر أضيفت لسجل المجازر الطويل الذي بدأ منذ السابع من أكتوبر.

وكان لافتا أن عدد الضحايا ارتفع خلال فترة الشهر الماضي، بسبب تزايد الهجمات تحت غطاء انشغال العالم بالحرب الدائرة على جبهة إيران، حيث لم تعد قوات الاحتلال تركز على المناطق الواقعة خلف «الخط الأصفر» التي تتبع لسيطرتها الكاملة، حيث تتواصل هناك يوميا عمليات القصف المدفعي وإطلاق النار الكثيف، وامتدت إلى ما تبقى من مناطق ضيقة يقيم فيها السكان بكثافة كبيرة تفوق أكثر مناطق العالم ازدحاما.

وفي دلالة على استغلال إسرائيل ستار الحرب لاستمرار جرائمها، أقر «الكنيست» الإسرائيلي قانونا عنصريا جديدا، شرع فيها عمليات «إعدام الأسرى» الفلسطينيين، خاصة وأن إسرائيل كانت تعلم مدى عجز المجتمع الدولي الذي يقتصر تدخله حين يمس الأمر الحقوق الفلسطينية على الشجب والاستنكار، وهو أمر أشارت إليه جميع الهيئات الرسمية والتنظيمية الفلسطينية التي دعت إلى تدخل دولي عاجل للجم إسرائيل ومعاقبتها بسبب سياساتها العدوانية.

ويتضح من الأمور الجارية على الأرض، خاصة في ظل التصعيد المتتالي الذي بدأته منذ أن شرعت بالحرب ضد إيران، أن الأمور تتجه إلى الأسوأ، خاصة وأن إسرائيل تتعمد إفشال أي جهود حقيقية لإنهاء الحرب وبدء معالجة آثارها الصعبة على السكان.

تخوف من التصعيد

ولذلك يتوقع أن يتضاعف حجم القصف والقتل اليومي للفلسطينيين في غزة، حيث يفشل المجتمع الدولي في فرض قيود على إسرائيل التي تتحرك بغطاء أمريكي، خاصة وأن كل الدلائل على الأرض تشير إلى أن النوايا الإسرائيلية تتجه نحو إبقاء احتلال الجزء الأكبر من قطاع غزة، وذلك من خلال قوة النار التي تمنع فيها الوصول إلى أطراف مناطق «الخط الأصفر»، ومن التوغلات البرية في محيطه، كما جرى مؤخرا في مدينتي خان يونس جوبا وغزة في الشمال.

ومع تصعيد الهجمات الإسرائيلية، أكد الناطق باسم حركة حماس حازم قاسم، أن تصعيد الاحتلال لعمليات القتل اليومية بحق أهالي قطاع غزة لم يتوقف منذ إعلان وقف إطلاق النار، بل ترافق مع تشديد الحصار، رغم التزام المقاومة ببنود الاتفاق، ما يكشف عن قرار واضح لدى الاحتلال بنسف الاتفاق وتقويضه رغم جميع مساعي الوسطاء.

الناطق باسم حماس أكد أن هذا السلوك يستدعي موقفا واضحا وصريحا من الوسطاء والدول الضامنة، وكذلك من مجلس السلام، لتبيان موقفهم من الاتفاق، في ظل تنصل الاحتلال الكامل منه وتعمده تخريب جميع مساراته، مؤكدا في ذات الوقت أن غزة تعيش تحت وطأة مجزرة متواصلة في ظل القتل اليومي والحصار المشدد والخنق المستمر، إلى جانب تدهور إنساني كارثي وتعطيل جهود إعادة الإعمار.

وشددت حماس على ضرورة محاسبة إسرائيل وعلى ضرورة اتخاذ خطوات جادة لإغاثة الشعب الفلسطيني وتمكينه من التعافي وإنهاء الكارثة الإنسانية التي صنعها الاحتلال.

مباحثات مع الوسطاء

وتلا ذلك أن قام وفد قيادي من حماس بزيارة إلى كل من العاصمة التركية أنقرة والمصرية القاهرة، لمتابعة تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار، وشهدت الزيارة الثانية عقد لقاء مع الوسطاء من مصر وقطر وتركيا، إلى جانب عدد من اللقاءات الوطنية مع قادة ومسؤولي الفصائل الفلسطينية، لتحقيق مواقف وطنية مشتركة من مختلف القضايا.

وبحثت حماس وفق بيان أصدرته التطورات الميدانية في قطاع غزة والضفة الغربية والانتهاكات التي يقوم بها الاحتلال بشكل فج في تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار، حيث وصل عدد الشهداء منذ بدء الاتفاق إلى نحو 700 شهيد، إلى جانب إعادة احتلال مناطق في قطاع غزة حول «الخط الأصفر».

وقالت الحركة إن الوفد استعرض في لقاءاته آخر المستجدات التفاوضية، مشددا على أهمية الالتزام بتنفيذ اتفاق شرم الشيخ، وخاصة إلزام الاحتلال بتنفيذ كل ما هو مطلوب في المرحلة الأولى، كما قدم شرحا مستفيضا حول الأوضاع الإنسانية والأمنية في القطاع.

وفي رصد لما يحدث، قالت مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان في غزة، إن الانتهاكات الجسيمة والمنهجية التي ترتكبها قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق المدنيين تتواصل، وقالت إنها لا تقتصر على القتل والاستهداف المباشر، بل امتدت لتشمل تدمير الأحياء السكنية بشكل واسع، وفرض حصار خانق، وتهجير السكان قسراً من مناطقهم، وقد تطرقت في تقرير أصدرته إلى تواصل سياسات السيطرة على الأراضي في قطاع غزة بوتيرة متصاعدة، من خلال فرض ما يُعرف بـ «المناطق العازلة»، وعلى وجه الخصوص «المنطقة الصفراء»، وذكرت أن المعلومات الميدانية تشير إلى أن ما نسبته 53 في المئة من مساحة القطاع أصبحت خاضعة لقيود مشددة، بعد تفريغها من سكانها وتحويلها إلى مناطق عسكرية مغلقة، بما يشكل انتهاكاً واضحاً لحقوق الملكية، الفردية والجماعية، وحرماناً للسكان من الانتفاع بأراضيهم ومواردهم.

فرض وقائع

وأكدت أن قوات الاحتلال «تواصل فرض وقائع جغرافية جديدة بالقوة العسكرية»، من خلال السيطرة على مساحات واسعة من قطاع غزة، شملت مدينة رفح جنوبا، وأجزاء كبيرة من محافظة خان يونس، إضافة إلى المناطق الشرقية في المحافظة الوسطى، ومناطق واسعة في مدينة غزة وشمال القطاع، وقالت إن ذلك أدى إلى «تغيير ديموغرافي قسري وحرمان السكان من الوصول إلى أراضيهم وممتلكاتهم»، وطالبت المجتمع الدولي بضرورة التدخل الفوري، وعدم التضحية بمبادئ القانون الدولي، وذلك بالتعامل مع قضية الشعب الفلسطيني باعتبارها قضية حقوق إنسانية رتبتها الشرعية الدولية، وقالت إن ذلك يستوجب من المجتمع الدولي عدم الاستمرار في الصمت من خلال ما التزم به وفقا للقانون الدولي، وشددت على ضرورة الوقف الفوري لكافة أشكال الاستهداف والانتهاكات بحق المدنيين في قطاع غزة، وإنهاء الحصار المفروض على القطاع، وضمان تدفق المساعدات الإنسانية من دون قيود، ووقف سياسات التهجير القسري، وإعادة السكان إلى مناطقهم الأصلية، وكذلك إلغاء ما يسمى بـ«المنطقة الصفراء» ووقف سياسات مصادرة الأراضي.

أوضاع إنسانية متدهورة

وعن صورة الوضع القائم حاليا، قالت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا»، «إن «وقف إطلاق النار في غزة هو وقف لإطلاق النار بالاسم فقط»، هذه المنظمة الأممية التي تعد الأكبر من بين مقدمي الخدمات لسكان غزة المنكوبين، أوضحت أنه بعد ما يقارب ستة أشهر على بدء سريان وقف إطلاق النار، «تواصلت الغارات الجوية والقصف وإطلاق النار في مختلف أنحاء قطاع غزة، مما أسفر عن مقتل أكثر من 670 مدنياً».

ونقلت تحذير مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، من أنه لا يزال الفلسطينيون يعيشون في ظروف الهشاشة والتجريد من الإنسانية، وأشارت في ذات الوقت، إلى أن معبر كرم أبو سالم المعبر الوحيد المفتوح لنقل البضائع لا يزال هو الوحيد الذي يعمل، مما يعيق بشكل كبير دخول الإمدادات، وأشارت إلى أنه بموجب تشديد إجراءات الحصار، لا تدخل سوى أعداد محدودة من الشاحنات إلى قطاع غزة، مما أدى إلى نقص حاد في البضائع وارتفاع الأسعار، فضلاً عن نقص الأدوية وقطع الغيار اللازمة لاستمرار العمليات الأساسية. أما الأمم المتحدة، فأكدت أن الأوضاع الصحية تتفاقم في قطاع غزة في ظل استمرار النزوح وتدهور الظروف المعيشية، حيث تسهم الأجواء الباردة والماطرة، والاكتظاظ الشديد، وسوء حالة اللاجئ، إلى جانب ضعف خدمات المياه والصرف الصحي، في خلق بيئة عالية الخطورة لانتشار الأمراض.

وأشار الموقع الإعلامي للأمم المتحدة إلى أن المشاكل الصحية التي يواجهها سكان غزة، ومنها أمراض التهابات الجهاز التنفسي تتزايد بشكل كبير بين السكان، تليها حالات الإسهال الحاد، إضافة إلى انتشار الطفيليات الخارجية مثل القمل والقراد والبراغيث، في ظل ظروف صحية صعبة داخل مراكز الإيواء والخيام في قطاع غزة.

وذكر الموقع أن التحديات تزداد مع النقص الحاد في مستلزمات النظافة الشخصية والمبيدات الحشرية وعلاجات الجرب، حيث مُنع دخول العديد من المواد الأساسية، فيما أوشكت المخزونات على النفاد، وقد أدى ذلك إلى تقليص عمليات التوزيع لتصبح محدودة وموجهة، في وقت تصل فيه الإمدادات ببطء وعلى دفعات متقطعة.

ونقل عن الدكتور لوكا بيغوزي، القائم بأعمال مدير مكتب منظمة الصحة العالمية في غزة، تحذيره من استمرار المخاطر، قائلا: «لا تزال المجتمعات المحلية في غزة عرضةً بشكل كبير للعديد من المخاطر والأضرار»، وأشار إلى أن من الأمثلة على ذلك الظروف الجوية القاسية، والأمطار الغزيرة، والعواصف الرملية التي اجتاحت القطاع خلال الأسابيع القليلة الماضية، كما عبر عن قلقه البالغ إزاء الأوضاع الصحية وظروف المياه، التي تؤثر على سبل عيش المجتمعات وسلامتها، إذ تُحدث كل هذه المخاطر تأثيرا مباشرا على الصحة العامة في غزة.

أزمة طبية

تلا هذ التصريح، وبسبب استمرار سلطات الاحتلال في تشديد إجراءات الحصار، قيام وزارة الصحة في قطاع غزة، بالتحذير من تفاقم أزمة تشغيل المولدات الكهربائية في المستشفيات، في ظل استمرار منع إدخال الزيوت وقطع الغيار اللازمة لصيانتها، ما يهدد استمرارية تقديم الخدمات الطبية.

وأشارت الوزارة، في تصريح لها، إلى أن الإجراءات الفنية التي تُحاول الفرق الهندسية تنفيذها لاستمرار عمل المولدات الكهربائية في المستشفيات، «لن تُتيح المزيد من الوقت مع تواصل منع إدخال الزيوت وقطع الغيار»، وأوضحت أن المولدات وصلت إلى معدلات تشغيل قياسية، الأمر الذي يتطلب إجراء أعمال صيانة عاجلة لضمان استمرار تزويد الأقسام الحيوية بالكهرباء، أطلقت مناشدة إلى الجهات المعنية بضرورة توفير الزيوت وقطع الغيار، لتشغيل المولدات الكهربائية في المستشفيات. وفي هذا السياق، يقول الدكتور محمد أبو عفش مدير الإغاثة الطبية في غزة، إن «قطاع غزة يخرج من مشكلة، ويدخل في مشكلة أخرى»، وأن الاحتلال «يبرمج مشاكل غزة»، وتحدث عن نقص الوقود وقطع الغيار الخاصة بتشغيل مولدات الكهرباء في المشافي والمراكز الصحية، ما يهدد حياة المرضى في حال توقف هذه المولدات.

وتطرق مدير الإغاثة الطبية إلى تزايد المشاكل الصحية، نتيجة وجود أطنان من النفايات في الطرقات، وبسبب تعطل الصرف الصحي، وعدم توفر مياه نظيفة، فيما تستمر مشاكل الإيواء، حيث تعيش القوارض بين النازحين في الخيام، وأكد أن الاحتلال يبرمج مشاكل غزة، ولا يسمح بإدخال ما يلزم من مساعدات، لافتا إلى أن ما يسمح بإدخال من أدوية يقدر فقط بـ 5 إلى 7 في المئة من احتياجات قطاع غزة.

غزة: مسيرة لحركة فتح رفضًا لقانون إعدام الأسرى وتضامنًا معهم

خرجت، السبت، مسيرة نظمتها حركة «فتح» في قطاع غزة، رفضًا لقانون إعدام الأسرى الفلسطينيين الذي أقرّه الاحتلال الإسرائيلي، حيث توجه المشاركون باتجاه مقر اللجنة الدولية للصليب الأحمر. ورفع المشاركون أعلام فلسطين ولافتات مندّدة بالقانون، مؤكدين تضامنهم مع الأسرى داخل السجون الإسرائيلية، ومطالبين المجتمع الدولي بالتحرك العاجل لوقف الانتهاكات بحقهم. وقال المتحدث باسم حركة «فتح» منذر الحايك، إن قانون إعدام الأسرى «لن يمر»، وحتى إن تم إقراره، فإن الأسرى سيبقون «مقاتلين من أجل الحرية»، ولن تنكسر إرادتهم. وأضاف أن صمت المجتمع الدولي إزاء ما يجري بحق الفلسطينيين يفرض عليه الانتصار للقانون الدولي والقانون الدولي الإنساني، داعيًا محكمة الجنايات الدولية إلى اعتقال «قادة الحرب»، وعلى رأسهم رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، الصادرة بحقه مذكرة اعتقال. كما دعا إلى محاسبة إسرائيل على الجرائم المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني، مؤكّدًا أن هذه السياسات «لن تحقق سوى الفشل» في كسر إرادة الفلسطينيين أو تهجيرهم. من جانبه، قال رشاد حلس، أسير سابق، إن الشعب الفلسطيني يقف إلى جانب الأسرى، مضيفًا: «نحن هنا لنؤكد للأسرى أنهم ليسوا وحدهم، فالشعب كله يقف خلفهم ويدعمهم».

وأكد أن الأسرى سيبقون «مرفوعي الرأس»، رغم كل الإجراءات الإسرائيلية، مشددًا على أن إرادتهم لن تُكسر. ووجّه حلي رسالة إلى المجتمع الدولي، دعا فيها إلى إنهاء حالة «التخاذل والانحياز إلى «الضمير الإنساني»، ونصرة الأسرى الفلسطينيين. ويقبع في السجون الإسرائيلية أكثر من 9500 فلسطيني، بينهم أطفال ونساء، وسط تقارير حقوقية تتحدث عن انتهاكات تشمل التعذيب والإهمال الطبي. والاثنين، أقر الكنيست الإسرائيلي بأغلبية 62 نائبا مقابل معارضة 48 نائبا وامتناع نائب واحد، قانون إعدام أسرى فلسطينيين، وسط حالة من الابتهاج في أحزاب اليمين الإسرائيلي. وبموجب القانون، سيتم تنفيذ حكم الإعدام شنقا من قبل حراس تعينهم مصلحة السجون الإسرائيلية، مع منح المنفذين سرية الهوية وحصانة قانونية. وقوبل القانون بموجة استنكار واسعة النطاق، ومظاهرات في عدة دول عربية وإقليمية، ووسط مطالبات بإلغائه ومحاسبة إسرائيل لارتكابها جرائم بحق الأسرى الفلسطينيين. ويقبع في السجون الإسرائيلية أكثر من 9500 فلسطيني، بينهم أطفال ونساء، وسط تقارير حقوقية تتحدث عن انتهاكات تشمل التعذيب والإهمال الطبي.

(الاناضول)

السنة السابعة والثلاثون العدد 12028 الأحد 05 نيسان (أبريل) 2026 – 17 شوال 1447 هـ

«يوم الأرض» ومفارقات الصمود الفلسطيني

رام الله ـ «القدس العربي»:
سعيد أبو معلا

مر يوم الأرض الفلسطيني على غير عادته، فعلى إيقاع العدوان الأمريكي والإسرائيلي على إيران تبدلت الأولويات قليلا رغم أن الأرض وتفاصيلها الميدانية هي الأكثر حضورا في الجغرافيا الفلسطينية المحتلة، فـالأرض هي المستهدف الأولى ومنها يستهدف بقاء الفلسطيني وثباته وصموده.

في محافظة طوباس على سبيل المثال (الأغوار الشمالية) كان يمكن أن يكون «يوم الأرض» فعل ارتماء حقيقي وتحديدا في ظل فصل الربيع الذي ارتبطت بداياته سابقا بالتوجه إلى المحافظة ذات الأراضي الشاسعة والطقس الدافئ، لكن عكس ذلك هو ما حصل.

وبحسب الصحافية رنين صوافطة فإن «طوباس في مثل هذا الوقت كانت المزار والعنوان لأهل الضفة من شمالها لجنوبها؛ حتى القدس والداخل المحتل».

تقول صوافطة: «ربيع فلسطين يعني طوباس، لكن.. حرمونا بساطها الأخضر وأزهارها وصوت طيورها والزعتر والعكوب وينابيعها».

وشهدت طوباس خلال الأشهر الأخير أوسع هجمة نفذها مستوطنون بحماية الجيش الإسرائيلي للسيطرة على أراضيها وطرد الرعاة والبدو والمزارعين.

ويمكن تعدد الكثير من التجمعات التي أصبحت فارغة من الفلسطينيين تماما مثل عين الساكوت وابزيق والمالح ويرزا.

وبـرأي صوافطة فقط «راحـت طوباس وأغوارها».

لا يبدو المشهد السابق مفرطا بالتشاؤم، إنما يرتبط برؤية واقعية لميدان الأرض الفلسطينية التي يقول خبراء ونشطاء أن مناطق «ج» التي تشكل أكثر من 60 في المئة من أراضـي الضفة أصبحت خارج معادلة الصراع، وهي بالأساس خزان الأرض الفلسطينية ومستقبل حلم الدولة أيضا.

وبحسب تقرير خاص صدر عن هيئة مقاومة الجـدار والاستيطان فإن المعطيات المكانية المتراكمة عبر السنوات تظهر أن ما يقارب 61 في المئة من مساحة الضفة الغربية تقع ضمن المناطق المصنفة (ج)، حيث تفرض سلطات الاحتلال سيطرة أمنية ومدنية كاملة، وتخضع أكثر من 70 في المئة من أراضي المناطق «ج» لإجراءات ومسميات استعمارية منها أراضـي الدولة والمحميات الطبيعية ومناطق التدريب العسكري.

وجاء في التقرير أنه تم إعلان نحو 15 في المئة من أراضي الضفة كأراضي دولة يجرى بإمعان تخصيص الجزء الأكبر منها لصالح التوسع الاستعماري، وهي تضاف إلى 18 في المئة من مجمل مساحة الضفة الغربية تم إعلانها كمناطق للتدريب العسكري ويحرم الفلسطيني من حقه في دخولها واستخدامها واستصلاحها في حين يتاح للمستعمرين التسلل إليها وإقامة البؤر فيها.

كما تُظهر البيانات أن المساحة التي يسيطر عليها البناء الاستيطاني في المستوطنات ومناطق نفوذها تصل إلى نحو 12.4 في المئة من مجمل مساحة الضفة الغربية، فيما تحكم الشوارع الالتفافية الاستيطانية عملية الفصل بين الوجود الفلسطيني والوصل بين المواقع الاستيطانية بسيطرة تزيد عن 3 في المئة من مساحة الضفة، بما يجسد سيطرة كاملة على ما يزيد عن 42 في المئة من مساحة الضفة، بما يعكس الفجوة بين الاستخدام الفعلي والسيطرة التخطيطية التي تُقيد التنمية الفلسطينية بشكل حاد في قصدية استيطانية هدفها القضاء على أفق الدولة الفلسطينية في المستقبل.

وزارة الأرض

في سياق كهذا رأى الأكاديمي الفلسطيني وأستاذ التاريخ في جامعة النجاح الوطنية عدنان ملحم أنه نظرًا لتهويد الأرض الفلسطينية وسيطرة المستعمرين عليها بكل الوسائل، فإن المطلب الأهـم للشعب الفلسطيني يتمثل في تأسيس وزارة خاصة بالأرض؛ لحمايتها والدفاع عنها وعن سكانها، وترسيخ صمود أهلها.

وبرأي ملحم فأن مهام هذه الـوزارة تشمل قائمة لا حصر لها من القضايا مثل دعم صمود الشعب وتمكين كل فلسطيني من العيش الكريم على أرضه، وتوفير الدعم المالي اللازم للاستثمار والبقاء والصمود في وطنه.

وكذلك تأسيس مشاريع وطنية تنموية وزراعية وصناعية واقتصادية متنوعة، تفتح فرص عمل للشباب والعاطلين عن العمل، وتشغل العاملين في المستوطنات ضمن مشاريع وطنية داخل الأرض الفلسطينية المحتلة.

وكذلك توزيع الأراضي والمسؤوليات وهذا يشمل توزيع القرى والبلدات والأغـوار على الشركات الكبرى والمستثمرين الوطنين لرعاية مشاريع محددة. وتخصيص الأراضـي غير المزروعة وغير المستثمرة للشباب والمستثمرين لبناء مشاريعهم. وتأسيس بنك للأرض وتقديم منح مالية أو قروض طويلة الأجل وبدون فوائد للمواطنين.

يضع الأكاديمي ملحم قائمة طويلة بمهام هذه الوزارة المطالب بها مثل إنشاء مشاريع إسكان شاملة، وفتح مؤسسات تعليمية وبنية تحتية، واستعادة الممتلكات المدمرة، وتسويق المنتجات ومقاطعة الاحـتـلال، وكذلك التوثيق والمتابعة الدقيقة لمجريات الميدان، وتأسيس مؤسسات جماهيرية وطنية، ومقاومة الاستيطان وحماية السكان.

ويرى ملحم ضرورة دمج موظفي الوزارات المختلفة ضمن مؤسسات وزارة الأرض، لضمان تركيز كل الجهود من أجل حمايتها وتنميتها، إذ أن غياب معظم الوزارات الحكومية لا يقدم ولا يؤخر في واقع الشعب الفلسطيني وصموده في وطنه.

ورغم أن ملحم قدم دعوة رسمية للرئيس محمود عباس إلى إصدار قانون بما ورد أعلاه، إلا أن دعوته لم يلتقطها أحد، في إشارة إلى أنها كانت عبارة عن «تغريد أو صرخة خارج البرية»، وفي المقابل حفل يوم الأرض الـذي تصادف الثلاثين من آذار بمجموعة من البيانات والخطب الرنانة التي رأي ملحم أنها «مهددة بالفشل وموقعها مهب الريح، كقصائد الرثاء والعويل والنحيب الطويل».

ارتفاع على إيقاع الحرب

وبـدل أن ينشغل الفلسطينيون بالبحث عن مقومات الصمود والعمل على اكتنازها، حمل الأسبوع الماضي غضبا مركبا من الحكومة الفلسطينية التي تقع بين فكي كماشة، فأمام واقعها المالـي الـذي يوصف بإنه «غاية في الصعوبة» أعلنت عن غلاء أسعار مشتقات النفط (السولار والغاز والبانزين)، حيث ارتفعت أسعار السولار والكاز بما تجاوز 40 في المئة خلال الشهر الحالي، فيما ارتفع البنزين بنحو 15 في المئة، إلى جانب زيادات كبيرة على أسعار غاز الطهي، وهو ما ينذر بموجة غلاء واسعة تشمل السلع والخدمات الأساسية.

الخبير الاقتصادي محمد عبد الله قال في حديث لـ«القدس العربي» إن الرفع الكبير في الأسعار مرده تقليص نسبة مساهمة الحكومة في أسعار الوقود المباع للمستهلك النهائي إلى جانب ارتفاع أسعار النفط ومشتاقه بفعل الحرب على إيران.

وتابع: «أن تقليص المساهمة بدأ اعتبارا من أسعار اذار/مارس الماضي، ونيسان/أبريل الجاري، وقـد تستمر حتى وقـف المساهمة الحكومية كلياً».

وأسهب الخبير الاقتصادي شارحا أنه بالوضع الطبيعي، كانت ضريبة القيمة المضافة وضريبة البلو تعود مجدداً إلى الحكومة الفلسطينية، مع أموال المقاصة الشهرية، لكن إسرائيل تعلق تحويل أموال المقاصة للحكومة الفلسطينية منذ قرابة عام، وهو ما أدخل الأخيرة بأزمة مالية غير مسبوقة.

ومع احتجاز إيرادات الضرائب من الجانب الإسرائيلي، وجـدت الحكومة نفسها تمول فرق السعر من مواردها المحدودة، ما أدى إلى استنزاف السيولة بشكل متسارع.

وتشير التقديرات إلى أن متوسط مساهمة الحكومة في دعم الوقود كان يصل إلى نحو 70 مليون شيكل شهرياً، في سوق يستهلك قرابة 120 مليون لتر من الوقود شهرياً؛ ويشكل الديزل الحصة الأكبر منه.

وعقب الخبير الاقتصادي نصر عبد الكريم على ذلك بالقول إن النفط شهد ارتفاعات وصلت إلى 30 في المئة بفعل الحرب على إيران وهو أحد الأسباب الرئيسية التي قادت إلى الارتفاع الحاد في السوق الفلسطيني.

وحول احتمال أن تكون الجهات الرسمية الفلسطينية قد تراجعت عن دعمها لهذا القطاع أشار إلى أن السلطة كانت تخفض من أرباحها من هذا القطاع، وهو أمر يصعب القول إنه عملية توفير دعم لمشتقات البترول، حيث أنها كانت تتخلى عن جزء من أرباحها.

وتوقع أن تكون الحكومة قد توقفت عن ذلك في ظل أنها تعاني من توفر السيولة المالية، «فالمطلوب منها أن تدفع كامل المبلغ لسلطات الاحـتـلال الإسرائيلي فيما لا يقوم الاحتلال بإعادة المبالغ المالية التي كان يجري تحويلها لها بفعل وقف إعادة أموال ضرائب المقاصة، وبالتالي يكون السؤال: من أين لها أن تدفع؟».

وحول رفع الأسعار الكبير وكونه لا يتعاطى مع فئات المجتمع المختلفة شدد عبد الكريم على أن سياسات السلطة دائما ما كانت «لا تراعي ظروف الفئات الهشة.. فيما غالبا ما كانت تنحاز لمصالح الأثرياء وهم شركاء الحكومة في صنع القرار والسياسات».

وبـذات الاتـجـاه أعلنت وزارة النقل والـمـواصـلات، اعتماد تعديلا على تعرفة أجور الـمـواصـلات العامة، وذلـك في ظل الظروف الاستثنائية التي تمر بها المنطقة، وما يرافقها من ارتفاع متواصل في أسعار المحروقات عالمياً ومحلياً.

تراجع عن قانون

في سياق آخر وأمام حالة كبيرة من الغضب، تراجعت الحكومة عن تطبيق قانون يفرض ضرائب على مصادر الطاقة الشمسية. لقد كان الغضب على هذا القرار الذي تمت المصادقة عليه العام الماضي وأعلن عن تطبيقه في لحظات هي الأصعب على سكان الضفة الغربية وهو ما وجه نقدا حادا إلى السلطة الفلسطينية والحكومة لكون سياساتها لا تسير وفق إيقاع المواطنين وقراراتها لا تدعم حالة الصمود في ظل تنامي المواطنين الذين يرغبون بالاعتماد على الطاقة الشمسية.

ويـأتـي ذلـك فـي ظـل تـوجـه المستهلكين الفلسطينيين، إلى استغلال الطاقة المتجددة التي تعتمد على الشمس، في ظل الارتفاع الكبير على أسعار المحروقات والكهرباء والتي يغلب على مصادرها دولة الاحتلال الإسرائيلي (88 في المئة من احتياجات الطاقة يتم استيرادها من دولة الاحتلال).

وجاء في تصريح لرئيس سلطة الطاقة أيمن إسماعيل، قال فيه إن هناك إقبالا كبيرا على أنظمة الطاقة الشمسية شهد ارتفاعًا غير مسبوق تجاوزت نسبته 270 في المئة، نتيجة الظروف الراهنة والحاجة الملحّة لتعزيز استدامة قطاع الطاقة. وأشـار إلى تسجيل نحو 2700 طلب لتنفيذ مشاريع طاقة شمسية خلال الفترة الحالية مقارنة بـ100 طلب فقط خلال العام الماضي.

لقد عزز الغضب على قـرار سلطة الطاقة الفلسطينية التحكم بـ«الطاقة الشمسية الربانية» الفجوة بين الجـهـات الرسمية والمواطنين، فبدلا من تعزيز صمود الناس في المدن والقرى المهمشة تسعى القرارات الرسمية إلى تضييق الخناق عليهم.

يذكر أن مشروع موازنة الـطـوارئ لعام 2026 قدر إيـــرادات العام بنحو 15.7 مليار شيكل إسرائيلي مقابل نفقات تبلغ 17.6 مليار شيكل، غير أنه من المرجح، بحسب معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني– «ماس» أن يؤدي استمرار حجب إيرادات المقاصة (الضرائب الفلسطينية لدى إسرائيل) إلى رفع العجز الفعلي إلى نحو 11.9 مليار شيكل إسرائيلي (ما يعادل 70 في المئة من النفقات و 19 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي)، وهو ما يستدعي تبني سياسات تقشفية صارمة، وخفض الإنفاق.

وبالعودة إلى «يوم الأرض» الذي قدم نموذجا متقدما في دفاع الفلسطيني عن أرض وهويته، في مواجهة سياسات المصادرة والاقتلاع، اعتبر رئيس هيئة مقاومة الجدار والاستيطان الوزير مؤيد شعبان إن الذكرى الخمسون تحلّ لتعيد التأكيد على مركزية الأرض في الوعي الوطني الفلسطيني، بوصفها جوهر الصراع وركيزته التاريخية والسياسية.

وبين شعبان أن هذه الذكرى تأتي في ظل واقع بالغ التعقيد، تتسارع فيه إجراءات السيطرة على الأرض وفرض الوقائع الاستعمارية، بما يعيد إنتاج ذات السياسات التي واجهها الشعب الفلسطيني منذ عقود، وإن بأدوات أكثر كثافة وتنظيما.

أضاف إلى أن دلالات «يوم الأرض» بوصفه محطة كاشفة لاستمرارية السياسات الهادفة إلى السيطرة على الأرض الفلسطينية، تتجدد من خلال توسيع الاستيطان، ومصادرة الأراضي، وتشديد القيود على البناء والتخطيط، وصولا إلى فرض وقائع ميدانية تعيد تشكيل الجغرافيا والديموغرافيا بما يخدم المشروع الاستعماري. إن ما نشهده اليوم ليس انقطاعا عن الماضي، بل امتدادا له بأدوات أكثر تعقيدا، ما يستدعي قراءة معمّقة لهذه التحولات وتطوير أدوات المواجهة بما يتناسب مع طبيعتها المتغيرة.

وبحسب المعطيات التي وفرتها الهيئة فأن عـدد المستوطنات والبؤر الاستيطانية في الضفة الغربية تجاوز 542 بين مستعمرة وبؤرة استعمارية، مقسمة على 350 بؤرة استعمارية و192 مستعمرة يقطنها أكثر من 780 ألف مستعمر، في وقت تواصل فيه سلطات الاحتلال إصـدار أوامـر عسكرية ومخططات هيكلية تستهدف آلاف الدونمات سنويا. مبينا أنه خلال السنوات الأخيرة، تصاعدت وتيرة المصادقات على الوحدات الاستعمارية لتصل إلى عشرات الآلاف، بالتوازي مع شق مئات الكيلومترات من الطرق الالتفافية التي تعيد رسم الخريطة الجغرافية وتُعمّق عزل التجمعات الفلسطينية، في إطـار مشروع متكامل يهدف إلـى إحكام السيطرة على الأرض وتقويض أي إمكانية لقيام كيان فلسطيني متصل جغرافيا.

وبين شعبان أنه وبعد السابع من أكتوبر، «لم تقتصر هجمات المستعمرين على الطابع الاعتدائي المباشر، بل تحولت إلى أداة وظيفية لإعادة تشكيل الحيز المكاني في الضفة الغربية، خاصة في مناطق انتشار التجمعات البدوية والزراعية. فقد أدى تصاعد إرهاب المستعمرين المسلحين، المنفذ بغطاء أمني وسياسي، إلى تهجير ما لا يقل عن 79 تجمعا بدويا فلسطينيا أما بشكل جزئي أو بشكل كلي، لتجمعات مختلفة الأحجام والخصائص، تضم 814 عائلة وأكثر من 4700 مواطن، في واحدة من أكبر موجات الإزاحة القسرية خلال فترة زمنية قصيرة. هذا التهجير لا يمكن قراءته كنتاج عرضي للفوضى، بل كجزء من تدخل منظم يستهدف تفريغ مساحات استراتيجية، خصوصا في المناطق المصنفة (ج) ومحيط الكتل الاستيطانية، تمهيدا لإعادة توظيفها ضمن المشروع الاستعماري».

وأضـاف أن هذه الوقائع تكشف «عن نمط متقدم من الخصخصة الاستعمارية للعنف، حيث جرى إيكال تنفيذ أهداف حكومية ضمنية إلى ميليشيات المستعمرين، التي تحركت مستفيدة من حالة الحرب والانشغال الدولي لتكثيف عمليات الطرد والترهيب، بما يحقق نتائج ميدانية يصعب تحقيقها عبر القنوات الرسمية المباشرة».

بهذا المعنى، والحديث للوزير شعبان، يصبح التهجير أداة لإعادة رسم الخريطة الجغرافية، عبر تفكيك الوجود الفلسطيني في نقاط الارتكاز الريفية والبدوية، وتحويلها إلى فراغات قابلة للاستيطان أو الضم، ضمن استراتيجية أوسع تسعى إلى فرض وقائع ديمغرافية جديدة تُقوّض أي إمكانية لتواصل جغرافي فلسطيني مستقبلي.

وغزة أيضا

وفي ذات السياق، أصـدر معهد الأبحاث التطبيقية «أريج» في بيت لحم تقريرا في ذات الذكرى الخمسين شدد فيها على ان الذكرى أصبحت تكتسب أبعادا أكثر تعقيدا ووطأة، في ظل تقاطعها مع مرحلة تعد من بين الأكثر حدة في تاريخ القضية الفلسطينية المعاصر.

وخصص التقرير جانبا منه للحديث عن قطاع غزة، حيث جاء فيه أنه على الرغم من إبرام هدنة في 11 تشرين الأول/اكتوبر 2025، لا يزال القطاع يرزح تحت وطأة تداعيات حرب مدمرة اندلعت في 7 أكتوبر 2023، واستمرت لأشهر طويلة من العمليات العسكرية المكثفة، مخلفة واحدة من أعمق الأزمات الإنسانية في التاريخ الحديث للمنطقة، وحتى منتصف آذار/مـارس 2026، تشير التقديرات إلى استشهاد ما يزيد عن 72.000 فلسطيني، بينهم قرابة 19.000 طفل ونحو 14.500 امرأة، 1.411 من الكوادر الطبية، و252 من الصحافيين، في حين لا يزال ما يزيد عن 11.500 مفقود تحت الأنقاض، وسط صعوبات كبيرة في عمليات الإنقاذ والوصول إلى الضحايا.

وتناول التقرير الدمار الذي طال مختلف القطاعات الحيوية، حيث تضررت أكثر من 380.000 وحدة سكنية، منها أكثر من 300 ألف وحدة دمرت كليا، ما أدى إلى أزمة سكن غير مسبوقة. كما خرجت غالبية المرافق الصحية عن الخدمة، مع تعطل أكثر من 70 في المئة من المستشفيات والمراكز الطبية، في حين تعرضت أكثر من 90 في المئة من المدارس لأضرار جسيمة أو دمار كامل، الأمر الذي أدى إلى انهيار شبه شامل للمنظومتين الصحية والتعليمية في القطاع.

أما في السياق الإنساني، فما يزال نحو 2.4 مليون فلسطيني يواجهون أوضاعا معيشية قاسية نتيجة النزوح القسري واسع النطاق، حيث يعيش معظم السكان في مراكز إيواء مكتظة أو مخيمات مؤقتة، في ظل نقص حاد في المياه الصالحة للشرب، وانقطاع شبه مستمر للكهرباء، وتدهور خطير في الأمن الغذائي، إلى جانب استمرار القيود المفروضة على دخول المساعدات الإنسانية.

بالتوازي مع هذا الانهيار الإنساني، تكشف المعطيات الميدانية، بحسب تقرير أريـج، عن تحولات جوهرية في البنية الجغرافية للقطاع، حيث تم إنشاء عدة محاور عسكرية أدت إلى تجزئة قطاع غزة إلى معازل أمنية منفصلة، بما في ذلك ممرات تفصل شمال القطاع عن جنوبه وشرقه عن غربه. ولا يمكن فهم هذه الإجراءات باعتبارها تدابير عسكرية مؤقتة فحسب، بل تندرج ضمن مقاربة أوسع تهدف إلى إعادة هندسة الجغرافيا السياسية والديموغرافية للقطاع، بما يعزز أنماط السيطرة طويلة الأمد ويقيد إعـادة ترابطه المجتمعي والاقتصادي مستقبلا.

Volume 37 - Issue 12028 Sunday 05 April 2026

انقلب السحر على الساحر: ترامب حشر نفسه في حرب لا يستطيع الخروج منها

إبراهيم درويش

عندما يتفاخر رئيس أقوى دولة في العالم أنه دمر أطول وأعلى جسر في إيران وربما في العالم ودمر «مركز باستور» أهم مركز أبحاث طبية في إيران يزيد عمره 100 عام فإن تفاخره ليس تعبيرا عن رجل يريد تحرير الإيرانيين من نظام القمع الذي يدعي هو وشريكه رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو.

وفي الحقيقة أصبح دونالد ترامب صورة نسخة طبق الأصـل عن الرجل الـذي ورطه في الحرب على بلد متجذر في التاريخ وأقام حضارات وأنشأ علوما وثقافات ويعيش فيه اليوم أكثر من 93 مليون نسمة، مقارنة مع البلد الذي يريد حمايته ولا يزيد عدد سكانه عن سبعة ملايين نسمة وقال في خطابه الأخير بأنه هرع لمساعدته، رغم مراوغة الإدارة أن الحرب التي تخوضها أمريكا اليوم ليست نيابة عن أحد في المنطقة، أي إسرائيل.

وكعادة ترامب انتظر شهرا حتى يشرح للأمريكيين أهـداف حربه، وهو أمر يقوم به الرؤساء في بداية الحملة بخطاب من البيت الأبيض.

وترك ترامب الأمريكيين يتكهنون بما يريد قوله، ولكن الأمر الوحيد الذي كان في باله هو أن يثبت لهم أنه «عظيم»، والنتيجة أن الأمريكيين الذين يعارضون الحرب بشكل كبير اضطروا للاستماع إلى خطاب مليء بالتناقضات وبدون جوهر وتكرار لما يكتبه يوميا على منصة «تروث سوشيال» والأمر الوحيد الذي برز في الخطاب أنه يريد الاستمرار بالحرب حتى يعيد إيران إلى العصر الحجري. وقال إن مضيق هرمز الذي بات يضيق الخناق على الاقتصاد العالمي سيفتح من تلقاء نفسه. وهذا حديث رجل نرجسي خطير يريد تهنئة نفسه لا طمأنة الأمريكيين وشراء وقت للأسواق.

لا جديد

ولم يحتو خطابه ليلة الأربعاء عن شيء جديد سوى أنه يريد منع إيران من الحصول على السلاح النووي، وإذا كان هذا هو الهدف، فلماذا لم يذكر أن إيران عبرت عن استعداد وحتى اللحظة الأخيرة للحد من برامجها النووية، ولكنه قرر المضي مع إسرائيل العام الماضي في خضم مفاوضات والآن وسط مفاوضات. وبات يخترع سردا عن مفاوضات جديدة ترفضها إيران. وليس غريبا أن يوصف خطاب ترامب بأنه منفصل عن الواقع وأنـه يخوض حربا بدون هدف إلا إذا كان من أجل مهاجمة أعدائه السياسيين، فقد كرر هجومه على اتفاق باراك أوباما «الكارثة» عام 2015 وكيف «دمره»، مع أن اتفاق أوباما كان من أجل منع إيران امتلاك السلاح النووي. وبسبب مواقفه التي تماهت مع نتنياهو خرج من الاتفاق وسنح لإيران الفرصة لتخصيب اليورانيوم الذي يريد الاستيلاء عليه. وقالت إيران في المفاوضات الأخيرة أنها مستعدة لتخفيف اليورانيوم المخصب والاحتفاظ بكمية صغيرة فقط، لكنها الآن تمتلكه كله في شكله غير المخفف. وفي الخطاب تخلى عن فكرة تغيير النظام وانها لم تكن في جوهر حملته.

فزع لا تطمين

وكما هو الحال مع العديد من تصريحات ترامب الأخيرة، ربما كان خطابه محاولة أخرى فاشلة لتهدئة الأسواق، لا سيما ارتفاع أسعار النفط، الذي يهدد حظوظ الجمهوريين المتدنية أصلا في انتخابات التجديد النصفي للكونغرس في تشرين الأول/نوفمبر. ولكن ترامب قال للأمريكيين لا تقلقوا وناشدهم قائلا: «ضعوا هذا الصراع في سياقه الصحيح»، مشيرا إلى أن مدته أقصر بكثير من الحـربين العالميتين والصراعات الأخرى، مع أن تلك الحروب على الأقل كان لها هدف واضح. وأكد ترامب أنه يسير على الطريق الصحيح لتحقيق أهدافه «قريبا جدا». ستضرب القاذفات الأمريكية إيران «بقوة شديدة» خلال الأسبوعين أو الثلاثة أسابيع القادمة، وبعدها سينتهي الأمر. وتساءل كينيث روث، مدير «هيومان رايتس ووتش» سابقا في مقال بصحيفة «الغارديان» (2026/4/3) عن سبب مواصلة الحرب دون إنهائها عاجلا وليس آجلا، مجيبا «لا شك أن إسرائيل ستكون سعيدة بمزيد من القصف، لطالما كان هدفها زرع أكبر قدر ممكن من الدمار والفوضى، لتأجيل موعد حصد العشب مجددا، وهو المصطلح القاسي المستخدم لوصف جولة أخرى مدمرة من القصف. حتى أن بعض دول الخليج العربي تبدو مؤيدة لمزيد من القصف».

لكن القصف الذي يهدد به ترامب ليس لهدف عسكري مشروع بل لتدمير مجتمع بأكمله، وهو حرب ظالمة. و «لقد ولى زمن حديث ترامب عن إيران باعتبارها تهديدا وشيكا، وهو ما لم يكن صحيحا قط. والآن يبدو الأمر وكأنه تدمير لمجرد التدمير».

والأهم بكثير مما قاله ترامب في خطابه هو ما لم يقله، فلم يستطع تقديم أي سبب منطقي واحد يبرر استمرار هذه الحرب العدوانية التي اختارها بنفسه. وكما لاحظ روث «كان خطاب رجل خطير، مفتون بالقوة العسكرية الهائلة التي يمتلكها لكنه عاجز عن تفسير سبب استخدامه لها، إنه لأمر مخز لأمريكا أن يقودها رئيس كهذا».

وقالت سوزان غلاسر في مجلة «ذي نيويوركر» (2026/4/2) إن خطاب ترامب الأخير يثير سؤالا وجوديا هو: «هل يمكن أن تسير الأمور وفقا للخطة مع إيران إن لم تكن هناك خطة أصلا؟»، ولاحظت أنه قبل شهر عندما زج بالولايات المتحدة في حرب ضد إيران، أعلن القرار للشعب الأمريكي في مقطع فيديو قصير مدته ثماني دقائق، نشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي في جنح الظلام خلال عطلة نهاية الأسبوع. وبعد أن أحدث الصراع الذي أشعله اضطرابا في الاقتصاد العالمي، وفشل في الإطاحة بالحكومة الإيرانية التي تعهّد بإسقاطها، قدم ترامب أخيرا حججه للجمهور في خطاب متلفز للأمة في وقت الذروة مساء الأربعاء. وتعلق أنه «كان من الأفضل لو لم يكلف نفسه عناء ذلك». فهو لم يقدم سوى نفس الكلام الذي ضمنه منشوراته الكثيرة على وسائل التواصل الاجتماعي ومقابلاته الهاتفية السريعة التي روى من خلالها روايته للصراع خلال الأسابيع القليلة الماضية: «لقد هزمنا إيران ودمرناها تماما» و«نحن قوة عسكرية لا تقهر» و «سنعيدهم إلى العصر الحجري، حيث ينتمون». وتعتقد غلاسر أن الخطاب لم يكن من عمل كاتب خطابات، بل ربما كتبه متدرب أوكلت له مهمة نسخ ولصق منشورات الرئيس على منصات التواصل الاجتماعي في وثيقة تعرض على جهاز التلقين.

ومع ذلك تظل مشكلة التعامل مع ما يقوله ترامب هو التفريق بين ما هو صحيح وكذب. وحتى الآن، كانت جميع تعليقاته حول الحرب التي مضى عليها أكثر من أربعة أسابيع متناقضة أو مربكة أو كاذبة تماما.

فعندما يعلن ترامب على منصات التواصل الاجتماعي أن «رئيس النظام الإيراني الجديد، الأقل تطرفا والأكثر ذكاء من أسلافه، قد طلب للتو من الولايات المتحدة الأمريكية وقف إطلاق النار!» ينسى أن رئيس إيران هو نفسه مسعود بزشكيان الذي كان زعيما قبل الحرب ولا يزال. وأضافت أن تصريحات ترامب الكثيرة والمضللة تثير أحيانا تساؤلات وجودية: إذا كان الجيش الإيراني، كما قال قبل أسبوعين، قد دمر بالكامل، فكيف لا يزال يطلق الصواريخ، مثل القصف الذي شنه على إسرائيل يوم الأربعاء.

ولا شك أن لدى مستشاري ترامب السياسيين أسبابهم الملحة التي تدفعهم إلى مطالبته بعرض وجهة نظره على الشعب الأمريكي الآن، وهي وجهة نظر كان ينبغي عليه عرضها في بداية الحرب. وقد أظهر استطلاع رأي أجرته شبكة «سي إن إن» ونشر قبل ساعات من خطاب الرئيس أن 31 في المئة فقط من الأمريكيين يوافقون حاليا على إدارته للاقتصاد. وقد ارتفعت نسبة عدم الرضا العام عن أدائه إلى 64 في المئة، وهي أدنى نسبة وصلت إليها أي رئاسة على الإطلاق، على الأقل منذ بدء استطلاعات الرأي الحديثة. وتعلق غلاسر أنه من الصعب تصديق أن التهديد بتدمير جميع محطات توليد الكهرباء الإيرانية لا يعد تصعيدا. وللتوضيح، فإن قصف دولة وإعادة سكانها إلى العصر الحجري يعد جريمة حرب دولية، نظرا لتأثير ذلك على السكان المدنيين.

وخلصت الكاتبة أن خطاب ترامب لن يحقق أي دعم سياسي، والمقصود هو تعزيز الأنا لرجل يخطط لوضع تمثال ذهبي عملاق لنفسه في مدرج مكتبته الرئاسية، وهو الثمن الذي يريده على ما يبدو.

حشر نفسه

ومشكلة ترامب أنه يلعب بالوقت على أمل تحقيق نصر سريع، لكن كيف سيحصل على هذا الخيار وقد حشر نفسه بالزاوية وهو يواجه واقعا كما تقول صحيفة «نيويورك تايمز» (2026/4/2) تسير فيه الأمور على غير هواه، وقد لا يتغير الكثير في نهاية فترة الأسبوعين أو الثلاثة أسابيع التي حددها لإنهاء الحرب مع إيران.

فالمحادثات مع إيـران بشأن اتفاق لإنهاء الصراع، إن كانت جوهرية، لم تظهر حتى الآن سوى القليل من الأمل. كما أن المعايير الرئيسية للنجاح التي وصفها ترامب في مناسبات تتغير: منع إيران من امتلاك الوقود اللازم لصنع سلاح نووي ومساعدة الشعب الإيراني على إسقاط حكومة يكرهها جزء كبير من الشعب وإعادة فتح مضيق هرمز، وهي أهداف لا تزال بعيدة المنال. كما لم ينجح بطمأنة الأمريكيين واستقبلت الأسواق خطابه بتشكك عميق، حيث ارتفعت أسعار النفط بنسبة 8 في المئة في الساعات التي تلت خطابه. ويعود ذلك في معظمه إلى عدم ذكره أي خطة لإنهاء ما يشبه أزمة احتجاز ناقلات النفط في مضيق هرمز، والتي باتت تلقي بظلالها على الاقتصاد العالمي.

هذه حرب وليست عقارات

ورأت الصحيفة أن ترامب يعتمد في مراوغاته، أساليب تعلمها وصقلها في عالم العقارات بنيويورك، حيث نجح في كثير من الأحيان في خلق واقعه الخاص. لكن الحرب تختلف، فالعدو يصبح قادرا على تشكيل البيئة أيضا، ويبدو أن الإيرانيين يشعرون أن بإمكانهم انتظار ترامب حتى ينسحب. وبينما لا تملك إيران سوى عدد قليل من الحلفاء، حتى أكبر مستورد للنفط، الصين، حافظت على مسافة بينها وبينه، يبدو أن القادة الإيرانيين يعوّلون على تراجع أسواق الأسهم وارتفاع أسعار النفط لتسريع انسحاب ترامب من الصراع.

ومن هنا جاء التركيز على العصر الحجري، وهو ما تشير إليه بيث سانر، مسؤولة العلاقات العامة في وكالة المخابرات المركزية، سي آي إيه. وهو مصطلح غالبا يعود إلى الجنرال كورتيس ليماي، الذي دعا إلى تدمير البنية التحتية الكاملة لفيتنام الشمالية لإجبارها على الاستسلام. وقد تبنى وزير الدفاع بيت هيغسيث هذا التوجه فورا، فنشر بعد الخطاب خمس كلمات: «العودة إلـى العصر الـحـجـري». ويبدو هـذا التعبير قاسيا، ويتماشى مع دعوات هيغسيث المتكررة لاستخدام الجيش الأمريكي وبـ «أقصى قدرة فتاكة». لكنه أبرز أيضا ما كان غائبا عن الخطاب. فلم يقدم ترامب أي رؤية جديدة لإيران، أو أي إشارة إلى احتمال أن يلجأ شعبها، في نفوره من حكومته الوحشية، إلى الديمقراطية أو يسعى إلى إحياء شراكة قديمة مع الولايات المتحدة. ولم يتطرق ترامب قط إلى أي حوافز دبلوماسية أو اقتصادية، مثل تخفيف العقوبات أو الاستثمارات الغربية في قطاع النفط، لحث إيران على التخلي عن برنامجها النووي أو الحد من حجم ومدى ترسانتها الصاروخية.

كان الخطاب برمته يدور حول القوة، دون أي إشارة إلى الحوافز. فلن يكون انسحابا، بل تصعيدا حادا للعمليات العسكرية. وما يعني ذلك من تدمير بنية المجتمع الإيراني الحديث.

رئيس أخرق

وفي عالم ترامب قد يكون كل ما قاله تمويها وليس محاولة للخروج، مع أنه بالتأكيد لا يملك خطة خروج على حد تعبير ميشيل غولدبرغ في «نيويورك تايمز» (2026/4/2)، مع أن موقع «أكسيوس» (2026/4/1) ذكر أن نائبه، جيه دي فانس قدم مبادرات إلى إيـران، عبر وسطاء، بشأن وقف محتمل لإطلاق النار. مع ذلك، قد لا تكون إيران مستعدة للتفاوض. وكما أكدت تقارير صحيفة «نيويورك تايمز»، فقد استنتجت وكالات الاستخبارات الأمريكية أن «الحكومة الإيرانية تعتقد أنها في موقف قوي في الحرب، وليست مضطرة للاستجابة للمطالب الدبلوماسية الأمريكية». وأشارت غولدبرغ إلى أن ضرب المنشآت المدنية، رغم مخالفته للقانون الدولي، وهو ما لا يأبه له ترامب، يعطي صورة أن «هذه لم تعد حربا على الجمهورية الإسلامية أو صواريخها أو منشآتها النووية. إنها حرب على البلاد، إنها حرب تهدف إلى تحويل إيران إلى دولة فاشلة»، كما قال ولي نصر، الأستاذ بجامعة جونز هوبكنز. وهذا بدوره يعزز، كما تقول غولدبرغ، موقف النظام داخليا. ونقلت ما قاله علي واعظ، مدير مشروع إيران في مجموعة الأزمات الدولية ببروكسل، أن النظام يحشد أنصاره في الساحات العامة في جميع أنحاء البلاد كل ليلة منذ بداية الحرب. وقال: «تتزايد أعداد هذه الحشود باستمرار». وحتى الإيرانيين الذين لا يحبون حكامهم باتوا يعارضون الحرب «بسبب الأضـرار التي لحقت ببنيتهم التحتية وبسبب الخسائر في صفوف المدنين، وبسبب استهداف المواقع التاريخية وخطاب ترامب». وقالت غولدبرغ إن ترامب يرغب فعلا في وقف الحرب، لكنه لا يعرف كيف. وقد أكد ترامب في خطابه الأخير مع تاريخه الطويل في التصريحات الغريبة أثناء أزمة كوفيد–19 للأمريكيين أن بلادهم تعيش أزمة متفاقمة يقودها شخص نرجسي أخرق.

ورغم الخسائر المتزايد وإسقاط الطائرات إلا أن تتناقض مع ما يقوله الرئيس، وإذا أخذنا مواقف ترامب المتغيرة، فلم تحقق إلا نتيجة واحـدة، وهي تعزيز التيار المتشدد في إيران والإضرار بالحلفاء وتعزيز روسيا والصين.

ويـرى فريد زكريا في «واشنطن بوست» (2026/4/3) أن أمريكا أنفقت الكثير من أجل نتائج ضئيلة. وقدم في مقالته تقييما للنتائج الحالية للحرب التي قد يتغيرمسارها في أي وقت. وقـارن ما حدث بوضع إيـران الداخلي الضعيف واقتصادها المنهار وجيشها الذي فقد قادته بسبب حرب حزيران/يونيو 2025 إلى جانب تدمير برنامجها النووي، الذي تأخر لسنوات إن لم يكن لعقود، ولم تعد تمثل تهديدا وشيكا على أمريكا، بمآلات الحرب الحالية.

وقد أقر ترامب بذلك ضمنيا يوم الأربعاء، مصرحا بأن الولايات المتحدة «ليست مضطرة للوجود هناك، لكننا مـوجـودون لمساعدة حلفائنا».

وفي الحقيقة، كشفت التقارير أن نتنياهو أقنع ترامب بهذه الحرب ليس لأن إيران كانت تشكل تهديدا وشيكا، بل لأن ضعفها غير المسبوق أتاح فرصة لتوجيه ضربة قوية لإحداث تغيير في النظام. وإلا فلماذا اختتم ترامب إعلانه الموجز في بداية الحرب بحث الشعب الإيراني على الانتفاضة وإسقاط النظام، وهو نداء ردده نتنياهو في رسالته؟

ويقول زكريا إن النظام لم يسقط في إيران، وأصبح القادة الجدد أكثر تشددا.

وقد قتل آية الله علي خامنئي، البالغ من العمر 86 عاما والذي اشتهر بحظره تطوير الأسلحة النووية، وخلفه ابنه، الذي يقال إنه أكثر تشددا من والده. وبشكل عام، يبدو أن الحرس الثوري الإيراني، الذي لطالما كان أكثر تشددا، في صعود، وهو أمر منطقي في أوقات الحرب.

وقال إن مضيق هرمز، الذي ظل حرا ومفتوحا رغم التهديدات العديدة طـوال 47 عاما من التوترات الأمريكية – الإيرانية، بات الآن مغلقا من قبل القيادة الجديدة (التي يصفها ترامب بأنها «أكثر عقلانية»). ويرى زكريا أن فكرة ترامب عن حل أزمة المضيق، خاطئة، فلن يفتح من تلقاء نفسه لأن إيران تريد تصدير نفسها، فهرمز ليس مغلقا، بل مفتوحا أمام النفط الإيراني الذي يتدفق بحرية، وخاصة إلى الصين.

والنتيجة النهائية للحرب هي أن إيران تجني الآن ضعف ما كانت تجنيه قبل النزاع من مبيعاتها النفطية اليومية. وإذا استمرت بفرض رسوم تقدر بمليوني دولار على كل ناقلة نفط عابرة، فستجني طهران مئات الملايين من الـدولارات كإيرادات إضافية شهريا، تكفي لإعـادة بناء جيشها وأكثر.

ويواجه حلفاء أمريكا في الخليج الآن بيئة أكثر اضطرابا وتوترا بكثير مما كانت عليه قبل الحرب. تتطلب نماذج أعمالهم السلام والاستقرار والتكامل الاقتصادي. والرابح الأبرز هو روسيا، التي ستجني مليارات الـدولارات شهريا مع ارتفاع أسعار النفط وتنازل الولايات المتحدة عن العقوبات المفروضة عليها. أما أوكرانيا فتخسر بتحويل الأسلحة التي تحتاجها إلى الشرق الأوسط، كما وتخسر أوروبا أيضا مع ارتفاع تكاليف الطاقة، في حين يطالب ترامب حلف الناتو بخوض حربه، مهددا بالانسحاب من الحلف إن لم يفعل، مذكرا أن الناتو تحالف دفاعي، ولم يشارك في حروب كوريا أو فيتنام أو العراق. وتستفيد الصين مع تورط الولايات المتحدة في صـراع آخر في الشرق الأوسـط، وفقدانها تركيزها على آسيا. في غضون ذلـك، تحمي استثمارات بيجين الضخمة في التكنولوجيا الخضراء من الكثير من تكاليف هذه الحرب، وتبدو للعالم كقوة عظمى أكثر مسؤولية وأقل إثـارة للاضطرابات. بالطبع، قد تتغير الأمور. فالحروب لا يمكن التنبؤ بها. ولكن حتى الآن، هل سبق لأي عمل عسكري أمريكي أن تكبد كل هذه التكاليف مقابل هذه المكاسب الضئيلة؟

حوار

القيادي في تحالف «وطن» السوداني نور الدين صلاح الدين: الحوار المدني السوداني هو السبيل الواقعي لإنهاء الحرب وبناء دولة مؤسسات

حاورته: ميعاد مبارك

في حوار خاص مع «القدس العربي»، تحدث القيادي في التيار الوطني وتحالف «وطن» السوداني نور الدين صلاح الدين، عن رؤية تحالفه للحوار المدني كمحل واقعي ومستدام للأزمة السودانية، مشيرا إلى ضرورة بناء جبهة مدنية موحدة للمضي قدما في مسار السلام. وتطرق الحوار إلى دور الكيزيين في العملية السياسية، ضمانات إلزام مخرجات الحوار، وإصلاح المؤسسة العسكرية، بالإضافة إلى دور المجتمع الدولي في دعم الحل السوداني. وفي ما يأتي نص الحوار.

○ بدايةً، تطرحون «الحوار المدني السوداني ـ السوداني» كمدخل وحيد للحل.. مـا الذي يجعلكم واثقين بأنه قابل للتطبيق في ظل واقع الحرب الحالي؟

● الثقة في «الحوار المدني السوداني– السوداني» تنطلق من قراءة واقعية لمسار الحرب خلال عامها الثالث. واقع الحال يقول إن هذه الحرب من الصعب حسمها عسكريا بشكل كامل، وقد عمقت الانقسام المجتمعي وزادت من الانتهاكات وأضعفت مؤسسات الدولة. لذا، فإن الاستمرار في الرهان على الحسم العسكري بات مكلفا وجوديا للدولة السودانية. كما أنه لا يوجد طرف مدني واحد يملك القدرة على فرض رؤية للحل، لكن القوى المدنية تشترك في مصلحة موضوعية لإنهاء الحرب لصالح دولة المؤسسات. الحوار الذي نطرحه ليس ترفا سياسيا بل ضرورة لتجميع هذا القاسم المشترك.

○ كيف تردون على من يرى أن استبعاد الفاعلين العسكريين من الحوار يضعف فرص نجاحه؟

● هذا الطرح يفترض أن الحل السياسي لا يمكن أن يبدأ إلا بمشاركة الأطراف العسكرية، ونحن نرى أن هذه فرضية غير دقيقة. نرى أن الحوار المدني–مدني يجب أن يكون في مرحلته التأسيسية لبناء موقف مدني موحد. المشكلة في المبادرات السابقة لم تكن في غياب العسكريين، بل في تشتت الصوت المدني، ما جعل التفاوض معهم يتم من موقع ضعف. إشراك الفاعلين العسكريين من دون وجود كتلة مدنية متماسكة يعني إعادة إنتاج نفس الاختلالات.

○ مـا الضمانـات العمليـة التي تجعل مخرجات هذا الحوار «ملزمة» وليست مجرد توصيات سياسية؟

● نحن لا نتعامل مع الحوار كمنصة لإنتاج توصيات، بل كعملية سياسية يُبنى فيها عنصر الإلزام تدريجيًا. الفكرة أن قوة المخرجات لا تأتي من صياغتها بل من الجهة التي تقف خلفها. كلما كانت القوى المدنية متماسكة وقوية، تصبح المخرجات مرجعية يصعب تجاهلها. نحن نطرح تعهدات سياسية واضحة تُصاغ في شكل ميثاق أو إعلان مبادئ، يوقع عليه الأطراف المشاركة، مما يجعل التراجع عنها مكلفًا سياسيا.

○ هل لديكم تصـور زمني واضح لمراحل العمليـة الحواريـة مـن التحضيـر حتى التنفيذ؟

● لدينا تصور زمني مرن يرتبط بمدى جاهزية القوى المدنية. العملية تبدأ بمرحلة تحضيرية لتوسيع قاعدة المشاركة المدنية وبناء الثقة، ثم ننتقل إلى مرحلة الحوار المباشر، وهو ليس مفتوحًا بلا سقف بل محدد بجدول زمني معقول. بعد ذلك، تأتي مرحلة الصياغة والإقرار للمخرجات التي تتحول إلى ميثاق سياسي. العملية لا تتوقف عند الإقرار بل تستكمل بمرحلة الانخراط الخارجي لتقديم المخرجات كمرجعية موحدة.

○ وضعتم شـروطا للمشاركة تقوم على السـلمية والالتزام بالدولـة المدنية.. كيف سيتم التحقق من التزام القوى المختلفة بهذه المعايير؟

● هذه المعايير ليست شعارات بل شروط أساسية. أي طرف يرغب في المشاركة يجب أن يلتزم علنا ومكتوبا بمبادئ السلمية والدولة المدنية. لكن الأهم هو الاتساق بين الخطاب والممارسة، حيث نراقب سجل مواقف الأطراف خلال فترة الحرب. إذا تبين أن أي طرف يتناقض مع المبادئ أو يدعم استمرار الحرب، سيتم اتخاذ مواقف سياسية تجاهه.

○ اسـتبعدتم من يحمل السـلاح خارج الدولة.. كيـف يمكن تطبيق ذلـك في واقع تتعدد فيه القوى المسلحة؟

● نحن لا نريد استبعاد القوى المسلحة إلى الأبد، بل نريد تحويلها إلى قوى مدنية. إدماج الفاعلين المسلحين في العملية السياسية بدون أن يتخلوا عن العمل المسلح كوسيلة للتأثير السياسي يؤدي إلى تقويض الدولة. إذا أراد أي طرف المشاركة، فعليه أن يتحول إلى فاعل مدني ويترك السلاح وراءه.

○ موقفكم المعلـن من المؤتمـر الوطني والحركة الإسلامية؟ هـل يعني ذلك إقصاء كاملا أم مشروطا بمراجعات سياسية؟

● موقفنا من المؤتمر الوطني والحركة الإسلامية لا ينطلق من رغبة في الإقصاء بقدر ما ينطلق من طبيعة المسؤولية السياسية والقانونية المرتبطة بتجربتهما في الحكم.. كما أننا نميز بوضوح بين المسار السياسي والمسار القضائي ولا نخلط بينهما.

من الناحية السياسية، لا يمكن القفز فوق ما جرى خلال حقبة نظام الانقاذ أو التعامل معه كأنه خلاف عابر.. و أي حديث عن مشاركة مشروطة يفترض أولا مراجعات حقيقية وعلنية تتعلق بمسؤولية هذه القوى عن تقويض النظام الدستوري وعن السياسات التي قادت إلى إضعاف الدولة وإشعال الصراعات.. بدون هذا الحد الأدنى من المراجعة، يصبح الحديث عن الاندماج السياسي مجرد إعادة تدوير للأزمة.

لكن في الوقت نفسه، نحن نرفض أن يتحول الخلاف السياسي إلى عقوبة جماعية.. هناك مسار قضائي يجب أن يأخذ مجراه بشكل مستقل يحدد المسؤوليات الفردية عن الجرائم والانتهاكات وفقاً للقانون وليس عبر التعميم أو التوظيف السياسي.. هذا المسار هو الذي يقرر من يُحاسَب ومن لا، وهو جزء أساسي من تحقيق العدالة وبناء دولة القانون.

بالتالي، المسألة ليست إقصاء مطلقا ولا قبولا مفتوحا بل معادلة تقوم على شرطين متلازمين هما مساءلة قانونية عبر مؤسسات قضائية مستقلة ومراجعة سياسية جدية تفتح الباب لتحول حقيقي. وبدون هذين المسارين لن يكون هناك استقرار بل إعادة إنتاج لنفس الدائرة التي أوصلت البلاد إلى ما هي عليه.

○ كيف تبررون اسـتبعاد قوى مرتبطة بالدعم السريع في وقت تتحدث فيه أطراف دولية عن «تسويات شاملة»؟

● نحن لا نرفض الشمولية كفكرة، بل نتساءل «شمول مـاذا؟» أي تسوية لا تضع حداً لاستخدام السلاح خارج الدولة وتفصل بـوضـوح بين الـعـمـل الـسـيـاسـي والعمل العسكري تصبح آلية لإعـادة إنتاج الأزمة. نرفض مشاركة القوى المسلحة في الحوار قبل أن تتخلى عن نفوذها العسكري.

○ قدمتـم ورقـة للحـوار مـع القوات المسلحة.. كيف توازنون بين رفض «تسييس الجيش» والدخول في حوار مباشر معه؟

● نحن نفرق بين المؤسسة العسكرية كجزء من جهاز الدولة وبين دورها السياسي. الحوار مع الجيش يجب أن يركز على ضمان احـتـرام مؤسـسـات الـدولـة وضـمـان عدم استخدام الجيش كـأداة سياسية. نرفض تسييس الجيش أو السماح له بتحديد مسار السلطة المدنية.

○ ما هي الخطوط الحمراء في هذا الحوار مع المؤسسة العسكرية؟

● الخطوط الحمراء واضحة؛ أي حوار مع الجيش يجب أن يحترم دوره كحارس للدولة وليس كطرف سياسي. لا نقبل بأي شكل من الأشكال تسييس الجيش أو تحويله إلى قوة منافسة للمدنيين.

○ كيف يمكـن عمليا الوصول إلى «جيش وطنـي مهني موحـد» في ظل الانقسـامات الحالية؟

● الوصول إلى جيش مهني موحد يتطلب إصلاحـا تدريجيا يشمل فصل الجيش عن السياسة، وتنظيم الجيش في إطـار مهني يخضع للسلطة المدنية. هذه عملية طويلة لكنها ممكنة إذا ترافق معها إرادة سياسية مدنية قوية.

○ هل تـرون أن المؤسـسـة العسـكريـة مسـتـعـدة فعلا للانخراط في مسار يقود إلى سلطة مدنية كاملة؟

● لا يمكن القول بأن المؤسسة العسكرية مستعدة تماماً للانخراط في مسار يقود فوراً إلى سلطة مدنية كاملة.. فالواقع أظهر أن هناك مقاومة للتغيير ومصالح متجذرة داخل بعض مستويات القيادة.. لكن هذا لا يعني الاستسلام أو إغلاق الباب أمام الحوار.

النهج الذي نؤمن به يقوم على فرضية أن التغيير الممكن هو تدريجي بحيث نبدأ بحوار يحدد أطر العلاقة بين المدني والعسكري، ونعمل على ضمانات واضحة لسلطة الدولة ومؤسساتها، مع ربط أي خطوات إصلاحية عسكرية بعملية سياسية مدنية موحدة. المسار لن يكون سهلا، لكنه ممكن إذا ترافق مع إرادة مدنية قوية، وضغط داخلي وخارجي مستمر، ووجود آليات واضحة لمنع تسييس الجيش أو استخدام القوة خارج إطار الدولة. المهم أن الاستعداد الكامل ليس شرط البداية، بل هو هـدف يُبنى تدريجيا عبر خطوات واضحة ومحددة توازن بين الواقعية ورغباتنا السياسية.

○ كيـف تقيمـون موقف القـوى المدنية الأخرى من طرحكم؟ في ظل الانتقادات التي واجهتموها بعـد اللقاء مـع رئيس مجلس السـيادة عبد الفتاح البرهان والتقاطعات السـيادة مع مجموعة من القوى السياسية أو خلافات مع مجموعة من القوى السياسية ابرزها تحالف صمود؟

● موقف القوى المدنية الأخرى من طرحنا يعكس واقعـاً طبيعياً لأي عملية سياسية محورية حيث تتباين المواقف وفق خلفيات الأطراف وتجاربها السابقة.. بعض القوى تتبنى رؤيتنا أو تتقاطع معها جزئيا معتبرة أن الحوار المدني – المدني هو المدخل الأكثر فاعلية لإنهاء الحرب، فيما تظهر ملاحظات أو تحفظات من جهات مثل تحالف صمود وغيرها تعكس اختلافا في ترتيب الأولويات أو في تقييم مقاربة التعامل مع الأطراف العسكرية.

النضج السياسي هنا يتمثل في أننا نتعامل مع هذه الاختلافات كجزء من دينامية طبيعية للحياة السياسية لا كأزمات شخصية أو رفض مبدئي.. نركز على بناء الثقة عبر الحوار المستمر وتوضيح معاييرنا وإبراز الأسباب التي تجعل من مقاربتنا عملية ومستدامة بدل الدخول في سجالات إعلامية قد تفرّغ الرسالة من محتواها.

اللقاء مع القائد العام للجيش لم يكن لحظة للتقاطع أو التنازل عن مبادئنا بل لتأكيد موقف مدني مسؤول قادر على إيصال رؤية واضحة وواقعية مع الحفاظ على الاستقلالية السياسية.. وفي الوقت نفسه نحن منفتحون على النقاش مع كل القوى المدنية لتقريب المواقف حيثما أمكن مع إدراك أن الاختلاف في التفاصيل لا يلغي الهدف المشترك المتمثل في إنهاء الحرب وإرساء دولة المؤسسات.

موقفنا يتميز بالثبات على المبـادئ مع المرونة التكتيكية والنضج في التعاطي مع الاختلافات بدون المساس بالأسس التي يقوم عليها مسارنا.

○ أشرتم إلى تدفق أسلحة أوروبية بطرق غير مرخصة.. ما الأدلة التي تستندون إليها في هذا الطرح؟

● نحن لا نتحدث عن ادعاءات شخصية بل عن معلومات مدعومة بمصادر متعددة يمكن الرجوع إليها. هناك تقارير أوروبية توثق تدفق الأسلحة بطرق غير رسمية إلى السودان. هذه التقارير تشمل جلسات برلمانية واستفسارات حول الرقابة على الصادرات العسكرية، ما يثبت وجود خلل في الرقابة.

○ ما الذي تنتظرونـه عمليًا من الاتحاد الأوروبي في هذا الملف؟

● ننتظر من الاتحـاد الأوروبـي إجراءات فعلية لوقف تدفق الأسلحة إلى القوى المسلحة خارج الدولة، مع ضمان رقابة صارمة على الصـادرات العسكرية ومحاسبة الشركات والدول المخالفة.

○ دعمكم لتصنيف الدعم السريع كمنظمة إرهابيـة.. كيف يمكـن أن ينعكس ذلك على مسار الحرب والحل السياسي؟

● دعمنا لتصنيف ميليشيا الدعم السريع كمنظمة إرهابية لا يعني مجرد تصنيف رمزي بل إجراء يضع حداً قانونياً لشرعنة أفعالها ويضعها خـارج نطاق أي تفاوض سياسي مباشر كقوة مسلحة مستقلة عن الدولة.. هذا التصنيف يغيّر قواعد اللعبة لأنه يحدد الأطراف المقبولة في الحوار ويعزز فرص بناء سلطة مدنية حقيقية كما يفرض التزاما على المجتمع الدولي بعدم التعامل مع هذه القوة كطرف سياسي عادي.

أيضاً من الناحية العملية فإن التصنيف يضغط على الدعم الخارجي وغير الرسمي لهذه الميليشيا ويحد من قدرتها على استخدام السلاح لتحقيق مكاسب سياسية.. ما يفتح مساحة أكبر للقوى المدنية لتشكيل مسار سياسي مستدام.

نعم هذا الإجـراء قد لا يوقف الحـرب من تلقاء نفسه لكنه يغيّر ميزان القوة لصالح إنهاء الحرب وبناء الدولة ويجعل أي حل سياسي مستقبلي يعتمد على مؤسسات الدولة وليس على القوة العسكرية خارج إطارها.

○ كيف تقيمون دور «الخماسية الدولية» و«الآلية الرباعية» في الملف السوداني؟ وهل هم داعم أم معيق للحل؟

● نعتبر الخماسية الدولية أداة مهمة لتيسير الحوار السوداني لأنها توفر منصة للتواصل بين الأطراف وتساعد في تنسيق الجـهـود. أمـا الآلـيـة الرباعية فهي تواجه تحديات بسبب تباين مصالح أعضائها، ما قد يحد من فعاليتها.

○ هل طرحت عليكـم خلال لقاءاتكم مع اللجنـة الخماسـيـة أي مقترحـات محددة للحل؟

● طرحنا رؤيتنا المتكاملة حول بناء كتلة مدنية موحدة كمدخل لأي مسار سياسي، بينما كانت المقترحات الدولية تركز على توسيع المشاركة المدنية ولكن بدون تفاصيل كافية.

○ ما الـذي يميز «إعلان المبـادئ» الذي وقعتم عليه عن المبادرات السابقة؟

● إعلان المبادئ يُصاغ كمرجعية سياسية واضحة لمستقبل السودان، ويأخذ في الاعتبار أخطاء المبادرات السابقة. يركز على وحدة القوى المدنية، ويشترط أن يكون أي اتفاق ملزمًا لجميع الأطـراف مـع آليـات تنفيذية ورقـابـيـة لضمان الالـتـزام. هـذا يضمن أن التزامات الأطراف تتحول إلى خطوات عملية قابلة للتنفيذ.

○ مـا أبرز التحديات التـي تتوقعون أن تواجه هذا المشروع؟

● التحديات تشمل التباين في المواقف بين القوى المدنية، مما قد يعوق بناء كتلة موحدة. كما أن واقع الحرب يحد من القدرة على التنظيم السياسي ويتطلب ربط الحوار بحياة المواطنين اليومية. أيضا، هناك تأثير الفاعلين المسلحين والتحديات الإقليمية والدولية. إدارة التوقعات المتناقضة بين الحاجة للاستعجال وضمان الجدية تمثل تحدياً إضافياً.

○ في حال فشـل هذا المسـار، ما البدائل المطروحة لديكم؟

● لا نعتبر هذا المسار خيارًا بين عدة بدائل، بل هو الأكثر قابلية لحل مستدام. في حال تعثره، البدائل محدودة: إما استمرار الحرب أو تسويات جزئية تكرر الأخطاء السابقة. الحل يكمن في تصحيح المسار من خلال توسيع المشاركة المدنية أو مراجعة أدوات إدارة الحوار، لأن البديل ليس القفز إلى مسار جديد بل تحسين المسار الحالي.

○ وفق رؤيتكـم ما الضمانات لعدم تكرار فشل الفترات الانتقالية السابقة؟

● الفترات الانتقالية السابقة فشلت بسبب غياب مركز مدني موحّد، وتداخل الأدوار بين المدني والعسكري، وعدم وجود أسس واضحة للترتيبات الانتقالية. لضمان نجاح المرحلة الانتقالية، يجب بناء كتلة مدنية متماسكة ببرنامج واضح، وتحديد العلاقة مع المؤسسة العسكرية لتكون تحت سلطة مدنية بدون شراكة سياسية. كما يجب ربط الترتيبات الانتقالية بإصلاحات مؤسسية حقيقية تشمل إصلاح الجيش، وكذلك ضمان مسار للعدالة والمساءلة.

○ مـا هـي رؤيتكـم لكيفيـة التعامل مع التحديـات الاقتصاديـة خلال المرحلـة الانتقالية؟

● الأزمـة الاقتصادية الحالية هي نتاج اختلالات هيكلية وليست مجرد نتائج الحرب. أولويّتنا هي تأمين السلع الأساسية وتوفير الحد الأدنى من الخدمات مع تحسين آليات إدارة المساعدات. يجب استعادة دور الدولة في تنظيم الاقتصاد، توحيد الإيرادات العامة، وتطبيق إصلاحـات مؤسسية بما في ذلك إصلاح بيئة الاستثمار ومحاربة الفساد. وفي المدى الطويل، يجب تحويل الاقتصاد نحو الإنتاج، خاصة في الزراعة.

نرفضون إدماج الميليشيات في التسويات السياسية.. كيف يمكن إذن إنهاء الحرب دون إشراك أطرافها المسلحة؟

● نحن لا نطرح معادلة تقول إنهاء الحرب بدون التعامل مع أطرافها المسلحة، فقط نميز بين «التعامل معها لإنهاء الحرب» و«إدماجها كفاعل سياسي مشـروع».. هـذا هو جوهر المسألة. إنهاء الحرب يتطلب بطبيعته مسارا تفاوضيا مع القوى المسلحة لوقف القتال وترتيب الأوضاع الأمنية، لكن ذلك يختلف عن منح هذه القوى دوراً سياسياً دائماً أو شرعنة وجودها خارج إطار الدولة.

○ التجارب السـابقة أظهرت أن تحويل الميليشـيات إلى شـركاء سياسـيين مقابل السـلاح لا ينهي الأزمة، بـل يؤجلها ويعيد إنتاجهـا لاحقًا.. لذلك ما نطرحه هو مسـار واضح يقـوم علـى وقـف إطلاق النار ثم ترتيبـات أمنية تـؤدي إلى تفكيـك البُنى المسلحة الموازية ونزع السلاح وإعادة الدمج على أسـس فردية ومهنية داخل مؤسسات الدولة، وليس ككيانات قائمة بذاتها.

بمعنى آخر يمكن ويجب التفاوض مع القوى المسلحة بوصفها أطرافاً في الحرب لإنهائها.. لكن لا ينبغي القبول بها كأطراف سياسية تحدد شكل الدولة.

المشاركة السياسية تكون للقوى المدنية التي تلتزم بقواعد العمل السلمي أما السلاح فمكانه مؤسسة عسكرية واحدة خاضعة للسلطة المدنية.

بهذا الفهم لا يوجد تناقض بين إنهاء الحرب وعدم إدماج الميليشيات سياسياً بل هو شرط لسلام مستدام لا يقوم على موازين القوة وإنما على دولة قانون ومؤسسات.

○ كيف توازن رؤيتكم بين تحقيق العدالة للضحايا ومتطلبات السلام السياسي؟

● نحن لا نرى تعارضاً حتمياً بين العدالة والسلام، بل نعتبر أن أي سلام لا يستند إلى قدر معقول من العدالة هو سلام هش وقابل للانهيار.. المشكلة في التجارب السابقة أنها تعاملت مع العدالة كملف يمكن تأجيله أو مقايضته فكانت النتيجة أن أسباب الصراع ظلت قائمة وعادت في أشكال أكثر عنفاً.

التوازن الذي نطرحه يقوم على الفصل بين مستويين.. من جهة لا بد من مسار سياسي سريع يوقف الحرب ويخفف معاناة الناس، ومن جهة أخرى مسار عدالة واضح لا يُلغى ولا يُفرغ من مضمونه.

هذا يعني أن إنهاء الحرب لا يكون مشروطاً بإغلاق ملفات المساءلة بل بتهيئة بيئة تسمح بفتحها بشكل جاد ومنظم.

في هـذا الإطـار، يمكن تصميم ترتيبات انتقالية تأخذ في الاعتبار تعقيدات الواقع دون أن تمنح حصانات مطلقة أو تُشرعن الإفلات من العقاب.. هناك أدوات متعددة لتحقيق ذلك تبدأ بالتوثيق مروراً بكشف الحقيقة وجبر الضرر ووصـولا إلى المحاسبة عبر القضاء الوطني أو آليات دولية مثل المحكمة الجنائية الدولية عند الضرورة.

نحن لا نضع العدالة في مواجهة السلام بل نرفض سلاماً يقوم على تجاهل العدالة.. التحدي الحقيقي هو إدارة هذا التوازن بواقعية بحيث يتقدم المساران معاً.. وقف الحرب من جهة وبناء مسار موثوق للمساءلة من جهة أخرى لأن أحدهما بدون الآخر لن يصمد.

○ هـل لديكم تصور واضـح لآليات جبر الضرر والمصالحة الوطنية؟

● لدينا تصور عـام، لكننا نتعامل معه كجزء من منظومة أوسع للعدالة الانتقالية وليس كإجراء منفصل أو رمزي. جبر الضرر يبدأ بالاعتراف الرسمي بما وقع من انتهاكات لأن أي تعويض مادي بدون اعتراف وحقيقة واضحة يظل ناقصاً ولا يحقق إنصاف حقيقي للضحايا.

على المستوى العملي نتحدث عن مزيج من أدوات جبر الضرر تشمل التعويضات المادية للأفراد والأسر المتضررة، واستعادة الحقوق حيثما أمكن إلى جانب أشكال رمزية مثل الاعتذار الرسمي وتخليد ذكرى الضحايا.

لكن الأهـم هـو ربـط ذلـك بـإصلاحـات مؤسسية تضمن عدم تكرار الانتهاكات، لأن التعويض بـدون ضمانات للمستقبل يفقد معناه.

أما المصالحة الوطنية، فنحن لا نراها كدعوة عامة للتسامح أو «طي الصفحة» بل كعملية مشروطة تقوم على كشف الحقيقة والمساءلة.

لا يمكن بناء مصالحة حقيقية دون وضوح حول ما حدث ومن المسؤول عنه ودون شعور الضحايا بأن حقوقهم قد أخذت بجدية.. أي مصالحة تتجاوز هذه الأسس تتحول إلى هدنة مؤقتة أكثر من كونها تسوية مستدامة.

بالتالي رؤيتنا تقوم على أن جبر الضرر والمصالحة ليسا نهاية العملية بل جزء من مسار يعيد بناء الثقة بين الدولة والمجتمع، ويؤسـس لـسـلام قائم على العدالة لا على النسيان.

○ طرحتـم مقاربـة تبدأ مـن الخارج ثم تنتقل للداخل.. مـا الضمانات لعدم انفصال العملية السياسية عن الواقع الداخلي؟

● نحن نؤكد أن الأسـاس هو الداخل، والمشاركة في الخارج هي وسيلة لدعمه. أي حـوار تقوده أطراف لها امـتـدادات حقيقية داخل المجتمع لن ينفصل عن الواقع. العملية تفاعلية حيث يتم نقل النقاشات بشكل مستمر إلى الداخل عبر شبكات تنظيمية ووسائل التواصل، مما يسمح بتغذية راجعة وتعديل مستمر. القضايا المطروحة مرتبطة مباشرة بحرب السودان وسبل إنهائها، لذلك يجب أن يكون الحوار متصلا بالواقع الداخلي.

○ ما هـي الـدول أو المنصات المناسـبة لاستضافة المرحلة الأولى من الحوار؟

● نركز على المعايير بـدلا من الأسماء. نحتاج إلى منصة محايدة توفر بيئة آمنة وداعماً لوجستيا، من دون فرض أجندة. يمكن النظر إلى دول ذات خبرة في استضافة حوارات، أو العمل تحت مظلة مؤسسات دولية مثل الخماسية الدولية لضمان الشرعية وتقليل الاستقطاب بين الدول. الأهم هو ضمان بيئة تُمكّن السودانيين من إدارة حوارهم بحرية وبأقل تأثيرات خارجية.

○ أخيـرا، مـا الـذي يجـعـل طرحكم في تحالف وطن مختلفاً وقادراً على كسـر حلقة الأزمات المتكررة في السودان؟

● طرحنا في تحالف وطن يختلف عن المـبـادرات السابقة لأنه يقـوم على أسس واضحة، أولًا.. مدنية كاملة ومتماسكة قائمة على برنامج عمل محدد وليس مجرد بيانات أو شعارات مع التزام صريح بالسلمية والدولة المدنية. ثانيا.. لا نتعامل مع الأطراف المسلحة على أنهم شركاء سياسيون دائمون بل كطرف في الحرب يجب التعامل معه لإنهاء القتال مع فصل واضح بين القوة العسكرية والسياسة.

ثالثًا.. مقاربتنا عملية ومتصلة بالواقع، نبدأ من الداخل ونستفيد من المساحات الخارجية لدعم التنظيم والتخطيط ونربط كل خطوة بمتطلبات المواطنين اليومية سواء في الأمن أو الخدمات أو العدالة. رابعاً.. نربط إنهاء الحرب بـإصلاح مؤسسات الدولة بما فيها إصلاح وتطوير المؤسسة العسكرية وليس بمجرد اتفاقيات مؤقتة.

ما يجعل طرحنا قـادراً على كسر حلقة الأزمات هو دمج الواقعية مع المبادئ.. تماسك مدني وضبط العلاقة مع الجيش وربط الحوار بالعدالة والحـقـوق واسـتـعـادة مؤسسات الدولة.. هذا المزيج يحول أي توافق نظري إلى قوة فعلية على الأرض ويمنع تكرار أخطاء الماضي التي أدت إلى انهيار الفترات الانتقالية السابقة.

حريات

أجهزة التحقيق المصرية تلاحق المعارضين والنشطاء السياسيين بـ«الأخبار الكاذبة والكفالات الباهظة»

القاهرة ـ «القدس العربي»: تامر هنداوي

واصلت السلطات المصرية ملاحقة المعارضين والنشطاء السياسيين باستدعائهم للتحقيق في بلاغات تتهمهم بنشر أخبار كاذبة.

وقال الكاتب والناشط السياسي أحمد دومة، في منشور عبر صفحته الرسمية على موقع فيسبوك، إن أسرته تلقت استدعاءً جديدًا من نيابة أمن الدولة العليا، للمثول أمامها غدا الاثنين، للتحقيق في القضية رقم 2449 لسنة 2026، من دون ذكر موضوع التحقيق أو مبرره.

وأكد دومة أن هذه القضية تُعد السابعة منذ خروجه من السجن، بمعدل شبه منتظم كل شهرين ونصف تقريبًا، مشيرًا إلى وجود سلسلة طويلة من الانتهاكات بحقه.

وأعربت لجنة الدفاع عن سجناء الرأي عن إدانتها واستنكارها الشديدين لاستمرار نهج الملاحقة الأمنية والقضائية بحق دومة، والذي تجسد مؤخرًا في استدعائه للمثول أمام نيابة أمن الدولة العليا.

وقالت إن هذا الاستدعاء، الذي تسلمته أسرته في دمنهور –بحسب ما نُشر على صفحة المحامي الحقوقي خالد علي– ليس مجرد إجراء قانوني عابر، بل هو حلقة جديدة في مسلسل التنكيل الممنهج بمناضل قضى من عمره أكثر من عشر سنوات خلف القضبان، ولم ينعم منذ خروجه بعفو رئاسي –في آب/أغسطس 2023– إلا بمزيد من التضييق والملاحقات التي بلغت 7 استدعاءات خلال عامين فقط، هذا بخلاف الاستنزاف المادي الذي يتعرض له دومة؛ من خلال فرض كفالات مالية باهظة بلغت في آخر تحقيق 100 ألف جنيه.

وشددت على أن ما يتعرض له دومة هو تجسيد حي لنهج تجريم النشاط السياسي السلمي. وهو ما يبعث برسالة سلبية حول واقع الحريات في مصر، ويقوض أي حديث عن انفراجة سياسية أو احترام لحقوق الإنسان.

وأكدت على التضامن الكامل مع دومة في مواجهة هذه البلاغات والقضايا المكررة، كما طالبت بوقف فوري لكافة أشكال الملاحقات الأمنية والقضائية بحق دومة وكافة المفرج عنهم، لضمان عدم تحويل حياتهم إلى سجن مفتوح. وجددت المطالبة بضرورة تبييض السجون، وإغلاق ملف سجناء الرأي بشكل نهائي.

230 ألف جنيه كفالات

وكان آخر تحقيق تعرض له دومة في كانون الثاني/يناير الماضي، عندما أخلت نيابة أمن الدولة العليا سبيله بعد تحقيقات استمرت ساعات بكفالة قدرها 100 ألف جنيه، لتبلغ حجم الكفالات التي دفعها دومة منذ خروجه من السجن بعفو رئاسي 230 ألف جنيه.

وكانت أجهزة الأمن المصرية ألقت القبض على دومة من منزله في منطقة المقطم في القاهرة.

وبحسب الحقوقي المصري خالد علي، فإن التحقيق مع دومة تطرق لمنشورات له على الفيسبوك؛ المحقق سأل دومة في التحقيق عن منشورات أذاعها عن بلاغ روفيدة حمدي بشأن التعدي على زوجها الناشط محمد عادل في سجن العاشر، ونشر مقطع فيديو بالذكاء الاصطناعي كان يشرح فيه بلاغ روفيدة على لسان محمد عادل.

وأفرج عن دومة الذي يعد أحد أبرز رموز ثورة الخامس والعشرين من يناير 2011، في آب/اغسطس 2023، بعفو أصدره الرئيس عبد الفتاح السيسي، بعد قضائه عشر سنوات في السجن.

ما يتعرض له دومة يبعث برسالة سلبية حول واقع الحريات في مصر، ويقوض أي حديث عن انفراجة سياسية أو احترام لحقوق الإنسان

وأضاف: سأله المحقق عن مقطع نشره لعضو مجلس الشيوخ ناجي الشهابي، يتحدث عن أنه عضو معين بقرار رئيس الجمهورية في الشورى لأنه رئيس حزب اسمه حزب الجيل، وأن المرة الوحيدة التي فاز فيها الشهابي في الانتخابات كان يخوضها بعد الثورة على قوائم الإخوان في مدينة الحلة.

وزاد: سأل المحقق دومة عن صورة نشرها تحمل تصريحات الشهابي التي قال فيها إنه لا يعترف بثورة يناير، حيث علق دومة وماذا عن 28 كانون الثاني/يناير؟ فتم سؤال دومة في التحقيق ماذا تقصد بـ28 يناير؟

وفي شهر كانون الأول/ديسمبر الماضي، منعت السلطات المصرية دومة من السفر إلى بيروت.

وقال دومة وقتها، إنه بعد إنهائه الإجراءات القانونية اللازمة للسفر في المطار، فوجئ بضابط الجوازات يطلب منه مرافقته إلى مكتب إدارة الجوازات، الذي انتظر به ثلاث ساعات، قبل أن يُطلب منه مراجعة النائب العام بشأن قرار منعه من السفر.

وكان دومة خضع للتحقيق في نيابة أمن الدولة العليا أربع مرات خلال العام الماضي، بتهمة نشر أخبار كاذبة، إضافة إلى اتهامه في قضية ازدراء الأديان التي أحالها النائب العام إلى الأزهر بسبب ديوان شعره الذي كتبه خلال سنوات سجنه حمل عنوان «كيرلي».

وأفرج عن دومة الذي يعد أحد أبرز رموز ثورة الخامس والعشرين من يناير 2011، في آب/اغسطس 2023، بعفو أصدره الرئيس عبد الفتاح السيسي، بعد قضائه عشر سنوات في السجن تنفيذا لحكم بالسجن 15 عامًا، في قضية المعروفة إعلاميا بـ«أحداث مجلس الوزراء»، والتي تعود إلى عام 2011.

تامر شيرين

إلى ذلك أخلت النيابة المصرية الأسبوع الماضي، سبيل الناشط السياسي، تامر شيرين شوقي، مساء الثلاثاء، بصدور قرار بإخلاء سبيل موكله.

وكان شوقي قد تلقى منتصف الأسبوع قبل الماضي استدعاءً من النيابة، وعلى الفور توجه إلى مكتبه، حيث تم الاتفاق على الحضور في الموعد المحدد، وبالفعل تم المثول أمام جهة التحقيق صباح الأربعاء الماضي.

وقال المستشار أحمد صبري أبو علم، إن النيابة وجّهت لموكله عدة اتهامات، أبرزها إهانة موظف عام، ونشر إشاعات وأخبار كاذبة، بالإضافة إلى إنشاء صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي بهدف إثارة الرأي العام.

وأضاف أنه تم عرض موكله مجددًا الخميس الماضي برفقة التحريات، قبل أن تصدر النيابة قرارها بحبسه أربعة أيام على ذمة التحقيق.

وطالب بيان لمثقفين وشخصيات عامة بالإفراج عن تامر شيرين شوقي وكل أصحاب الرأي. وأكدوا أن القضية لا تتعلق بالاتفاق ولا بالاختلاف معهم، وإنما تتعلق بحرية الرأي والتعبير، والتي تكفلها كل الدساتير والقوانين والأعراف.

ويعرف تامر شيرين شوقي بكتاباته المنتقدة للسياسات الحكومية عبر منصات فيسبوك وإكس، حيث يركز على قضايا الفساد والأوضاع الاقتصادية، من دون أي خلفية أو انتماء حزبي.

واكتسب شوقي شعبية واسعة منذ عام 2024 بعد نشر تحليلات حذرت من تفاقم الاحتقان الاجتماعي في البلاد.

وأثار قرار حبسه ردود فعل واسعة بين النشطاء والمثقفين، حيث اعتبر رئيس حزب الدستور الأسبق علاء الخيام أن القبض على شوقي «جرس إنذار جديد لتراجع مساحة الحريات»، مطالبًا بالإفراج عنه وعن جميع سجناء الرأي.

كما عبّر الكاتب والمحلل السياسي عمار علي حسن عن تضامنه الكامل معه، داعيًا إلى «استبعاد الحلول الأمنية في قضايا التعبير عن الرأي»، ومؤكدًا أن الحوار هو السبيل الأمثل لمواجهة الأفكار.

مرشح الغلابة

وتزامن ذلك مع الإفراج عن المرشح البرلماني السابق محمد زهران المعروف بمرشح الغلابة، بكفالة مالية، بعدما اتهمته نيابة أمن الدولة العليا بإذاعة أخبار وبيانات وشائعات كاذبة خارج وداخل مصر «من شأنها الإضرار بالمصلحة العامة وإضعاف هيبة الدولة».

وأبلغت النيابة زهران أن ثلاثة معلمين حرروا بلاغات اتهموه فيها بنشر أخبار كاذبة على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك «لإثارة الفوضى في البلد والنيل من نقابة المعلمين ومؤسسات الدولة» وأوضحت النيابة خلال التحقيق أن تحريات قطاع الأمن بوزارة الداخلية بشأن البلاغات المذكورة أثبتت صحة الواقعة.

واستمر التحقيق مع زهران نحو خمس ساعات، ناقشته خلالها النيابة في عمله النقابي الممتد منذ أكثر من 15 سنة وما اتخذه من إجراءات قانونية خلال هذه الفترة، إلى جانب سؤاله حول مقصده من عدد من منشوراته على صفحته الشخصية على «فيسبوك». وفي نهاية التحقيق سلم زهران ودفاعه للنيابة عشر حوافظ تضم عدد من المستندات التي تثبت عمله النقابي.

يذكر أن هذه ليست المرة الأولى التي يتعرض فيها زهران للملاحقة القانونية على خلفية ممارسته لحقه الدستوري في العمل النقابي والتعبير عن الرأي، إذ سبق وحققت نيابة أمن الدولة العليا مع المعلم النقابي وأمرت بحبسه على ذمة القضية 880 لسنة 2020، والقضية 2123 لسنة 2023 قبل إخلاء سبيله.

بلاغ وزيرة الثقافة

قررت محكمة جنح مستأنف حدائق القبة، وقف سير استئناف المحامي علي أيوب على حكم محكمة الجنح بحبسه 3 سنوات، على خلفية اتهامه بسب جيهان زكي وزيرة الثقافة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، لحين الفصل في طلب رد المحكمة الذي تقدم به.

وكانت محكمة جنح حدائق القبة «أول درجة» قضت بالحبس 3 سنوات على أيوب، مع الشغل وتغريمه 300 ألف جنيه و50 ألف جنيه تعويضا مدنيا مؤقتا، في قضية السب والقذف والتشهير بوزيرة الثقافة.

وكانت الأجهزة الأمنية المصرية ألقت القبض على أيوب مدير مركز ابن أيوب للدفاع عن الحقوق والحريات، بناءً على أمر ضبط وإحضار صادر عن النيابة العامة، استنادًا إلى بلاغ مقدّم من وزيرة الثقافة الدكتورة جيهان زكي.

وكان أيوب تقدّم الشهر الماضي ببلاغ رسمي إلى النائب العام ضد وزيرة الثقافة التي جرى تعيينها في التعديل الوزاري الأخير، جيهان محمد إبراهيم زكي، يتهمها في وقائع إهدار مال عام، والتورط في قضية الآثار المهربة إلى الإمارات.

وقال أيوب في بلاغه، إن الوزيرة كانت قد تم ندبها وتكليفها برئاسة الأكاديمية المصرية للفنون في روما التابعة لوزارة الثقافة منذ 1 أيلول/سبتمبر 2012 وحتى صدور قرار وزير الثقافة رقم 505 لسنة 2019 بإنهاء تكليفها.

وبيّن أن التقرير النهائي من قبل لجنة مشكّلة بموجب قرار وزير الثقافة رقم 545 لسنة 2019، للقيام بمراجعة وفحص أعمال الجرد السنوي لكافة محتويات الأكاديمية، ومراجعة بعض الأعمال المالية، وكافة الإجراءات القضائية المقامة ضد الأكاديمية أو من قبلها في جمهورية إيطاليا، تضمّن مخالفات مالية وإدارية وإهدارا للمال العام.

ولفت البلاغ إلى أن الوزيرة تم تعيينها رغم أنها كانت متزوجة من عدة أزواج أجانب بعقود عرفية ومدنية، وتحمل الجنسية الفرنسية منذ عام 1991 والجنسية الإيطالية منذ عام 2014، وأنها كانت تعمل في الجامعات الفرنسية كمدرسة علم المصريات المقارن، بالمخالفة للقوانين المصرية.

وأكد البلاغ أنه سبق اتهامها في عدة قضايا، وأنها شريك مساهم في صالة مزادات «لامبلير» لعرض الآثار في فرنسا، وسبق اتهام المزاد في قضية الآثار المهربة للإمارات عن طريق إيطاليا عام 2022.

ولفت البلاغ إلى أن هذه الوقائع كانت محلّ تحريات من جهاز مباحث الأمن الوطني أثناء اختيارها نائبة في البرلمان المصري بموجب القرار الجمهوري رقم 4 لسنة 2021 بتاريخ 7 كانون الثاني/يناير 2021.

وطالب بفتح تحقيق عاجل مع الوزيرة وجميع المسؤولين السابقين حول هذه الجرائم والوقائع، والرجوع للجهات الرسمية المعنية، أهمها وزارة الثقافة ومجلس الوزراء والرقابة الإدارية، مع التحفظ على ملف الأكاديمية المصرية للفنون في روما الموجود في مقر وزارة الثقافة بالزمالك، والتحقيق في كل الوقائع الواردة بالبلاغ.

وكانت الكاتبة والباحثة سهير عبد الحميد كشفت تفاصيل صادمة حول تعيين زكي، واصفة القرار بأنه «مؤلم ومحبط» ويفتقر لأبسط معايير الاختيار.

وكشفت عبد الحميد أن القضاء المصري أصدر حكمًا لصالحها يثبت اعتداء الدكتورة جيهان زكي على كتابها «اغتيال قوت القلوب الدمرداشية»، عبر النقل والنسخ في كتاب زكي الصادر عن الهيئة العامة للكتاب تحت عنوان «كوكو شانيل وقوت القلوب».

وسبق أن أدانت منظمات حقوقية، التصعيد المستمر في استدعاء الشخصيات الحقوقية والسياسية والصحافية للتحقيق أمام نيابة أمن الدولة العليا، كأداة متعمدة لإسكات الأصوات وتخويف العاملين في المجال العام. واستنكرت المبادرة التصاعد المستمر في إجراء أمني بات يتكرر بصورة لافتة، يقوم على التحقيق معهم في اتهامات فضفاضة ومتكررة أمام نيابة أمن الدولة العليا بـ«نشر أخبار كاذبة والانضمام لجماعة إرهابية وإساءة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي»، قبل أن تنتهي التحقيقات بقرارات إخلاء سبيل بكفالات مالية مرتفعة لا داعي لها مع وجود محال إقامة وعمل للمتهمين، وهي ممارسة ترى المؤسسات الحقوقية الموقعة أنها تمثل شكلًا جديدًا من أشكال العقاب غير المباشر والاستنزاف المالي، وتوسيعًا خطيرًا لدوائر استهداف حرية الرأي والتعبير في مصر، ورسالة تخويف لكل شخص يحاول استخدام حقه القانوني والدستوري في التعبير عن رأيه.

كتب

«أخي لوركا» كتاب الشاعر المصري عماد أبو صالح: عدوى الإبداع والتعاطف الإنساني

المثنى الشيخ عطية

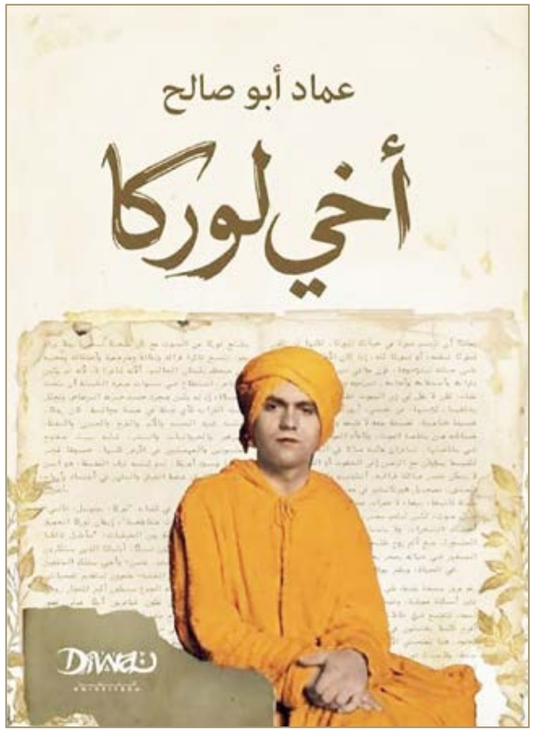

لا يدري أحدٌ، إذ لم يحدث هذا بعد، إذا ما أمكنَ أحداً ممسوساً بـ «دويندي» العلم، من أن يَدخُلَ بوابة عالم موازٍ يوجد فيه الشاعر فيدريكو غارسيا لوركا، ويسأل الشاعرَ العظيمَ الذي مات ولا ندري إن عاش بمعنى ما ملءَ عيونه عن شوارد قصائده ومعاني حياته وموته، وجعل الخلق يسهر جرّاها ويختصمُ، حول الحقائقِ والأوهام حولها: ما هو رد فعله نفسه على اختلاف الروايات عنه وأيّ منها هو الحقيقة؟ ضمن التساؤل طبعاً إن كان رأى ويرى ما حدث ويحدث لعالم التفاعل مع شعره وحياته من بعد اغتياله.

ولا حاجةَ في هذا طبعاً لسؤال الشاعر المصري عماد أبو صالح، مؤلف كتاب «أخي لوركا» المهم فعلاً رغم تراكم آلاف الكتب عن شعر لوركا وحياته وموته على مدى تسعين عاماً؛ ذاتَ السؤال. إذ تكمن إجابته اللاإجابة في كتابه الذي يُنصح القارئُ بقراءته، كي يستمتع بجميع ما غمض وما تجلّى ناصعاً من فصول الكتاب الستة، حول حياة لوركا وموته. إضافةً إلى الكثير من حياة معاصريه، وبالأخص منهم المخرج السينمائي لويس بونويل والفنان التشكيلي سلفادور دالي الذين عقد معهما صداقة حفلت بالأحداث والمواقف والخلافات والضغائن والنذالات والأفكار والرؤى حول الفن والحياة، وانتهت إلى كشفٍ وعبر حول ارتباط وانفصال الفنان عن فنه بطبيعة ومواقف حياته.

مثلما سيستفيد إن كان مهتماً بتفاصيل أكثر حول لوركا من الفصلين الأخيرين اللذين خصّصهما أبو صالح، الأول لهواجس غنية شملت اثنين وثمانين هامشاً حول الأماكن والشخصيات الواردة في الكتاب، والثاني للمراجع تحت عنوان «إحالات»، وشملت ستةَ عشر مرجعاً باللغة العربية أو مترجماً لها، واثنين وعشرين مرجعاً باللغة الإنكليزية.

ومثلما سيصاب القارئ خلال قراءته هو الآخر كما الكاتب بعدوى التعاطف الإنساني، ومسّ الخيال في خلاياه بتساؤلات وإجابات داخلية تورقُ بالمعاني حول الفن والحياة، وربمّا بمسّ «الدويندي» البريقيّ ذاته، المرتبط بالفلامينكو، والذي سيكتشف معانيه العميقة داخل الكتاب، في إنتاج عمل يُشعل الجسور بين العوالم ويُطفئُها في ذات الوقت مخلفاً جوهرة الإبداع التي لا تظهر إلا في حالة انضغاط الفحم حدّ الموت بهذا المسّ.

وذلك من خلال الفصلين اللذين يخصصهما أبو صالح عن الـ«الدويندي» المرتبط بالفلامينكو، الأول تحت عنوان «صياد الدويندي» الذي يبلور فيه رؤيته عنه، والآخر بعنوان محاضرة لوركا نفسها عنه: «لعب ونظرية الدويندي» الذي يبلور فيه رؤية لوركا بإيراد هذه المحاضرة عنه كاملة لختام الكتاب الذي قدّمه بكلمة تلخصه على غلافه الأخير بـ:

«لا تزال حياة وأعمال لوركا تثير أسئلة عميقة، وتتسع لتأويلات جديدة، رغم مرور تسعة عقود على غيابه. يومًا وراء يوم تكبر عائلة قرائه ونقاده ومترجميه وأصدقائه ومحبيه. أفرح كلما يفشلون في العثور على قبره، وأرجو ألا يجدوه. هذا يمنحني الأمل في أنه حي، إذ لا قتيل بلا جثة، ولا ميت دون قبر. إذا كان الأحياء يحتاجون القبور ليلقوا عليها الأزهار، فإنني أميل إلى ما يقوله أندريه بيلاڤش: «لا يهم إلقاء الأزهار على قبر لوركا، يكفي أن نتذكره كما نرى الأزهار. قالت أمه، ذات مرة، وهي تحكي عن طفولته: «غنّى قبل أن يتكلم»، أما هو فقال في مرثيته لصديقه إغناسيو سانشيز مصارع الثيران، «الآن، دمه يسيل من الأغاني»، وهي أفضل جملة شعرية أستعيرها لأرثي بها لوركا نفسه، لوركا الذي أراه في كل أغنية وزهرة ورصاصة».

تحدّي طريق الفخاخ بالتعاطف

يعلم مؤلّف كتاب «أخي لوركا»، بصورة أبعد من الترجيح إن هو شاعرٌ بالأساس، مدى خطورة تأليف كتاب يؤّطره بالتكرار إن لم يمسّه شيطان «الدويندي»، حول شاعر جرى الاهتمام به دراسةً وتأثراً من معظم شعراء وكتاب وفناني العالم. هؤلاء الذين لا تقتصر أسماؤُهم على نيرودا وخورخي جيين وبورخيس وبونويل ودالي على اختلاف أرائهم، وإلى درجة تفريغ الكاتبة الأمريكية ليزلي ستيتون أربعة عشر عاماً من حياتها لمتابعة أدقّ تفاصيل حياته وشعره وموته حتى قبل عنها إنها «لاحقت لوركا أكثر من قاتليه».

وبقدر علمه، يتجاوز أبو صالح فخاخ التكرار، من خلال رؤيته الخاصة المتعاطفة مع لوركا، ومن خلال تأكيد ذكرِ الاهتمام التاريخي به في فصل عميق ودقيق تحت عنوان «شاعر الأقنعة»، يغطّي أهم تضارب الآراء حوله في هذا الاهتمام. وذلك بدءاً من اتهام وقوع شعره بالرومانسية من أصحاب الحداثة في ديوان «أغانٍ غجرية»، إلى الاعتراف بحداثته السوريالية في ديوان «شاعر في نيويورك» الذي شكّل هجائية ذهانية سوريالية مرعبة حول الحياة الأمريكية، مروراً بالاختلاف حول معاني موته التي شملت تعامل سلفادور دالي معها بنذالة مفرطة في كتابه «يوميات بعقوي»، إذ جرّد فيه لوركا ليس من أهمية الحداثة فحسب في شعره، بل أيضاً من شرف مجد موته على الصورة التي جرت. عكس بونويل الذي تصالح بعد خمس سنوات مع لوركا، وامتدحه وأقرّ بتأثره به، نافياً بيلاڤش: «لا يهم إلقاء الأزهار على قبر لوركا، يكفي أن نتذكره كما نرى الأزهار. قالت أمه، ذات مرة، وهي تحكي عن طفولته: «غنّى قبل أن يتكلم»، أما هو فقال في مرثيته لصديقه إغناسيو سانشيز مصارع الثيران، «الآن، دمه يسيل من الأغاني»، وهي أفضل جملة شعرية أستعيرها لأرثي بها لوركا نفسه، لوركا الذي أراه في كل أغنية وزهرة ورصاصة».

تحدّي طريق الفخاخ بالتعاطف

يعلم مؤلّف كتاب «أخي لوركا»، بصورة أبعد من الترجيح إن هو شاعرٌ بالأساس، مدى خطورة تأليف كتاب يؤّطره بالتكرار إن لم يمسّه شيطان «الدويندي»، حول شاعر جرى الاهتمام به دراسةً وتأثراً من معظم شعراء وكتاب وفناني العالم. هؤلاء الذين لا تقتصر أسماؤُهم على نيرودا وخورخي جيين وبورخيس وبونويل ودالي على اختلاف أرائهم، وإلى درجة تفريغ الكاتبة الأمريكية ليزلي ستيتون أربعة عشر عاماً من حياتها لمتابعة أدقّ تفاصيل حياته وشعره وموته حتى قبل عنها إنها «لاحقت لوركا أكثر من قاتليه».

وبقدر علمه، يتجاوز أبو صالح فخاخ التكرار، من خلال رؤيته الخاصة المتعاطفة مع لوركا، ومن خلال تأكيد ذكرِ الاهتمام التاريخي به في فصل عميق ودقيق تحت عنوان «شاعر الأقنعة»، يغطّي أهم تضارب الآراء حوله في هذا الاهتمام. وذلك بدءاً من اتهام وقوع شعره بالرومانسية من أصحاب الحداثة في ديوان «أغانٍ غجرية»، إلى الاعتراف بحداثته السوريالية في ديوان «شاعر في نيويورك» الذي شكّل هجائية ذهانية سوريالية مرعبة حول الحياة الأمريكية، مروراً بالاختلاف حول معاني موته التي شملت تعامل سلفادور دالي معها بنذالة مفرطة في كتابه «يوميات بعقوي»، إذ جرّد فيه لوركا ليس من أهمية الحداثة فحسب في شعره، بل أيضاً من شرف مجد موته على الصورة التي جرت. عكس بونويل الذي تصالح بعد خمس سنوات مع لوركا، وامتدحه وأقرّ بتأثره به، نافياً بيلاڤش: «لا يهم إلقاء الأزهار على قبر لوركا، يكفي أن نتذكره كما نرى الأزهار. قالت أمه، ذات مرة، وهي تحكي عن طفولته: «غنّى قبل أن يتكلم»، أما هو فقال في مرثيته لصديقه إغناسيو سانشيز مصارع الثيران، «الآن، دمه يسيل من الأغاني»، وهي أفضل جملة شعرية أستعيرها لأرثي بها لوركا نفسه، لوركا الذي أراه في كل أغنية وزهرة ورصاصة».

تمهيديٌّ للفصل قبل الفصل، بكلمة للشاعر بابلو نيرودا، يقول فيها عن حبّ لوركا وتأثّره بالشعر العربي/ الأندلسي بخاصة، إذ هو ابن غرناطة كذلك: «كان لوركا نتاجاً عربياً- أندلسياً، ينير ويفوح مثل أيكة ياسمين على مسرح إسبانيا».

وفي هذا الفصل الـعابر لفخاخ التكرار، يورد أبو صالح معلومات مهمة حول موت لوركا، وأسباب اغتياله التي يعودُ أهمّها إلى رؤيته لثقافة التسامح الأندلسية، وإدانته لسقوط غرناطة وللتنصير القسري الذي مارسته محاكم التفتيش على الموريسكيين.

مثلما يورد تحت التساؤل: لماذا على العرب أن يحبوّا لوركا؟ والإجابة البسيطة «لأنه احبهم»، رواية نيرودا عن أنه تعلم من لوركا حين زار بوينس أيرس عام 1933 لعبة «ال اليمون» / «على الليمون» بالعربية، التي كان يمارسها أيام طفولته في الأندلس.

ورواية أخته إيزابيل عنه، وعن ارتدائه في صغره الملابس العربية التي يخيف بها الجارات، مع إيراد أبو صالح لصورة نادرة اختارها ووضعها غلافاً لكتابه، يرتدي فيها لوركا جلباباً أبيض وعمامةً عربيةً بيضاء أثناء إقامته في بيت الطلبة بمدريد، وأهدى نسخاً منها إلى عائلته وأصدقائه، مكتوبٌ في إهداء إحداها: «أبدو كبدويٍّ أو حادي إبل في الحكايات العربية».

والأهم في الجوهر، اهتمام لوركا بالشعر العربي واستلهامه للقصائد العربية متوسطة الطول في ديوانه «التماريت»، المشتق من كلمة «التمر»، والذي كتبه أعوام 1931 ـ 1935، ونُشر بعد اغتياله بأربعة أعوام. مع إعادة لوركا صياغة وتلحين أغنية «العربيات الثلاث»، وإضافته مقطعاً أخيراً للأغنية، كاعتذار متأخر عن التنصير، وذلك ضمن انتماء لوركا إلى الإنسانية وإيمانه العميق بضرورة تحقيق العدالة بين الطبقات، وتصنيف نفسه كثوري لا سياسيٌّ إيديولوجي، بقوله «أنا ثوري لأنه لا يوجد شعراء حقيقيون ليسوا ثوريين». وباستشهاد جوين إدواردز في كتابه «لوركا، بونويل، دالي ـ رغبات محظورة وحيوات متقاطعة»، بكلمة لوركا: «سأظل دائماً إلى جانب من لا يملكون شيئاً، أولئك الذين يستكثرون عليهم حتى سلام العدم».

والأكثر من الأهم رؤية أبو صالح، التي تتشابك مع رؤية لوركا حول الفن للفن، وتتعدى هذا إلى معالجة موقف عدم شرطية تطابق الفنان مع نصه، التي تحيل إلى الشكّ بالنص نفسه، في مواقف شعراء كبار لم يدينوا تفجير الأطفال السوريين من قبل نظام الأسد، وتفجير أطفال غزة من الصهاينة. وذلك في قول لوركا، بمقابلة معه قبل اغتياله بشهرين: «لا يوجد إنسان حقيقي يؤمن بكل هذا الهراء حول الفن النقي، الفن من أجل الفن. في هذه الظروف الصعبة، يجب على الفنان أن يضحك ويبكي مع الناس. يجب أن نغوص حتى الخصر في الوحل لمساعدة أولئك الذين يبحثون عن الزنابق».

يتجاوز أبو صالح لفخاخ التكرار بإضافات رؤيته، حول حب لوركا للحياة واحتفائه بها في كل لحظة، وإحساسه العميق بالموت، وبالأخص في فصل «ابن الحياة والموت»، وربط ذلك برؤيته عن مفهوم الـ «دويندي» المجسّد لرؤيته حول الفن، وعَرَضه أبو صالح بتوسع كما أسلفنا. ونورد بعض شذرات الشاعر والكتابة والقراءة عنه، كما لو كان «الطاقة المظلمة»التي تجعل الكون نابضاً بالحياة، ولمعة البرق الخفيّة التي تُنبض الموت بالحياة عند اكتماله، و«الروح الخفية لإسبانيا الحزينة»و«روح الأرض»، و«ليس الشكل إنما نخاع الشكل»، و«ليس الملاك وريّة الشعر الذيْن يأتيان من خارجنا إنما الذي يأتي من أعماقنا»، و«يندلع من غرف الدم النائية»، و«الأصوات السوداء، تلك التي توجد خلفها، في تآلف حميم، البراكينُ، والنملُ، والنسيمُ، والليلُ الشاسع الذي يحزم خصره بدرب التبانة...».

يصل أبو صالح إلى بلورة رؤيته في تشابهها مع رؤية الذي ارتضاه أخاً في عنوانه، بقوله: «لا أبكي هنا على أطلال الأندلس، ولا أحلمُ بعودة «الفردوس المفقود». إنني أستعيد ذكرى مكانٍ منح الناس حرّيةَ العيش على اختلاف دياناتهم ولغاتهم وأعراقهم حتى يبدو، بحالته النادرة في التاريخ، كأنه خارج التاريخ. يتزامن انتهائي من كتابي هذا مع الإبادة الجماعية لأطفال ونساء وعجائز غزّة، فما حاجتي إلى البكاء على زمنٍ مضى منذ قرون، ومكانٍ يبعد آلاف الكيلومترات؟ أوّلى بي أن أبكي لأجل جيرانٍ لا يفصل بيني وبينهم سوى سور، وتحصدُهم حرب التجويع التي يشنّها غرباءُ وأقرباء حدّ عجن الدقيق بالدم، الدم نفسُه الذي قال عنه لوركا: «في عروقي دمٌ عربي».

عماد أبو صالح: «أخي لوركا»
ديوان للنشر، القاهرة 2026
131 صفحة.

«هذه ليست رصاصة» رواية السعودي عبد الله ناصر: تفكيك اليقين وزعزعة المعنى

صابر رشدي

أحيانا ما تخالف بعض الأعمال الأدبية توقعاتنا، وتذهب بنا عكس اتجاهات تفكيرنا، فنحن في الغالب نخضع لبعض التصورات المسبقة التي تضع لنا معايير جامدة لا يطالها التغيير إلا بصعوبة بالغة، وتجعلنا نركن إليها، متكاسلين عن البحث عن نصوص أدبية جيدة في بعض البلدان الأخرى. فقد تم تكريس بعض المقولات والامتثال لها من قبل الشوفينيات الثقافية، مثل أن الرواية والقصة والمسرح من نصيب مصر، والشعر من نصيب بلاد الشام والعراق، أما النقد والفكر فهما درة التاج في الثقافة المغاربية.

لكن يبدو أن عصر السماوات المفتوحة حرّك كثيرا من المسلمات، وفكك هذه المقولات، وعبث باستقرار الجغرافيات الثقافية المكرسة، وذلك عن طريق الأجيال الجديدة التي أثبتت حضورها في كثير من الأقطار. هؤلاء الذين هضموا جيدا الموروث الإبداعي العربي والعالمي، وراحوا ينسجون أعمالا تستحق الالتفات إليها ومتابعتها، بل والاستمتاع بها أيضا.

فمصر لديها شعراء كبار قديما وحديثا، ومفكرون رفيعو المستوى، وبلاد الشام والعراق لديهم أعمال سردية عظيمة، أما المغرب العربي فصار يعج بالشعراء والروائيين وكتاب القصة القصيرة، بينما أتاحت الثورة الرقمية الاطلاع على إنتاج كثير من الأسماء، ووفرت العديد من الإصدارات، وجعلت كتابات الجميع في متناول اليد.

أتحدث هنا عن التغيير، وعن التحولات التاريخية التي طالت كل مناحي الحياة. وليس الأدب بمعزل عنها، فهو في القلب منها، والمنوط به رصد هذه التحولات وتتبعها وسبر أغوارها.

ما دفعني إلى هذه المقدمة هو مطالعتي لرواية «هذه ليست رصاصة» للكاتب السعودي عبد الله ناصر، والتي جاءت مخالفة لتوقعاتي. فقد بدأت هذا العمل بدون رهانات تذكر، لا آمل في شيء؛ عمل عابر لن يترك أثرا على ذائقتي، ولن يثير دهشتي. لكن ما حسبته عاديا وجدت فيه تجربة ثرية تتجاوز الانطباع الأول وتستحق المتابعة. فهذا عمل أداره الكاتب بطاقة تعبيرية لافتة بدت واضحة مع التقدم في القراءة. فقد استطاع أن يخفيها وراء بساطة ظاهرية، على نحو شديد الذكاء، وبمهارة واضحة، بما يمتلك من وعي فني قادر على توظيف أدواته بقدر من الوجازة والتكثيف، وبما يخالف أحكامنا المسبقة ويجعلنا نراجع آليات التلقي ذاتها، بعد أن كنا نركن إلى استبعاد إبداعات بعض الدول من المنافسة، مستريحين إلى هذه التصنيفات المتوارثة.

يبدأ عبد الله ناصر في إلقاء نظرة على دور السلاح في المجتمع السعودي، تحديدا المدسسات والبنادق بأنواعها. يصفها من خلال مرحلة عمرية صغيرة، إذ يبدأ من زاوية الطفولة. لكن الراوي المشارك هنا يبدو أنه يتمتع بخبرة عميقة في مجال هذه الأسلحة الصغيرة، يصفها بدقة وهو يستعيد الأحداث، ملقيا الضوء على المجتمع المحلي من خلال والده وأسرته. هذا المجتمع المغلق الذي لا نعلم عنه شيئا لقلة الأعمال السردية عنه، وعدم بروز أعمال كبرى قادمة من بيئته، باستثناء أعمال الكاتب السعودي الكبير عبد الرحمن منيف، الذي كان يكتب من الخارج منفيا، واضعا الشأن السياسي في صدارة أعماله، مثل خماسيته الشهيرة «مدن الملح» التي تعالج مشكلة الحكم من وجهة نظر نقدية ومعارضة، وتلقي الضوء على أثر الطفرة النفطية، وانهيار القيم التقليدية المتوارثة.

يلتزم عبد الله ناصر تقنية التقطير والنسق التشويقي البوليسي، ويدخل إلى حكايته بحرفية بالغة، فلا يكشف أوراقه دفعة واحدة، بل يسحب القارئ معه إلى عالمه كأنه يحمل كشافا مضيئا يعمل ببطارية جافة، وهو يفتح بابا وراء الآخر. وراء كل باب/ فصل، حكاية تقودك إلى الحقيقة البعيدة المغلفة بالغموض، دون أن يفسد هذا التمهل إيقاع الرواية، ودون أن يشعرنا بالملل أو يفقدنا التركيز. إنه يعلم جيدا كيف يكتب رواية مستوفاة الشروط الغنية، على قدر كبير من الصقل، غير مصابة بالترهل. يبدو الحذف على أغلب صفحاتها، ونادرا ما نتعثر في ثرثرات لا لزوم لها، أو لجوء إلى الوصف المطول، الذي يبدو كحشو لا يضيف شيئا حقيقيا، ويضرب السرد في مقتل، فيثقله ويوقف حركة الأحداث وتقدمها. إنه يلجأ إلى الوصف الذي يخدم الأحداث ويكشف عن الشخصيات، ويعزز الجو العام الذي عمل على تصويره وتصديره لنا، على الرغم من حجم المعلومات المهمة التي سرّبها عبر الرواية عن المسدسات وأنواعها، وعن المعلومات الطبية، والإيضاحات الجغرافية للأماكن التي دارت فوقها الأحداث، والتأصيل التاريخي لها، حتى بدا في كثير من الفصول كنسابة عتيد، على علم بأصول شخصياته، مؤرخا لعوالمهم. حتى اعتقدت للحظة أنه يتعمد ذلك مخاطبا قارئا غير سعودي، مضيئا له جوانب مجتمع ظل لفترة طويلة مغلقا على مواطنيه، لا يتسرب منه سوى النزر اليسير من الأسرار، ومن الحكايات العادية أيضا.

انظر إليه وهو يصف بدقة لحظات احتضار «أبو نعير»، أحد شخصيات الرواية: «يُصدم الجسد عندما يتعرض لعيار ناري، وتتفاوت درجة الصدمة وخطورتها ـ ما لم تكن الإصابة قاتلة ـ تبعا لما ينزفه من دم. الدرجة الرابعة هي الأخطر، إذ ليس ثمة درجة خامسة. يحتوي جسم الرجل على نحو خمسة لترات من الدم، فإذا تجاوز النزيف لترين يفقد أكثر من ثلث دمه. عندما يخسر الجسد هذا المقدار الهائل من الدم يبدو العقل مشوشا، ويتناقص الوعي تدريجيا حتى ينتهي به المطاف في غيبوبة».

أو وهو يلقي محاضرة سريعة عن المسدسات، أو السيارات، أو النخيل والجمال وطرق التجارة... إلخ. تلك الملاحظات الثاقبة التي يلقيها الراوي في طريقنا، وتجعلنا نكتشف بسهولة كم هو دقيق الملاحظة، وهو يضعنا في قلب الحكاية لنملأ الفراغات المتروكة عن طريق الخيال، في نوع من المشاركة في صناعة ما تم إخفاؤه، وتركه لفطنة المتلقي أثناء متابعته لهذا النثر المتماسك، الذي يعطي صورة مقربة وليست مجهرية للمجتمع في هذا البلد مترامي الأطراف، موليا معظم شخصيات الرواية الأهمية، حتى إنها تقف على قدم المساواة في مجرى السرد. لا تستطيع إغفال دور أي منهم أو تجاوزه، فالجميع يتواجدون في قلب النص لتحريك الأحداث، والعمل على تسلسلها المنطقي من نقطة إلى التي تليها، في تصعيد رأسي، حتى وإن جاء على هيئة حكاية من الماضي تستعاد بتقنية الفلاشباك، من خلال راو مشارك في الأحداث، يشحذ ذاكرته كشاهد ملك حتى لا تسقط المشاهد المؤثرة من تاريخه الشخصي وتغيب في النسيان.

تلخص الفقرة القادمة لعبة الإمعاء التي لجأ إليها الكاتب، والإخفاء العمدي الذي ظل يراوغنا به طوال الوقت للإمساك بالسر الذي يطويه بين جوانحه، وينثر تلميحات منه تضيف ظلا من الشكوك على ما توصل إليه القارئ:

«توافد أهل القرية على مركز شرطة القطيف، وانتظم طابور طويل أمام غرفة الاستجواب. كلما دخل أحدهم على الملازم راح يحدثه بما رأى، فإن لم ير شيئا حدثه بما سمع. قالوا جميعا إن أبي هو الذي أطلق الرصاص. سألهم الملازم:

لماذا؟

قص عليه الأخوال والأعمام القصة مذ خرجوا له بعد أن ضرب ابنهم نعير.

وما الذي فعله نعير؟ لا بد أنه فعل شيئا، أليس كذلك؟

ران عليهم الصمت، رجعوا إلى أنفسهم فتذكروا أنهم لم يسألوه، ثم قالوا في عنت:

لم يفعل شيئا».

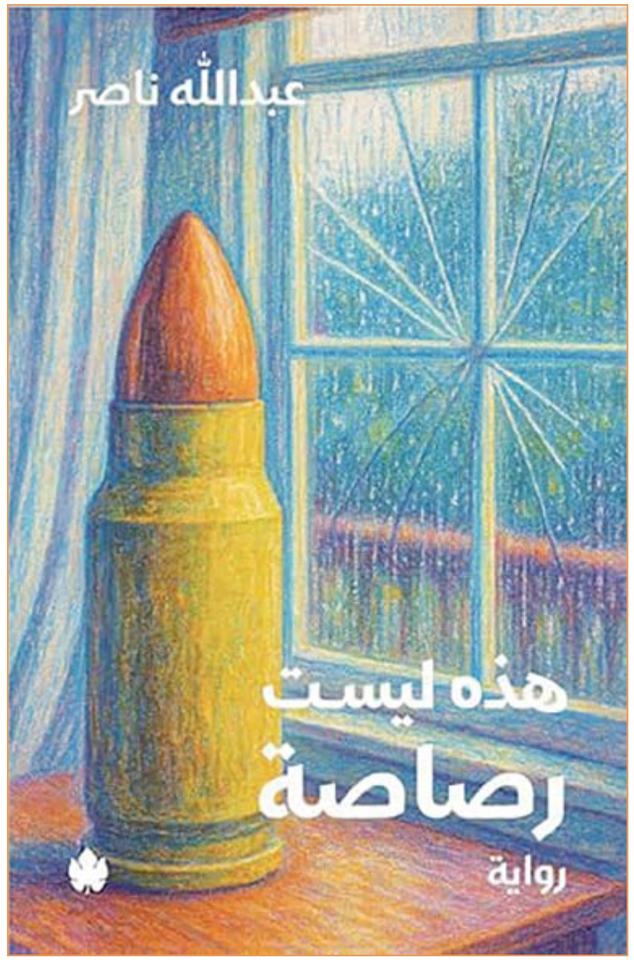

أيضا نعير، الذي تكالب عليه والد الراوي وأقاربه، راح يلف ويدور عندما سأله الملازم عن أسباب الاعتداء عليه، مفضلا الصمت والكذب، كأنه يخفي سرا. حتى إطلاق الرصاص على والده الذي جاء يثأر له دون أن يعرف لماذا ضُرب ابنه، لم تبن الحقيقة الدامغة التي قد تنهي هذه الرواية وتغلق الأبواب أمام الاستعراض السوسيولوجي الكاشف والمضيء لمحيطه، وكأننا بصدد تحليل أنثروبولوجي للعادات والتقاليد والأعراف القبلية داخل هذا الحيز، لإماطة اللثام عن بعض ما يجري في تلك البوادي.

بداية من منتصف الرواية تقريبا، يبدأ الكاتب في الذهاب بعيدا، قافزا إلى عالم مغاير، إلى الفن التشكيلي، مع واحد من كبار هذا العالم؛ البلجيكي رينيه ماغريت، فاردا مساحة واسعة للوحته الشهيرة «الناجي»، ملقيا الضوء على تاريخ اللوحة، رابطا بين حضور البندقية وغياب الطبيعة، مستدركا ما ذكره عن اللوحة في أول سطور الرواية عندما أحصى الأسلحة التي يملكها والده: ثلاثة مسدسات وبندقية صيد وترخيص قديم لحمل السلاح. البندقية إلى جانب المجلس القديم تستند إلى الجدار، مثل البندقية التي رسمها رينيه ماغريت في لوحة «الناجي»، غير أن الأرض تحتها تخلو من بقعة الدم. إنه مثل ماغريت ذهب في اتجاه آخر، كما فعل الفنان في العام 1950، عام التحولات بالنسبة له، عندما فتحت له أمريكا معارضها، في الوقت الذي تصدعت فيه جماعته السوريالية وابتعد عنه أقرب أصدقائه. ذلك العام الذي رسم فيه اللوحة الشهيرة. إنه الفنان الذي يضع الأشياء في غير مواضعها ويسميها بغير أسمائها، كأن يرسم كأسا فوق مظلة، أو يرسم حذاء ويسميه قمرا، ليزعزع الأشياء ومسمياتها. لذلك فإن لوحة «الناجي» تحديدا ما كان لها أن تحمل غير ذلك الاسم حسب الراوي. فالعنوان كما يرى ماغريت لا يجب أن يكون دليلا أو مرشدا يزودنا مثلا باسم المدينة أو المرأة التي في اللوحة، فهي ليست رسما توضيحيا للعنوان، فالعلاقة بينه وبين اللوحة علاقة شعرية. وكأن العنوان لا يأتي من إدراكه التصويري لما يرسم، إنما يأتي من الفكرة أو العاطفة التي دفعت يده إلى الرسم.

هنا يتم اللعب مع القارئ أثناء توغله في دروب الرواية، كأن الكاتب يقول: ها أنا رسمت لك الصورة كاملة، لكني لم أنطق بالحقيقة المباشرة، وأنت بالتأكيد علمت ماذا أقصد وعما أتحدث، حتى لو لم أضع على لساني كلمة تشير إليه. إنها إيماءات لا أكثر، لذلك تركت لك لوحة ماغريت كي تأولها كما تشاء، وربما كان فنه ينوب عني. إن استدعاءه داخل الرواية ليس إحالة فنية، وإنما هو إعلان ضمني عن طبيعة العمل: نص يرفض أن يكون مرآة صادقة للواقع، ويصر على أن يثير الأسئلة حوله.

فالرصاصة هنا ليست مجرد أداة قتل، ولكنها استعارة للعالم الذي نعتقد أننا نراه بوضوح، بينما هو في الحقيقة مغطى بطبقات من الصمت والتواطؤ وسوء التأويل. فكما زعزع ماغريت ثقتنا في العلاقة بين الصورة والحدث، راح عبد الله ناصر يزعزع ثقتنا في العلاقة بين الحدث وحقيقته، محولا الرواية من قصة جريمة إلى نقد للذاكرة القبلية.

عبد الله ناصر: «هذه ليست رصاصة»
دار الكرمة للنشر، القاهرة 2025
176 صفحة.

المقال

عبدالباسط سيدا

حزب العمال في استراتيجية النظام الإيراني

الوضع الدولي على غاية التعقيد، وكذلك الوضع الإقليمي، وهذا يعود إلى عجز النظام العالمي، الذي توافقت بشأنه القوى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية 1939–1945، على مواكبة التطورات والمتغيرات التي استجدت منذ انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991. وقد تمثّل في تراجع المكانة الاستراتيجية لبعض القوى الدولية المؤثرة، وانشغال روسيا بأوضاعها الداخلية، وبروز الصين كقوة اقتصادية عملاقة تمتلك رؤية مستقبلية توسعية، وقادرة على منافسة أوروبا والولايات المتحدة تجارياً في العديد من مناطق العالم، وبل وفي الأسواق الغربية ذاتها.

أما في منطقتنا فقد كانت الحرب العراقية الإيرانية 1980–1988، ومن ثم غزو الكويت عام 1990، وتشكّل التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة؛ وهو التحالف الذي أرغم صدام حسين على الخروج من الكويت عام 1991. بعد ذلك كان إسقاط نظام صدام حسين في العراق عام 2003، وقبله نظام طالبان في أفغانستان عام 2001. وكل هذه الأحداث كانت مقدمة لتحوّلات بنيوية كبرى في المعادلات الإقليمية، تمظهرت بصورة أساسية في المشروع الإيراني التوسعي الإقليمي؛ وهو المشروع الذي مكّن النظام الإيراني من الهيمنة على العراق وسوريا ولبنان واليمن، عبر اعتماد استراتيجية تشكيل الميليشيات المحلية، ودعمها بالمال والسلاح والتخطيط والتوجيه، لتكون من بين الأدوات التنفيذية للمشروع.

ولم تقتصر المساعي الإيرانية في هذا المجال على الوسط الشيعي وحده في الدول المعنية ليكون مادة وساحة للتجييش، وخزاناً بشرياً لتأمين المقاتلين العقائديين؛ بل امتد ليشمل حركة حماس وفصائل أخرى في الوسط الفلسطيني لم تكن جميعها إسلاموية التوجه. وشملت حملة التجنيد الإيرانية الإقليمية هذه حزب العمال الكردستاني بواجهاته المختلفة في دول المنطقة، وذلك بالتناغم مع الرؤية البراغماتية الإيرانية المعهودة، والنزوع الإمبراطوي الاستعلائي القائم على اعتقاد مضلل يوهم صاحبه بحقه المشروع في الهيمنة على المنطقة، ويدفع به إلى امتلاك القدرات واستخدام كل الأساليب بغية التمكّن من ذلك.

ولعل هذا ما يفسر الإصرار الإيراني على امتلاك القدرات النووية، وتطوير الصواريخ البالستية والاستراتيجية، والإمساك بمفاصل الجوار الإقليمي بأدوات القوتين الخشنة والناعمة.

تعود علاقة حزب العمال الكردستاني مع النظام الإيراني إلى أوائل ثمانينات القرن المنصرم، أي بعد دخول عبدالله أوجلان إلى سوريا بستوات قليلة (دخل إلى سوريا عن طريق كوباني/عين العرب عام 1979)، ومكث في دمشق بعض الوقت (عدة أشهر)، ثم توجه إلى بيروت ليستقر هناك لفترة محدودة، ويعود ثانية إلى دمشق ليستقر فيها إلى حين إخراجه منها عام 1998 بناء على ضغط تركي، وتدخل الرئيس المصري الراحل حسني مبارك لدى حافظ الأسد، وإقناعه له بضرورة إبعاد أوجلان عن سوريا، وعقد اتفاقية أمنية مع الجانب التركي (اتفاقية أضنة عام 1998).

في دمشق نسج أوجلان علاقات مع سلطة آل الأسد من جهة السوري السياسي؛ وإنما ظلت في المستوى الأمني. وقد وفرت هذه العلاقات لحزبه فرصة حرية الحركة في المناطق الكردية، والأحياء والتجمعات الكردية في حلب ودمشق، وبناء التنظيمات فيها، مستغلاً القمع الذي كان مفروضاً على الأحزاب الكردية السورية، إلى جانب انقساماتها وتزّهل تلك الأحزاب وخلافاتها البينية، وابتعادها بصورة تدريجية عن الناس خاصة في الأرياف. هذا بالإضافة إلى المزاودات الشعاراتية التي كان حزب العمال الكردستاني يلجأ إليها، خاصة شعاره تحرير وتوحيد كردستان. فقد كان يطرح نفسه بوصفه حركة تحرر كردستانية شاملة، لا تعرف الحدود بين أجزاء كردستان. ومع ذلك كان يحظى هذا الحزب بدعم سلطة حافظ الأسد، ويحصل على دعمها المالي والعسكري والإعلامي، وسُمح له بفتح معسكرات التدريب في البقاع بلبنان وريف دمشق بسوريا؛ هذا في الوقت الذي كانت الأجهزة الأمنية تلاحق باستمرار نشطاء الحركة الكردية السورية الذين لم تتجاوز مطالبهم حدود رفع الظلم عن الكرد، والإقرار بحقوقهم القومية المشروعة ضمن الإطار الوطني السوري.

بدأت علاقة حزب العمال بصورة فعلية مع النظام الإيراني بين عامي 1982–1983، والملاحظ هنا أن هذه العلاقات تزامنت مع تأسس حزب الله في لبنان، تحت شعار المقاومة وتحرير الجنوب اللبناني ومناصرة القضية الفلسطينية؛ هذا في حين أن حزب العمال كان يرفع الشعارات التي كانت تتمحور حول معاداة الإمبريالية والصهيونية، مع تركيز على الساحة الكردية، وتشدّد لافت في التوجه الماركسي اللينيني الستاليني (جسدته شعاراته الكبرى الصاخبة)؛ وقد استغل هذا الحزب ظروف الفراغ السياسي الذي حدث في الوسط الكردي بعد توقف ثورة الراحل ملا مصطفى بارزاني في كردستان العراق عام 1975 نتيجة الاتفاقية التي تمت بين شاه إيران محمد رضا بهلوي وصدام حسين برعاية هواري بومدين في الجزائر.

وكان من الواضح أن حافظ الأسد يريد استخدام ورقة حزب العمال في سياق حساباته مع تركيا، إلى جانب رغبته في الهيمنة على الورقة الكردية، كما كان يفعل مع الورقتين الفلسطينية واللبنانية، وذلك لتعزيز دوره الإقليمي في مواجهة صدام حسين في العراق بعد إخراج مصر بزعامة أنور السادات من الجامعة العربية عام 1979.

أما النظام الإيراني فيبدو أنه منذ ذلك الحين كان قد اعتمد استراتيجية استخدام الميليشيات في مشروعه الإقليمي التوسعي، وقد وجد في حزب العمال ضالته لاستخدامه كردياً في كل من العراق وتركيا وسوريا، وحتى إيران (لتحجيم الحركة الكردية هناك كما فعل حافظ الأسد في سوريا). وقد تمكّن من ذلك عبر واجهات حزب العمال بمختلف الأسماء في الدول المعنية.

ورغم التزام سلطة آل الأسد العلني بتوافقات اتفاقية أضنة الأمنية مع تركيا، إلا أن العلاقات الأمنية مع حزب العمال عبر واجهاته المختلفة في سوريا لم تنقطع، بل ظلت مستمرة في الخفاء؛ في حين أن النظام الإيراني كان يستخدم الحزب المذكور لإزعاج الحزب الديمقراطي الكردستاني في إقليم كردستان العراق.

وفي الأشهر الأولى للثورة السورية عام 2011، قرر النظام الإيراني التدخل لمنع سقوط سلطة بشار بأي ثمن تحت شعار حماية المراقد المقدسة ومحاربة الفصائل الإرهابية، وكان دخول حزب الله والفصائل العراقية والباكستانية والأفغانية، وحتى بعض الفصائل الفلسطينية إلى سوريا للوقوف إلى جانب سلطة بشار في حربها على السوريين الثائرين على استبدادها وفسادها. وتم دخول قوات حزب العمال تحت اسم «حزب الاتحاد الديمقراطي» «وقوات حماية الشعب» «وقوات حماية المرأة»، التي نزلت جاهزة بتشكيلاتها وأسلحتها من جبال قنديل، ولم تتشكّل في سوريا بناء على «عبقرية أو بطولة» هذا الشخص أو ذاك كما يروجه بعضهم اليوم. وحصلت تلك القوات على المزيد من الدعم المالي والعسكري من سلطة آل الأسد التي سلمتها مهمة إدارة المناطق الكردية، كما كلفتها بحماية حقول النفط، والإشراف على الإنتاج مقابل توافقات بشأن الحصص والشروط.

وكان ذلك مقابل أن تقوم القوات المعنية بضبط الأمور في تلك المنطقة ومنع انضمامها إلى الثورة بعد التفاعل الشبابي الواسع مع الثورة في مختلف المناطق، خاصة في عامودا والقامشلي وكوباني وحلب ودمشق. وقد قامت القوات المشار إليها، وبالتنسيق مع أجهزة السلطة وإداراتها، بتنفيذ ما كان قد تم تكليفها به عبر جملة من عمليات القمع والقتل والاغتيال في القامشلي وعامودا والدرباسية وكوباني وبقية المناطق.

ولكن الغريب أنها كان تسوّق نفسها كردياً بأنها قد «حررت مناطقها بغية المحافظة على سلامة الكرد» هذا مع العلم أنها لم تخض عملية واحدة مع قوات وأجهزة السلطة، وانما كانت تشارك من حين إلى آخر في عمليات مسرحية كان هدفها اعادة الانتشار والتضليل، وربما تصفية الحسابات بين المسؤولين المحليين ليس إلّا.

ومع سقوط سلطة آل الأسد وهروب بشار، ومجيء الإدارة السورية الجديدة بعد التوافقات الإقليمية والدولية التي كانت لإخراج قوات وأذرع النظام الإيراني من سوريا، حاول حزب العمال عبر واجهة «قسد» و«الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا» البقاء في المشهد تحت شعار رفض الخضوع لـ «سلطة إرهابية»، هذا مع العلم بأن بين «قوات حماية الشعب/قسد لاحقاً» وجبهة النصرة، التي كانت العمود الفقري لهيئة تحرير الشام، تعود إلى عام 2013، وذلك باعتراف سيبان حمو نفسه (سمير آسو معاون وزير الدفاعي السوري حالياً) وذلك في مقابلته مع صحيفة «المجلة» مؤخراً.

وقد تمكّنت «قسد» نتيجة الدعم الأمريكي العسكري والمالي لها من خلال التحالف الدولي لمحاربة داعش، إلى جانب تحكّمها بالثروات الطبيعية، وجمع الضرائب، وفرض الأتاوات، والتحكّم بمختلف أوجه النشاط التجاري والخدمات والحياة المعيشية للناس، من السيطرة على الوضع في الشارع الكردي بعد أن هُمّشت الأحزاب الكردية السورية، خاصة المجلس الوطني الكردي، حتى بات مصطلح «قسد» في وجدان الكرد المخلصين البسطاء يعادل الكرد، رغم أن مسؤولي «قسد» كانوا يحرصون على رفع الصفة الكردية عنها؛ وقد أسهمت وسائل الإعلام المختلفة العربية والدولية، وحتى الكردية رغم معرفتها الدقيقة باللوحة الكردية السورية في عملية الخلط بين «قسد» والكرد.

واليوم وبعد أن أعلنت الولايات المتحدة انتهاء المهمة الوظيفية لـ «قسد»، وبعد الاتفاق الذي تم بين الحكومة السورية وهذه الأخيرة في 29 كانون الثاني/يناير 2026 وتطبيقاته تحت صيغة الاندماج، وذلك على إثر الانهيار السريع لـ«قسد» في معارك لم يكن لها لزوم وفق حوار سيبان حمو المشار إليه؛ انكشفت الأمور، وتبيّن حجم الفساد الهائل في الإدارة الذاتية المزعومة، التي حصلت على أموال طائلة من مصادر مختلفة، ولا يعلم أحد، سوى المشرفين عليها، كيف وأين بدّدتها، أو من الذي حصل عليها. فهي لم تنفق قرشاً واحداً على البنية التحتية والطرق والخدمات؛ ولم تشمل دائرة إنجازاتها سوى حفر الخنادق، وبناء القبور، والاستثمار في دماء الشهداء، والشعارات الكبرى التي ما أنزل الله بها من سلطان.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: اسامة حجاج

جوائز الرواية العربية: أي مستقبل؟

سعيد يقطين

حظيت الرواية العربية باعتبارها نوعا سرديا بما لم يحظ به أي جنس من الأجناس الأدبية العربية في العصر الحديث، ولا سيما منذ السبعينيات من القرن الماضي، والذي يستمر إلى الآن. لقد عمل على تطويرها وإعطائها مكانة متميزة في الإبداع العربي رواتيين ذوو موهبة وأصالة في التعبير جددوا في موضوعاتها وتقنياتها. وصارت بذلك فارضة نفسها على القارئ والناشر والباحث جميعا. وتزايد الاهتمام بها إبداعا وتلقيا حتى في البلدان العربية التي تأخر فيها ظهورها، فتضاعفت أعداد الروائيين والروائيات، والروايات. وكثر الاشتغال بها من قبل النقاد والباحثين الأكاديميين، وبدأت بعض التجارب تستقطب المترجمين من لغات أجنبية متعددة. وكان لذلك أثرها البالغ في كونها ما تزال تتربع على عرش الإبداع العربي.

يبدو لنا ذلك بجلاء في كثرة الجوائز العربية الخاصة بالرواية بالإضافة إلى جوائز أخرى عربية تتسع لفروع متعددة، حيث بات الروائيون ينافسون فيها الشعراء، كتاب القصة القصيرة. نجد من بين هذه الجوائز: جائزة البوكر وكتارا للرواية العربية العام. وفي الوقت نفسه نجد جوائز ذات بعد قطري خاص: جائزة نجيب محفوظ، والطيب صالح، ومحمد زفزاف. لقد لعبت هذه الجوائز دورا كبيرا في تطوير الواقع الروائي العربي، فكان التعريف بالكثير من الأسماء التي لم تكن متداولة في الساحة الأدبية، فكان أن نبهت إلى تجارب متميزة. تنوعت الأقطار التي نال منها روائيوها هذه الجائزة أو تلك، أو على الأقل ظهرت أسماؤهم في لوائحها الطويلة أو القصيرة، فكانت بذلك محركة للإبداع والتشجيع عليه. نلاحظ ذلك بوضوح في تزايد المترشحين لهذه الجوائز سنويا، والذي بات لا يقتصر فقط على الكتاب العرب، ولكن أيضا على كتاب من أقطار غير عربية يكتبون باللغة العربية.

لا مراء في أن هذا التقليد الإيجابي رسخ مواعيد سنوية صار يترقبها المتابعون والمهتمون كلما قربت آجال إعلان مراحل الإعلان عن هذه الجوائز، إلى درجة أنه أمسى الحدث الأكبر الذي ينتظره الجميع في غياب مواعيد أخرى مثل الدخول الثقافي الذي لا أثر له في واقعنا. لقد أتاحت لي فرصة المشاركة في لجان هذه الجوائز تكوين ملاحظات إيجابية عن دورها في تعزيز التواصل والتفاعل مع الإبداع الروائي العربي، وهو يتطور باطراد، محفزا على مواصلة التنافس بين الكتاب، والمشاركة في تطوير التجربة الروائية العربية وقد صار لها موقع لا يمكن التقليل من أهمية ما صار يحتله في الإبداع السردي العالمي.

لقد مرت سنوات كثيرة على بروز هذه الجوائز، ويبدو لي أنه آن الأوان لتقييم هذه التجارب ومكانتها في واقع الإبداع العربي الحديث والمعاصر. ولعل أهم ملاحظة يمكن الانطلاق منها هو تزايد أعداد المتنافسين سنة بعد أخرى. إن خمسين مترشحا مثلا لا يمكن أن نقارنه بأكثر من أربع مئة مترشح. يؤدي هذا التزايد في التأثير على أعمال اللجان في أوقات ضيقة، ولا يسمح بالاطلاع على كل التجارب للوصول إلى استكشاف ما تتقدم به هذه الروايات المختلفة سواء من حيث الحجم أو النوع الروائي. قد نجد رواية قصيرة من حوالي مئة وثلاثين صفحة، وأخرى من ثلاث مئة صفحة. ويمكن قول الشيء نفسه عن رواية ذات حبكة بوليسية، وأخرى ذات ملمح تأملي أو سياسي، أو ذات أطروحة معينة. فعلى أي أساس يمكننا الاحتكام؟

إن اختلاف الروايات المترشحة على هذا المستوى لا تكفي فيه المعايير العامة التي تضعها اللجان المسؤولة عن هذه الجوائز، وهي فعلا موضوعية وشاملة، وتستوفي أهم الشروط التي بمقتضاها يمكن التمييز بين الروايات حسب الجودة والتميز. لكني أحيانا قد أجد من الصعوبة بمكان الموازنة بين روايتين إحداهما تاريخية، وأخرى تدخل في نطاق السرد الذاتي. فأجد نفسي محرجا في كيفية التمييز بينهما، وهما معا تتوفران على كل المقومات التي تجعلني مطمئنا إلى أنهما معا في مستوى يليق بالجائزة. ويحدث أن تتفق اللجنة على نوع معين وتفضيله على غيره في ضوء ميولات اللجنة، فيتم إقصاء النوع الآخر رغم أنه في العمق لا يختلف عن مستوى الرواية الفائزة. وما قلته عن النوع الروائي يصدق على الحجم الروائي، وهو بدوره يمكننا من التمييز بين الروايات. فقد تكون رواية قصيرة مستوفية كل المقومات الطبيعية والوظيفية التي تؤهلها للجائزة، ولكن رجحان الرواية الطويلة، وهي من المستوى عينه، يمكن أن يكون أكثر حظا من النوع الآخر.

لا بد من التفكير في تطوير جائزة الرواية العربية مع طول الزمن، والخبرة والتجربة، والممارسة حفاظا على قيمتها المعنوية والرمزية، ودورها في تثمين الإبداع الروائي العربي، والارتقاء به إلى المستوى المطلوب. وأول ما يبدو لي مناسبا، حسب تقديري الشخصي، هو تقليص عدد المتبارين على الجائزة. وأرى من التعسف وضع معايير يمكن أن تحجب عنا تجربة متميزة لكاتب غير معروف، أو قليل الإنتاج، وإنما أقصد أن يحدد في كل دورة نوع روائي معين على ألا تكثر هذه الأنواع كي تعود الدورة إلى النوع المبتدأ به بحيث لا تتعدى ثلاث أو أربع سنوات. إن هذا الاقتراح يمكننا من جهة بالاعتراف بالنوع الروائي الذي ظل مقصيا من تصوراتنا، ومن جهة ثانية يسهم في تدقيق معايير محددة ودقيقة حسب كل نوع، ومن جهة ثالثة يقلل من أعداد المتنافسين. ويسمح هذا، أخيرا، بإعطاء لجان الفرز والقراءة والحكم إمكانية تقديم الفائز حسب النوع الروائي، لا حسب الرواية بإطلاق، وفي وقت كاف للاطلاع المتعمق على مختلف الروايات.

أريد أن أقرأ رواية تاريخية جيدة، أو رواية بوليسية متفردة، ونقول جميعا بأنه في سنة كذا نالت الرواية التاريخية كذا الجائزة الفلانية. وبهذا يمكننا أن نراكم الأنواع الروائية العربية إسوة بما تعرفه الرواية العالمية، وتكون رفوف مكتباتنا متطورة بتصنيفات جديدة في ضوء ما تقدمه للقارئ العاشق، وما يود الحصول عليه وفق رغباته وميولاته. ويسمح هذا للباحثين والنقاد بتحديد المتن الذي يودون الاشتغال به أو البحث فيه بدقة لا تقدمها له الرواية المنفتحة بلا حدود. كما أن هذا يعطي للروائي فسحة تجريب حظه في كتابة رواية محددة النوع، أو التفرغ لها في مدة معينة من تجربته الروائية. ولا شك أن هذا سيفرض عليه ليتميز عن غيره عدم اجترار التقاليد السائدة في كتابة هذا النوع، أو ذاك.

لقد ظلت كتابة الرواية العربية عندنا وليدة التصور الذي تكرس لدينا، في السبعينيات والثمانينيات، أي منذ أن بدأ الحديث عن النص المفتوح، والرواية بدون تحديد نوعي، وكان الكتابة النوعية تقييد لحرية الكاتب، وحصر له في نطاق ضيق أو محدود. إن الكتابة الروائية صنعة. ولكل صنعة شكل وقواعد بدون مراعاتها والعمل على الخروج عنها بوعي فني وموضوعي قد لا نجد ما يعطي للرواية خصوصيتها وإبداعيتها. كما أرى، من المناسب، أنه حتى بالنسبة للروايات التي بقيت في اللائحة القصيرة أن تكافأ الرواية التي تحتل المرتبة الأولى ضمنها بطبعها إذا كانت غير منشورة، ما دامت الرواية التي تم الاتفاق عليها تطبع وتكافأ ماديا أيضا. وأرى أن هذا الاقتراح بدوره يمكن أن يعطي قيمة خاصة للرواية التي يتفق عليها للطبع. وبذلك تكون الجائزة مساهمة في التشجيع والتقدير بكيفية جديدة. ويكون لهذا دوره أيضا في مراكمة الإنتاج الروائي المطبوع.

إن الروايات الحاصلة على الجائزة إذا لم توافكها الدراسات النقدية التي ينبغي أن يبدأ بها أعضاء اللجان أنفسهم، ويهتم بها الإعلام الثقافي بالشكل الملائم، وتكثر حولها اللقاءات المتواصلة في الإعلام بمختلف أصنافه تظل محدودة الانتشار، وتقتصر فقط على المهتمين والمبدعين. والغرض من الجائزة خلق الحدث الثقافي الذي ينبغي أن يصل إلى كل القراء، وبذلك يمكن أن تتسع دائرة المهتمين والمتابعين. ولنا في تعرفه الرواية في الغرب من اهتمام واسع خير مثال على الواقع الذي تعرفه الرواية وقد صارت جزءا من حياة المواطن العادي.

إن تطوير جائزة الرواية العربية مطلب حيوي لتطوير الإنتاج الروائي وتلقيه، لمواصلة دورها في التشجيع والمكافأة، وخدمة الثقافة العربية لتكون في مستوى أفق انتظارات الإنسان العربي وتوقعاته.

كاتب من المغرب

عيد القيامة

يحتفل ملايين المسيحيين حول العالم بعيد الفصح أو القيامة، أحد أهم وأكبر الأعياد في الديانة المسيحية، إذ يحي المسيحيون على مختلف طوائفهم في هذا العيد ذكرى قيامة المسيح من بين الأموات في اليوم الثالث لصلبه كما ورد في الأناجيل. كما يأتي العيد احتفالاً بانتهاء الصوم الكبير الذي يستمر أربعين يوماً بدءاً بأربعاء الرماد لدى الكنائس الغربية والاثنين لدى الكنائس الشرقية، وينتهي بسبت النور.

ويتوجه مسيحيو العالم لإحياء عيد القيامة بشكل رئيسي إلى كنيسة القيامة في القدس المحتلة، ومنذ 28 شباط/فبراير الماضي، تغلق إسرائيل كنيسة القيامة والمسجد الأقصى، بدعوى منع التجمعات أثناء التوترات بالمنطقة، وسط الحرب الإسرائيلية الأمريكية المتواصلة على إيران.

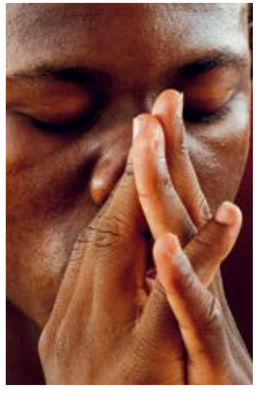

أداب وفنون

حين تصير الكتابة جريمة: الإبداع في زمن الخوف والكذب

إياد شماسنة

لا تكون الكتابة، في البلدان التي يحكمها الخوف، شأناً ثقافياً منفصلاً عن خراب المجال العام، ولا تمريناً جمالياً بريئاً على استعراض الفصاحة والخطابة فقط، بل امتحاناً للضمير الحي ومواجهة شرسة مع منظومة المنع والتشويه والابتـزاز. فالكاتب يُكتب تحت سقف منخفض وأمـام سلطة تعمل على مصادرة المعنى نفسه. ولهذا تكون الكتابة فعل يقظة واختباراً أخلاقياً متصلاً بمصير المجتمع كله. فما يُقمع في بلاد الخوف ودول الكذب هو قدرة الناس على تسمية ما يعيشونه وفهم ما يقع لهم والدفاع عن حقهم في رواية ورؤية العالم..

يحدث ذلك لأن الاستبداد لا يخاف السلاح وحده، بل يخاف اللغة أيضاً، وربما يخشى الجملة الدقيقة الصادقة أكثر مما يخشى الصرخة العالية. فالصرخة قد تُقمع أو تُستهلك سريعاً، أما الجملة التي تضع يدها على العطب، وتربط الألم بسببه، والخراب بصانعه، فهي الأخطر؛ لأنها تنتزع من السلطة امتيازها الأثمن: امتياز تعريف الواقع وامتياز تعريف الأشياء. فالاستبداد ليس احتكاراً للعنف، بل هو احتكارٌ للتسمية أيضاً؛ إنه يسمّي القمع أمناً، والكذب مصلحة وطنية، والخنوع حكمة، والصمت مسؤولية وضبط نفس. ومن هنا تبدأ مأساة الكتابة وضرورتها معاً.

الخوف ليس حالة نفسية، بل نظام تدريب على الذل

يتجلى الخـوف في المجتمعات المقهورة بوصفه انفعالاً فردياً أولاً، ثم بوصفه نظاماً لإدارة الناس وتدريبهم على الطاعة. إنه يتسلل إلى البيت والمدرسة ومكان العمل والجامعة والمقهى والعـلاقات الصغيرة، حتى يغدو مناخاً عاماً تتعلم فيه الجماعة كيف تصمت، تخرس، تبتلع اعتراضها، وتكرر ما لا تصدّق كأنها تصدق. وهنا تتجلى براعة الاستبداد ووحشيته معاً: فهو لا يفرض الصمت والذل ويكتفي، إنه يكوي الوعي ثم يصهره ثم يعيد تشكيله من الداخل، ويشطر الإنسان بين ما يراه وما يقوله، وبين ما يعتقده وما يعلنه، حتى يغدو العيش نفسه تمريناً يومياً على التمثيل البارع والكذب المتقن. وهذا الانشطار يتعدى كونه مجرد وسيلة هروب وإفلات أو نجاة، إلى جرح أخلاقي طويل وعطب روحي مقيت.

أما الكاتب، فهو أكثر من يختبر هذه المأساة؛ لأن عمله قائم أصلا على مطابقة اللغة للعالم، يقوم على وضوح المعنى وثبات الموقف، لا على مجاملة الخـوف. لذلك لا يُلاحق بسبب رأيه وحده، بل لأنه يذكّر المجتمع بأن الواقع المهين ليس هو الرواية الحقيقية، وأن الرواية الرسمية كاذبة، وبأن الكلمة الواعية قد تكون أخر ما تبقى من الحقيقة.

السلطة القمعية ليست في حاجة إلى تصديق الجميع؛ يكفيها أن تُنهك المجتمع، وتبلبل معاييره، وتُعطل قدرته على التمييز. وتشكك في قـدرته على التفكير منفردا والحكم على الأشياء، إنها لا تحكم بالروايةِ المصنوعة، الكذوبة، بإحكام وحدها، بل أيضاً بإغراق الفضاء العام بالأكاذيب، الحكايات المخترعة والإشاعات، حتى لا يعود السؤال: ما الحقيقة؟ بل: من بقي قادراً على مطاردتها، مخلصا ومثابراً؟ هذا النوع من السلطة يُخرّب شـروط الحقيقة ذاتها. يكذب على الناس، يفسد المفاهيم، ويسوّه اللغة، ويحرق المعنى، وينتزع الكلمات من سياقها ومن شرف مقاصدها، ثم يملأها بما يخدم بقاءه. فيغدو القمع أمناً، والطاعة وطنية، والنهب مصلحة عليا، والقانون أداةً في يد الأقوى. وهكذا لا يعود الكذب انحرافاً أخلاقياً عابراً، بل يصير بنية حكم وآلة يومية لصناعة الوهم.

ومن هنا لا تكون مهمة الكاتب فضح الواقعة وحدها، بل فضح المعجم الذي تُدار به الوقائع. فالكارثة ليست في أن السلطة تكذب، بل في أنها تريد للكذب أن يصير لغة عامة، وأن يفقد المجتمع حساسيته نحوه، ونحو الكاذبين وحين تبلغ هذه المرحلة، تبدأ استعمار الوعي نفسه.

الكتابة في زمن الخراب ليست مجرد زينةٍ أسلوبية ولا ملعب للبراعة، بل تصبح اختباراً أخلاقيـاً. فحين ينهار المجال العام، وتُخنق الحقيقة، ويُدفع الناس إلى العيش داخل رواية مزوّرة، يفقد الجمال براءته حين يزيّن الاستبداد، أو يعلّم الناس التعايش مع الإهانة. وكم من نص أنيق شارك، بقصد أو بغفلة، في تمييع الجريمة، أو في منح الطغيان لغة مهذبة تليق بوجهه القبيح. إن المهارة اللغوية تفقد قيمتها حين تغدو ستاراً للحقيقة، بل قد تصبح أشد خطراً حين تمنح الكذب هيئة محترمة.

أما الكتابة الجديرة باسمها، فلا تكتفي بالجملة الجميلة، بل تصنع مسافة نقدية بين الإنسان والأكاذيب المفروضة عليه. ليس بالصراخ وحفلات الشتائم، بل بالدقة والربط والكشف وردّ المعنى إلى الكلمات التي أفسدتها السلطة. ذلك هو معناها الأعمق في زمن القمع: أن تنتزع اللغة من أيدي مُدنّسيها.

الرقابة الأشد فتكاً هي تلك التي تستقر في الداخل

مهما اشتدت الرقابة المباشرة، ستظل مرئية؛ فهي عبارة عن منع، وتهديد، واستدعاء، ومصادرة، وتشويه. أما الرقابة الأفتك فهي تلك التي تُعفي السلطة، بعد حين، من كل هذا العناء؛ حين ينجح النظام في نقل الرقيب إلى داخل الكاتب نفسه. عندئذ لا يعود السؤال: ما الذي يجب أن يُقال؟ بل: ما الذي يمكن أن يمرّ؟ وما حجم الحقيقة الذي تُدار به الوقائع. أو الموقع أو المصالح؟ هنا يبلغ الخوف ذروته؛ إذ لا يعود ردّ فعلٍ على خطر خارجي، بل يصير منطقاً خفيا وأسلوب تفكير ومعيارا ينظم الجملة والخيال والموقف. وهكذا يغدو الاستبداد أكثر من سلطة سياسية؛ قوة تعيد تشكيل البنية الداخلية للذات.

لذلك لا تكون الكتابة النزيهة مقاومةً للمنع الخارجي فقط، بل مقاومة أيضاً لهذا الترويض الباطني. مقاومة لفكرة أن السلامة أعلى من الحقيقة، وأن النجاة الفردية تبرر كل تنازل. صحيح أن الحياة أعقد من بطولات مجانية، لكن الفرق الأخلاقـي يظل حاسماً: فرقٌ بين من يقتصد في القول اتقاءً للأذى، ومن يحوّل موهبته إلى وظيفة في جهاز الكذب وهنا مكمن الخطر وجمرة الحريق.

حين تضيق مساحة التصريح، يلجأ الأدب إلى الحيلة: تتسع الاستعارة، ويشتد الرمز، وتتكاثر الأقنعة. وليس ذلك ترفاً جمالياً دائما، بل كثيراً ما يكون وسيلة بقاء. فالكاتب الذي يُمنع من تسمية السجّان قد يبني عالماً كاملاً عن السجن ومدن الملح والموت، فيراه القارئ حاضراً. وقد يكتب الروائي عن القرية أو العائلة أو المؤسسة الصغيرة، فيما تقول البلاد كلها هي الموضوع المستتر. غير أن لهذه الحيلة فخها أيضاً. فالمراوغة التي تبدأ ضرورة قد تنقلب عادة، والغموض الذي يحمي المعنى قد يصبح قبراً له، والرمز قد يتحول إلى ستار لا يقول شيئاً. لذلك فمحنة الإبداع تحت الكبت ليست في الإفلات من الرقابة وحده، بل في الحفاظ على الصدق الداخلي للنص: أن يناور من غير أن يضيع، وأن يستعير القناع من غير أن ينسى وجهه.

الذاكرة في مواجهة آلة النسيان

كل سلطة كاذبة تـدرك أن السيطرة على الحاضـر لا تكتمل من دون السيطرة على الماضي. لذلك فهي لا تقمع فقط، بل تعيد كتابة الوقـائع، وتبدل الأسماء، وتمحو الشهود، وتحـوّل الضحايا إلى تفاصيل هامشية في سردية أكبر عنوانها الدولة أو الأمن أو الظرف الاستثنائي. وهنا تتقدم الكتابة بوصفها قوة مضادة للنسيان المنظم. فالنص الجاد لا يحفظ الحدث فقط، بل يحفظ أخلاقية الحدث أيضاً؛ يحفظ وجه الضحية، وارتباك الشاهد، وملمس الخسـارة، وتفاصيل الإهانة التي تسعى اللغة الرسمية إلى تبريدها وتحييدها. فالسلطة تميل إلى التجريد لأن التجريد يخفي الألم، أما الكتابة فتردّ الأمور إلى أجسادها وأسمائها.

ليس مطلوباً من الكاتب أن يكون قِديساً، ولا مشروع شهيد. لكن لا يجوز أيضاً غسل اليدين من المسؤولية بأية حجة كانت. فبين البطولة المجانية والانـخراط الكامل في آلة الكذب مساحة واسعة من الخيارات الأخلاقية. لكن ما لا يجوز تبريره هو أن يتحول الكاتب إلى سمسار معنى، أو إلى مزين للقبح، أو إلى موظف بلاغي في جهاز القمع. ثمة فرق أخلاقي لا بد من الدفاع عنه بين من يُرهقهم الخوف، وبين من يستثمرونه لصالحهم، وبين من يدفعون أثمانا ليحتفظوا ببعض الصدق، وبين من يحولون موهبتهم إلى خدمة في بلاط الكذب. لماذا تبقى الكتابة ضرورية رغم كل شيء؟ لأن الخطر النهائي في مجتمعات الخـوف ليس فقط أن يعلو صـوت السلطة، بل أن يضعف نفور الناس من القبح، وأن يتطبّع المجتمع مع الكذب. هنا تكتسب الكتابة ضرورتها القصوى. إنها تذكّر الناس بأن ما يجري ليس طبيعياً، وأن الإهانة ليست قدراً، وأن اللغة البسيطة الصادقة يمكن أن تكون أشرف من خطابات الدولة، وأن الذاكرة يمكن أن تكون أكثر عدالة من مؤسساتها. الكتابة الجادة لا تُسقط الاستبداد وحدها، لكنها تمنعه من الانتصار على المعنى والروح. إنها تحرس حق الإنسان في أن يرى، ويسمّي، ويتذكر، ويرفض.

الكتابة في مجتمعات الخوف أحد الأسماء الأخيرة للكرامة، وذلك ليس لأنها فعل بطولة، بل لأنها ترفض أن تترك المعنى وحيداً في مواجهة آلة التزوير وسلطة الكذب الرسمي. إنها تقول «لا» للكلمة المزوّرة، و«لا» للذاكرة المشطوبة، و«لا» للتصالح مع الإهانة، و«لا» لتحويل الخوف إلى قـانون داخلـي يحكم النفوس. ومن هذه الـلا» تبدأ وظيفة الكاتب الحقيقية: تصبح شاهداً على ما يريد الكذب محوه، وحارسا لصدق اللغة، ومدافعا عن حق الإنسان في ألا يُعاد تشكيل وعيه على مقاس السلطة وآلات القمع والإذلال والسيطرة.

ولهذا تبقى الكتابة، في نهاية المطاف، أكثر من مهنة وأكثر من فن وأكثر من رسالة: إنها دفاع عن إمكانية الإنسان وكرامته، وعن قدرته على التسمية والتذكر والرفض وتخيّل عالم لا تكون فيه الحقيقة تهمة، ولا الكرامة مخاطرة، ولا الكتابة جريمة، ولا اللغة مزرعة خاصة للطغيان، في وجه الطغيان كله.

المسرح المعاصر والذائقة المتمردة على شروطه

مروان ياسين الدليمي

في زمن يبدو فيه مثل هذا السؤال «من يذهب إلى المسرح؟» أبسط مما يحتمل، نعتقد أنه يفرض نفسه بإلحاح يكاد يكون وجوديا، لا لأنه جديد، بل لأنه يعوّد محملا بكل ما تغيّر من حوله. سؤال لا يُطرح بوصفه استفسارا إحصائيا، ولا باعتباره حنينا رومانسيا إلى مـاض ثقافي آفل، بل باعتباره أداة قياس دقيقة للمسافة التي اتسعت، وربما تصدعت، بين الإنسـان المعاصر وأحـد أقـدم أشكال التعبير الجمالي وأكثرها خطورة. فخطورته لا تكمن في موضوعاته أو لغته فحسب، بل في كونه يضع الإنسان وجها لوجه مع ذاته، بلا أقنعة رقمية، ولا وسـائط تخفف ثقل اللحظة. المسرح، كما كان دائما، ليس مجرد مكان للعرض، ولا منصة ترفيه، بل فضاء اختبار: اختبار للانتباه، وللقدرة على الصبر، وللاسـتعداد للمشاركة في تجربة لا تمنح وعودا بالمتعة السهلة. إنه مواجهة عارية بين الممثل والمتفرج، حيث لا مجال للاختباء خلف زر إيقاف أو تمرير، ولا فرصة لإعادة المشهد حين يفلت المعنى. هنا، يصبح الزمن نفسه طرفا في التجربة، زمنا لا يُختصر ولا يُدار، بل يُعاش بكل توتره وامتداده. من هذا المنطلق، يغدو السؤال عن الذهاب إلى المسرح سؤالا عن التحول العميق في بنية التلقي، وعن الإنسان الذي أعادت الميديا تشكيل علاقته بالصورة، والصوت، والمعنى. هل ما يـزال قـادرا على الجلوس في العتمة، منتبها، مكشوفا، بلا وساطة شاشة؟ أم أن هـذه المواجهة باتت عبئا لا يُحتمل في عصر السرعة والتشظي؟ إن السؤال، في جوهره، لا يخص المسرح وحده، بل يخص الإنسان المعاصر، وحـدود قدرته على الإصغاء، وعلى قبول تجربة لا تُصمم خصيصا لإرضائه، بل لمساءلته.

شاشة صغيرة تختزل العالم

لقد أحدثت الميديا، ووسـائط التواصل الاجتماعي على وجه الخصوص، تحولا بنيويا في طبيعة التلقي، تحولا لا يجوز اختزاله في كونه تغيرا تقنيا أو تطورا في أدوات العرض. إن ما جرى أعمق من ذلك بكثير؛ إنه مسّ جوهر العلاقة بين الإنسان والعمل الفني. فالتلقي لم يُـزَح عن الفضاءات العامة مصادفة، بل أعيد توجيهه قسرا نحو فضاء فردي، مغلق، تحكمه شاشة صغيرة تختزل العالم وتعيد ترتيبه وفق إيقاعها الخاص. لم يعد متفرجا فقط، بل صار منتجا للانطباع، ومعلقا فوريًا، ومستهلكا للمعنى في آنٍ واحد، في دورة لا تتيح له التوقف طويلا عند أي تجربة.

في هـذا السياق، تبدو خسـارة المسرح لجمهوره نتيجة عرضية لتحول أعمق في مفهوم الانتباه ذاته. فالتكنولوجيا لم تسحب الإنسان من مقعده في الصالة فحسب، بل أعادت تشكيل صبره، وحددت سقف تحمله للامـتداد، وأعـادت تعريف علاقته بالزمن بوصفه مادة قابلة للتقطيع والتجاوز. وهنا، يصبح السؤال الحقيقي أقل مباشرة وأكثر إزعـاجـا: هل مـا يـزال المسـرح، بوصفه فنا يقوم على الامتداد والحضور المشترك، قادرا على مخاطبة كائن تعوّد على المعنى السريع، والصورة المبتورة، والتجربة القابلة للإلغاء؟

ليس التحدي، إذن، في استعادة الجمهور عددا، بل في اختبار قدرة المسرح على الصمود أمام ذائقة تشكلت خارج شروطه. فالمسرح، في جوهره، لا يساوم على الزمن ولا على الانتباه، وهذه الصرامة ذاتها هي ما تضعه اليوم في موضع مساءلة حادة، وربما ضرورية.

فن غير قابل للترويض

إذا ما اقتربنا من المسرح بـعين نقدية لا تعرف المجاملة، فسيتبدد الانطباع السائد بأن المشكلة تكمن في غياب الجمهور. فالأزمة، في جوهرها، ليست أزمة مقاعد فارغة، بل أزمة وظيفة ملتبسة. ليس مقبولا أن يتم النظر إلى الفن بوصفه سلعة مطالبة بإرضاء الذائقة السائدة، ولا بوصفه نشاطا يقاس بدرجات القبول الـعـام، بـل بوصفه موقفا معرفيا وأخلاقـيـا من العالم. من هنا، فـإن السؤال الحقيقي لا يتعلق بعدد من يشاهدون العرض، بل بما إذا كان العرض نفسه يمتلك ضرورة وجوده.

حين ينسحب الجمهور من المسرح، لا يكون ذلك بالضرورة حكما على فشله، بل قد يكون عرضا جانبيا لاختلال أوسع في البنية الثقافية التي يُنتج فيها الفن ويُستقبل. فالثقافة التي تعوّدت على المعنى السريع، وعلى الجمال القابل للاستهلاك، تجد صعوبة في التعامل مع فن يصر على التعقيد، ويقاوم الاختزال، ويرفض تقديم نفسه في صورة مريحة. في هذا السياق، يغدو المسرح، لا لأنه متأخر، بل لأنه فنا إشكاليا غير قابل للترويض.

وفق هـذا المنظور، يصبح تقييم المسرح مسألة تتعلق بصدقه قبل أي شـيء آخر: بوضوح موقفه، وبمدى شجاعته في مواجهة عصر لا يكافئ الأسئلة الصعبة. فالفن لا يخسر قيمته حين يُساء فهمه، بل حين يتخلى عن توتره الداخلي، وعن قدرته على إرباك الثقافة التي أنتجته.

المعنى لا يُمنح بدون كلفة

يضع المسرح المتفرج أمام شرط بات نادرا في الثقافة المعاصرة: شرط الحضور الكامل. ليس الحضور بوصفه وجودا جسديا فحسب، بل بوصفه استعدادا ذهنيا وأخلاقيا للانخراط في تجربة لا تقبل التجزئة. هنا، لا تُمنح العين رفاهية الشرود، ولا يُتاح للذهن أن ينسحب بدون أن يترك فراغا محسوسا. العرض يمضي بصرامة، غير قابل للإيقاف أو الإرجـاع، ولا يعترف بحق المتفرج في التحكم بإيقاعه.

في هذا الفضاء، يتحول الزمن إلى عنصر فاعل، لا إلى خلفية محايدة. إنه زمن يُثقل التجربة بدلا من أن يخففها، ويطالب المتلقي بأن يعي امتداده بدل أن يفر منه. هذه العلاقة الصارمة بالزمن هي ما يجعل المسرح فنا غير مريح في عصر اعتاد تسهيل كل شيء، حتى التلقي ذاته. فبينما تعد الوسائط الرقمية بتجارب خفيفة وقابلة للتجاوز، يصر المسرح على أن المعنى لا يُمنح دون كلفة، وأن الانتباه ليس خيارا ثانويا، بل جوهر التجربة كلها.

في الجهة المقابلة، تُغري الوسائط الرقمية المتلقي بوهم السيطرة الكاملة على التجربة. له أن يختار ما يشاء، وأن يقاطع في أي لحظة، وأن يعلّق بدون التزام، ثم يغادر بلا أثر. هذه الحرية الظاهرية لا تُفضي إلى تعميق التلقي، بل إلى تفتيته. فالتجربة لا تُمنح زمنا كافيا لكي تتشكل، بل تُستهلك على هيئة انطباعات متلاحقة، سرعان ما يطغى بعضها على بعض قبل أن يترسخ أي معنى.

في هذا النمط من التلقي، لا يُطلب من المتفرج سوى رد فعل سريع، قابل للاستبدال. لا موقفا ولا تفكيرا. وهنا يتجلى الفارق الجوهري بين فضاءين لا يلتقيان إلا ظاهريا: فالمسرح يبني تجربته على المواجهة، وعلى انكشاف المتلقي أمام ما يُعـرض، بينما تقوم الشاشة على الاستهلاك السريع، حيث تُفرغ الصورة من ثقلها بمجرد تمريرها. ما يبدو حرية، هو في جوهره انسحاب هـادئ من تجربة مكتملة، واستبدالها بسيل من الإشـارات العابرة التي لا تترك أثرا دائما. ولا يستعيد المسرح موقعه بمحاولة مجاراة الهاتف الذكي، ولا بتقليد إيقاعه اللاهث، لأن مثل هذه المحاولة محكوم عليها بالفشل منذ بداياتها. فالمسرح لا يخسر حين يرفض السرعة، بل حين يتخلى عما يجعله مختلفا جذريا: قوته لا تكمن في الانتشار الواسع، ولا في القدرة على جذب أكبر عدد ممكن من المتفرجين، بل في وعيه بأنه فن موجّه إلى من يقبل شروطه. إنه فن لا يخجل من محدوديته، لأن هذه المحدودية ذاتها هي التي تحميه من التسليع، وتمنحه ثقله الخاص.

في هـذا المعـنى، يصبح المسـرح فعلا مقاوما، لا بوصفه شعارا أيديولوجيا، بل بوصفه ممارسة جمالية ترفض التبسيط وتقاوم الوهم القائل إن كل تجربة يجب أن تكون سهلة، سريعة، ومتاحة بلا كلفة. وهنا يتعقد السؤال: هل المطلوب مسرح يسعى إلى الجماهيرية مهما كان الثمن، أم مسرح يدافع عن ضرورته حتى لو اقتصر جمهوره على قلة واعية؟ هذا السؤال لا يتعلق بالعدد، بل بالقيمة، وبالوظيفة التي يُفترض أن ينهض بها الفن داخل الثقافة.

الكتابة عن المسرح اليوم لا ينبغي أن تنزلق إلى نبرة الرثـاء، بل إلى مساءلة العروض ذاتها: مدى وعيها بشروطها، وبالسياق الذي تُنتج فيه، وباللغة التي تخاطب بها متفرجها. فالقيمة الفنية لا تُقاس بعدد المقاعد المشغولة، بل بقدرة العمل على الصمود أمام الزمن، وعلى الاحتفاظ بتوتره بعد انقضاء اللحظة. صحيح أن الميديا وسّعت دوائر الوصول، وأعادت تعريف الجمهور، لكنها في الوقت ذاته كشفت هشاشة الذائقة وسرعة اسـتهلاك المعنى. في هذا الفراغ، يمتلك المسرح فرصة نـادرة: أن يكون نقيضا واعيا، لا امتدادا، وأن يطالب المتفرج بما لم يعد شائعا اليوم، وقتا حقيقيا، وجهـدا ذهنيا، وتجـربـة لا تختصر بلمسة إصبع.

من يذهب إلى المسرح؟

يذهب إليه من لم يتخل تماما عن الإيمان بقيمة اللقاء الحـي، وبفكرة أن الفن حدث يُعاش لا مادة تُستهلك. أولئك الذين يدركون أن الجمال لا يُقاس بمدى انتشاره، بل بقدرته على إحداث خلخلة في الوعي، ولو كانت محدودة الأثر وعدد الشهود. الذهاب إلى المسرح، في هذا المعنى، فعل قبول بالهشاشة؛ قبول بأن يكون المتفرج طرفا غير متحكم، خاضعا لإيقاع العرض، معرضا للملل أو الارتبـاك، وربما للرفض ذاته. ومع ذلك، فإن اختزال الأزمة في الجمهور وحده يظل قراءة مريحة أكثر مما هي دقيقة. فالمسرح، في غير تجربة معاصرة، أسهم في توسيع المسافة بينه وبين متلقيه حين تنازل عن توتره الداخلي، أو استعار لغة سريعة لا تنتمي إلى طبيعته، أو لجأ إلى خطاب مباشر يظن أن النية الطيبة تعوض غياب الصرامة الجمالية. هنا، يفقد العمل ضرورته لا لأنه صعب، بل لأنه سهل أكثر مما ينبغي. فالفن لا يعيش بالرسائل، بل بقدرته على تحويلها إلى تجربة متماسكة، صادقة، لا تطلب التسامح بل الاحترام.

تحقيقات

رقمٌ أشعل برلين ودمشق: كيف حوّلت زيارة الشرع ملف اللاجئين إلى اختبار لميرتس وسوريا معاً؟

برلين – «القدس العربي»:

علاء جمعة

لم تكن زيارة الرئيس السوري الانتقالي أحمد الشرع إلى برلين في 30 آذار/مارس 2026 زيارة بروتوكولية عابرة، ولا مجرد محطة جديدة في طريق فك العزلة عن دمشق. فاللقاء الذي جمعه بالمستشار الألماني فريدريش ميرتس بدا، في ظاهره، مناسبة للحديث عن إعادة الإعمار وفتح صفحة جديدة في العلاقات السورية الألمانية، لكنه انتهى إلى شيء آخر تماما: جدل حاد حول مصير مئات الآلاف من السوريين في ألمانيا، وفوضى سياسية وإعلامية انفجرت بسبب رقم واحد هو «80 في المئة». ومنذ تلك اللحظة، لم يعد السؤال: ماذا أراد الشرع من برلين؟ بل ماذا أراد ميرتس من هذه الزيارة: إعادة سوريا إلى الغرب، أم إعادة السوريين إلى سوريا؟

زيارة أكبر من ملف العودة

من الخطأ اختزال الزيارة كلها في ملف اللاجئين وحده. فبرلين أرادت أن تقول إنها مستعدة للانخراط في «تثبيت» سوريا الجديدة، ليس فقط سياسياً بل اقتصادياً أيضاً. الحكومة الألمانية أعلنت خلال الزيارة إنشاء قوة عمل مشتركة لتسريع التعاون، وربطت بين الاستقرار السياسي في سوريا والنمو الاقتصادي وإعادة الإعمار. كما تعهدت بتقديم أكثر من 200 مليون يورو خلال عام 2026، تشمل دعماً لمشاريع المياه وإعادة بناء المستشفيات، مع حديث واضح عن تحسين مناخ الاستثمار وتقديم خبرات وإصلاحات تساعد على جذب الشركات الألمانية. هكذا ظهرت الزيارة، في مستواها الأعمق، كمحاولة ألمانية لصياغة صفقة واسعة: دعم أوروبي اقتصادي وسياسي مقابل شراكة سورية في ملف الاستقرار والعودة.

ولذلك لم يكن حضور الشرع في برلين مجرد لقاء في المستشارية، بل تضمن أيضاً بعداً اقتصادياً مباشراً، من خلال المائدة الاقتصادية السورية الألمانية والرسائل التي صدرت عن الجانبين بشأن إعادة بناء البنية التحتية وفتح آفاق الاستثمار. وبرلين، التي أعادت فتح سفارتها في دمشق عام 2025 بعد انقطاع دام 13 عاما، لم تكن تتحرك هنا بدافع إنساني فقط، بل بدافع استراتيجي أيضا: سوريا المستقرة أقل كلفة من سوريا المنهارة، ودمشق التي ترتبط بمسار إعادة إعمار وتعاون اقتصادي أقل خطراً من سوريا المعزولة المفتوحة على الفوضى والتهريب وموجات النزوح الجديدة.

لكن هذه الصورة الواسعة تراجعت سريعاً إلى الخلف، بعدما ابتلعها ملف العودة، أو بالأحرى بعدما ابتلعها رقم العودة.

كيف وُلدت فوضى «80 في المئة»؟

في المؤتمر الصحافي المشترك، خرج سقف التوقعات أيضاً: فإذا تحدث المستشار عن 80 في المئة خلال ثلاث سنوات، فسوف يُحاسب عليه لاحقاً وكأنه وعد سياسي، لا مجرد جملة ملتبسة في مؤتمر صحافي.

لهذا بدا ارتباك المستشارية مفهوماً. فهي من جهة تريد إثبات أن «زمن الحرب انتهى» وأن مبررات الحماية يجب أن تُعاد دراستها، لكنها من جهة أخرى تعرف أن تحويل هذا التصور إلى سياسة جماعية سريعة أمر شديد الصعوبة. ولذلك عادت الحكومة لتقول إن السوريين في ألمانيا ليسوا كتلة واحدة، بل مجموعة شديدة التباين: بعضهم اندمج، بعضهم يعمل، بعضهم تجنس، وبعضهم ما زال في أوضاع قانونية هشة، بينما تبقى فئة المدانين جنائياً ملفاً منفصلاً تحاول برلين تقديمه كأولوية أولى. وهذا التفريق يكشف أن الخطاب العام عن «عودة السوريين» يخفي وراءه في الحقيقة سياسة فرز معقدة، لا سياسة جماعية موحدة.

السوريون في ألمانيا ليسوا «ضيفاً مؤقتاً» فقط

الأرقام المتاحة تجعل أي حديث عن عودة جماعية سريعة أقرب إلى الشعار منه إلى الخطة. فبحسب أحدث بيانات استند إليها موقع Mediendienst Integration الإخباري من وزارة الداخلية الألمانية، كان يعيش في ألمانيا حتى 28 شباط/فبراير 2026 نحو 930.112 سوري. ومن بين هؤلاء كان نحو 713 ألفاً مصنفين كـ«باحثين عن الحماية» بنهاية 2024، بينما يملك آخرون إقامات لأسباب الدراسة أو العمل أو لمّ الشمل أو غير ذلك. كما أن العدد الإجمالي للسوريين تراجع قليلاً مقارنة بأيلول/سبتمبر 2025، ليس بسبب العودة فقط، بل أيضاً لأن كثيرين حصلوا على الجنسية الألمانية. أي أن جزءاً من الصورة التي يراها الرأي العام لم يعد دقيقاً: فالسوريون في ألمانيا اليوم ليسوا كلهم لاجئون بالمعنى القانوني نفسه، وليسوا جميعاً قابلين للإدراج تحت عنوان العودة.

بل إن التحول الأهم يتمثل في أن شريحة واسعة منهم دخلت بالفعل في قلب البنية الاقتصادية والاجتماعية الألمانية. فمعهد أبحاث سوق العمل والمهن IAB يبين أن معدلات العمل بين السوريين ترتفع بوضوح مع طول مدة الإقامة، وأن متوسط نسبة الاندماج في العمل يصل إلى 61 في المئة بعد سبع سنوات من الوصول. كما أن 62 في المئة من السوريين العاملين في وظائف خاضعة للتأمينات الاجتماعية يعملون في مهن تُصنف «أساسية للنظام العام»، وهي نسبة أعلى بكثير من مثيلتها بين الألمان. وهذا يعني أن النقاش لم يعد يدور فقط حول «عبء لجوء»، بل حول جماعة باتت جزءاً من تشغيل الاقتصاد اليومي والخدمات العامة.

وتزداد الصورة حساسية عند الانتقال من العموم إلى القطاعات. فمعهد الاقتصاد الألماني في كولونيا أكد قبل أيام أن أكثر من 260 ألف سوري كانوا يعملون في وظائف خاضعة للتأمينات الاجتماعية في آب/أغسطس 2025، وأن نحو 80 ألفاً منهم يعملون في مهن تعاني أصلاً نقصاً حاداً في العمالة. وتظهر الأهمية الانطباع بأن نحو 80 في المئة من السوريين الموجودين في ألمانيا يمكن أن يعودوا إلى بلدهم خلال ثلاث سنوات. الرقم كان كافيا وحده لإشعال الساحة الألمانية. فهو لا يتعلق بعشرات الآلاف، بل بكتلة بشرية ضخمة ضمن واحدة من أكبر جماعات اللاجئين في البلاد. والأبسوأ من الرقم نفسه أن معناه لم يكن واضحاً: هل هو هدف تتبناه الحكومة الألمانية؟ هل هو مجرد تقدير؟ أم أنه مجرد حديث سياسي غير منضبط خرج من جلسة ثم تسرب إلى الميكروفونات بصيغة ملتبسة؟

هنا بالتحديد تحولت الزيارة من حدث دبلوماسي إلى أزمة تواصل سياسي. فبعد الضجة الواسعة، عاد ميرتس في 31 آذار/مارس 2026 ليؤكد أن نسبة 80 في المئة لم تكن هدفاً ألمانياً رسمياً، بل رقماً طرحه الجانب السوري، وأن برلين «أخذت علماً به» فقط مع إدراكها لحجم التحدي. وبعد ذلك بيوم، انتقلت الحكومة الألمانية في خطابها من لغة الأرقام والنِّسب إلى لغة أكثر ضبابية، فتحدث المتحدث باسمها عن «عدد ملموس» أو «عدد كبير» من العائدين، وركز على أن المهم هو الإطار العام لا «من قال الرقم أولاً». هذا التراجع اللغوي لم يكن مجرد تصحيح شكلي، بل اعتراف ضمني بأن الرقم خرج أكبر من قدرة الحكومة على الدفاع عنه.

وبحسب إعادة البناء التي أثارتها التغطية الألمانية، فإن ما فجر الأزمة لم يكن فقط الجوهر، بل أيضاً الصياغة المرتبكة التي ظهر بها كلام ميرتس، ثم محاولات لاحقة لتوضيح المقصود. لكن النتيجة السياسية كانت قد وقعت بالفعل. الرقم صار في المجال العام، وبدا يُقرأ في الداخل الألماني كوعْد كبير، وفي أوساط السوريين كرسالة تهديد، وفي دمشق كعبء دبلوماسي لا ضرورة له. وفي مثل هذه الملفات، لا يعود مهماً كثيراً من «قصد ماذا»، بل ما الذي فهمه الناس والفاعلون السياسيون من الكلام.

ولهذا لم يكن مستغرباً أن يتسع الجدل بسرعة، وأن تأتي الانتقادات ليس فقط من المعارضة، بل أيضاً من خبراء الاقتصاد وسوق العمل ومن أصوات داخل الائتلاف الحاكم. فالأرقام الكبيرة قد تبدو جذابة في الخطاب السياسي، لكنها تتحول بسرعة إلى فخ إذا لم تكن مدعومة بخطة قانونية وأمنية واقتصادية قابلة للتنفيذ.

لماذا كان الرقم خطيراً على ميرتس؟

الخطر هنا لا يتعلق فقط بحقوق السوريين أو بحساسية الملف الإنساني، بل أيضاً بالسياسة الداخلية الألمانية نفسها. فميرتس وصل إلى الحكم بخطاب أكثر تشدداً في الهجرة، وفي ظل صعود مستمر لليمين المتطرف ممثلاً في حزب «البديل من أجل ألمانيا». وفي هذا المناخ، يغدو أي خطاب عن «العودة» مغرياً انتخابياً، لأنه يبعث برسالة مباشرة إلى جمهور قلق من الهجرة ومقتنع بأن مرحلة اللجوء الاستثنائي يجب أن تنتهي. لكن المعضلة أن رفع السقف سياسياً يعني رفع

الخاصة للسوريين في النقل واللوجستيات والضيافة والخدمات الصحية. كما يشير المعهد إلى أن نحو 5.300 طبيب سوري كانوا يعملون كأطباء موظفين في ألمانيا ضمن فترة الدراسة التي اعتمدها، محذراً من أن عودتهم ستفاقم النقص في الرعاية الطبية. أما نقابة الأطباء الألمان فتُظهر أن عدد الأطباء السوريين الممارسين بلغ 7.042 في نهاية 2024، ما يجعلهم أكبر جنسية أجنبية داخل الجسم الطبي الألماني. هنا تحديداً ينهار الخط الفاصل بين «سياسة الهجرة» و«سياسة الدولة»: من يطالب بعودة واسعة، عليه أن يجيب أيضاً عن سؤال: من سيملأ الفراغ في المستشفيات ودور الرعاية وسلاسل النقل والخدمات؟

ولهذا لم يكن غريباً أن تخرج التحذيرات من خبراء الاقتصاد وسوق العمل بسرعة. فالمشكلة ليست فقط في احتمال خسارة اليد العاملة، بل في خسارة يد عاملة باتت مؤهلة أكثر بمرور الزمن، وبعضها انتقل من الأعمال الهامشية إلى وظائف تخصصية أو شبه تخصصية. بمعنى آخر، ألمانيا لا تناقش فقط خروج ناس، بل خروج خبرات استثمرت فيها اللغة والتأهيل والوقت.

دمشق تريد العائدين... لا المرحّلين

في المقابل، لا تبدو دمشق رافضة لعودة السوريين من حيث المبدأ، بل تعتبرها ضرورة وطنية واقتصادية. لكن الفارق جوهري بين منطق «العودة للمساهمة في إعادة البناء» ومنطق «الترحيل لتخفيف العبء عن ألمانيا». الشرع نفسه تحدث في برلين عن صيغة «هجرة دائرية» تتيح للسوريين، خصوصاً أصحاب الكفاءات، أن يشاركوا في إعادة بناء بلدهم من دون أن يخسروا الاستقرار الذي بنوه في ألمانيا. هذه الفكرة بحد ذاتها تقول الكثير: دمشق لا تتحدث هنا عن استقبال أفواج مرسلة دفعة واحدة، بل عن محاولة استعادة الطاقات والمهارات وربطها بمشروع إعادة الإعمار.

ولهذا جاء الرد السوري اللاحق حاداً وواضحاً. فبعد الجدل، أعلن وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني رفض أي «محاولات للترحيل القسري»، مؤكداً أن السوريين في المهجر «موارد استراتيجية» لا عبء، وأن المطلوب هو تهيئة بيئة تسمح بعودة طوعية وآمنة وكريمه. وهذا الموقف يكشف أن دمشق، حتى وهي تسعى إلى إعادة مواطنيها، تدرك حساسية الظهور كطرف يطلب من ألمانيا ترحيل مئات الآلاف بسرعة، لأن ذلك قد يضرب صورتها الخارجية، ويصطدم بواقع جاهزة تماماً للعودة الجماعية، بينما تطالب في الوقت نفسه بإصلاحات وضمانات إضافية كشرط للاستقرار. هنا يظهر التناقض الذي جعل الجدل أكبر من مجرد سوء تفاهم لغوي: ألمانيا تريد أن تعتبر الحرب منتهية بما يكفي لبدء العودة، لكنها لم تصل بعد إلى مرحلة اعتبار سوريا مكتملة التعافي.

العقدة القانونية التي لا يحلها خطاب سياسي

حتى لو افترضنا أن برلين قررت المضي أبعد في هذا المسار، فإن القانون نفسه يضع حدوداً واضحة. فالمكتب الاتحادي للهجرة واللاجئين BAMF يوضح أن سحب أو مراجعة صفة الحماية يتم عبر مسارات فردية، ويمكن الطعن فيه قضائياً. والأهم أن إسقاط الحماية لا يعني تلقائياً انتهاء الإقامة، لأن سلطات الأجانب هي التي تقرر لاحقاً ما إذا كان الشخص يستطيع البقاء على أساس قانوني آخر. وهذا يعني أن الطريق من شعار «العودة» إلى التنفيذ الإداري الفعلي طويل ومتعرج، ويمر عبر ملفات شخصية، ومحاكم، وسلطات محلية، واعتبارات عمل ودراسة وأسرة. أي أن السياسة تستطيع أن ترفع الشعارات، لكنها لا تستطيع تجاوز البنية القانونية بضربة واحدة.

لهذا يبدو أن ما قاله ميرتس في برلين كان، في أحد وجوهه، رسالة سياسية إلى الداخل أكثر مما كان برنامجاً تنفيذياً جاهزاً. لكنه في الوقت نفسه حمل مخاطرة كبيرة: إذ أرسل إشارة إلى السوريين بأن بقاءهم لم يعد مضموناً كما كان، من دون أن يقدم تصوراً عملياً متكاملاً لما بعد هذه الإشارة. وفي ملفات اللجوء، تكفي الإشارة أحياناً لتصنع خوفاً واسعاً، حتى لو تأخر القرار أو تبدل أو تعقد.

ماذا حققت الزيارة فعلاً؟

إذا أردنا تقييماً هادئاً للزيارة، فيمكن القول إنها نجحت دبلوماسياً وفشلت تواصلياً. نجحت لأن الشرع حصل من برلين على ما هو أهم من المجاملة: اعتراف سياسي عملي، دعم مالي، فتح قنوات اقتصادية، واندراج سوريا الجديدة في تصور ألماني أوسع للاستقرار وإعادة الإعمار. ونجحت أيضاً لأن ألمانيا أكدت أنها ترى في دمشق شريكاً لا يمكن تجاهله في ملفات الأمن الإقليمي والعودة وإعادة البناء. لكنها فشلت تواصلياً لأن اللحظة التي كان يفترض أن تُبرز هذا الاختراق تحولت إلى سجال ألماني داخلي حول «كم سيعود؟» و«من قال الرقم؟» و«هل هذه سياسة حكومية أم زلة لسان؟».

والأرجح أن هذا هو الدرس الأهم من الزيارة كلها: ملف السوريين في ألمانيا لم يعد مجرد ملف إنساني، لكنه لم يتحول أيضاً إلى ملف إداري بسيط يمكن حله برقم في مؤتمر صحافي. إنه اليوم ملف شديد الحساسية: حاجة سورية إلى الكفاءات والعائدين، وحاجة ألمانية إلى تقليل الضغط السياسي للهجرة من دون خسارة سوق العمل، وواقع قانوني وحقوقي يجعل أي خطوة جماعية واسعة محفوفة بالنزاع والمراجعة والطعن.

لهذا فإن زيارة الشرع إلى برلين لم تحسم سؤال العودة، بل كشفت تعقيده. لم تثبت أن مئات الآلاف من السوريين سيعودون قريباً، كما لم تثبت أنهم باقون جميعاً كما هم. ما فعلته فعلاً هو أنها نقلت النقاش من مستوى الشعارات العامة إلى مستوى الصفقة الصعبة: كم تحتاج سوريا من أبنائها؟ وكم تستطيع ألمانيا أن تتخلى عنهم؟ وبين السؤالين، خرج رقم «80 في المئة» كأنه عنوان المرحلة، ثم تحوّل بسرعة إلى دليل على أن السياسة، حينتستعجل الكلام قبل الخطة، قد تربك الحليف والخصم والرأي العام معاً. وفي هذا المعنى، لم تكن أزمة الزيارة في أن ميرتس قال كثيراً أو أن الشرع قال قليلاً، بل في أن الطرفين اقتربا من أكثر الملفات حساسية قبل أن يتفقا على اللغة التي تشرحه.

ميديا

موجة جدل واسعة في مصر والأردن بعد الإعلان عن إجراءات تقشف وخفض نفقات

لندن – «القدس العربي»:

انشغل المستخدمون على شبكات التواصل الاجتماعي في مصر والأردن بالجدل الواسع والتعليق بسبب الإجراءات التقشفية وعمليات خفض الإنفاق التي أعلنتها الحكومتان بشكل متزامن، وذلك بسبب تداعيات الحرب الأمريكية الإسرائيلية التي تستهدف إيران والتي أدت إلى ارتفاع قياسي في أسعار النفط مع نقص في الإمدادات.

ويسود الاعتقاد بأنّ هذه الحرب قد تؤدي إلى أزمة اقتصادية عالمية، مع موجة ارتفاع حاد في الأسعار، إضافة إلى أزمة غذائية عالمية بسبب أن الأسمدة والعديد من المواد الحيوية تمر عبر مضيق هرمز في طريقها إلى الدول الزراعية الكبرى مثل الهند وغيرها، فيما أشعلت هذه المعلومات المخاوف في العالم من تأثيرات هذه الحرب.

وارتفعت أسعار الطاقة إلى مستويات قياسية لم يتم تسجيلها منذ بدأ الغزو الروسي إلى أوكرانيا في العام 2022، حيث ارتفع سعر النفط الخام إلى أكثر من 120 دولارا للبرميل، وهو ما يُمثل ضعف المستويات التي كانت قبل بدء الحرب، كما تضاعف سعر الغاز الطبيعي وسط مخاوف بشأن الامدادات بعد أن تعرضت منشآت غاز مطلة على الخليج العربي لاعتداءات مختلفة.

وبدأت مصر الأسبوع الماضي تنفيذ قرار بتنظيم مواعيد غلق المحال العامة والتجارية لترشيد استهلاك الكهرباء، وذلك لمواجهة تداعيات ارتفاع أسعار النفط عالمياً، حيث شملت الإجراءات، وفق بيان لرئاسة الوزراء، إغلاق المحال التجارية والمطاعم ومراكز التسوق ودور السينما والمسارح وقاعات الأفراح في التاسعة مساء، عدا يومي الخميس والجمعة وأيام عطلات الأعياد والمناسبات الرسمية، حيث يكون الإغلاق في العاشرة مساء.

وتشمل الإجراءات أيضاً تقليل الإضاءة في الشوارع وخفض إضاءة الإعلانات في الشوارع بنسبة 50 في المئة، إضافة إلى تقليل مخصصات الوقود للمركبات الحكومية بنسبة 30 في المئة، وفق ما ذكرت وسائل إعلام محلية.

ومن ضمن الإجراءات أيضاً إغلاق الحي الحكومي بالعاصمة الإدارية الجديدة في تمام السادسة مساء، والإبطاء الكامل للمشروعات القومية كثيفة الاستهلاك للسولار لمدة شهرين، وتطبيق العمل عن بعد يوم الأحد من كل أسبوع اعتباراً من أول نيسان/ابريل 2026.

أما في الأردن، فقد أصدر رئيس الوزراء جعفر حسان قراراً يقضي بتشديد إجراءات ترشيد الاستهلاك وضبط الإنفاق في جميع المؤسسات الحكومية والدوائر الرسمية والهيئات العامة، وفق ما أوردت وكالة الأنباء الرسمية «بترا».

وبموجب القرار الحكومي الأردني فقد تم منع استخدام المركبات الحكومية إلا للأغراض الرسمية فقط، مع حظر استخدامها خارج أوقات الدوام، وإلغاء جميع الاستثناءات والموافقات السابقة المتعلقة بهذا الشأن، وإيقاف سفر الوفود واللجان الرسمية إلى الخارج لمدة شهرين، ووقف استضافة الوفود الرسمية خلال الفترة ذاتها، ومنع استخدام أجهزة التكييف ووسائل التدفئة في الوزارات والمؤسسات الحكومية.

وسرعان ما انتشرت موجة الجدل والتعليق على شبكات التواصل الاجتماعي، حيث كتب الناشط أحمد الشهري معلقاً على شبكة «إكس» بالقول: «مصر تعاني أزمة طاقة حادة، بدءاً من السبت 28 آذار/مارس 2026، تُغلق المحال التجارية والمولات والمطاعم والمقاهي عند الساعة 9 مساءً يومياً عدا الخميس والجمعة حتى 10 مساءً.. إجراء تقشفي لترشيد الكهرباء بعد ارتفاع فاتورة الطاقة.. تعليق: غالباً هذا يؤدي إلى سرقات وتباطؤ اوركود اقتصادي».

أما الناشط الأردني فراس الماسي فكتب يقول: «قمة التناقض والتبذير في إحدى المؤسسات؛ بينما يُطالبون بالتقشف، يُقام حفل في فندق خمس نجوم.. نعم أنت في الأردن».

وقال محمد أمين: «الأردن يعلن تقشفاً كاملاً بسبب ظروف المرحلة، طيب إذا هذه البداية فقط والضربات لسة محدودة وصلنا للتقشف؟! السؤال المخيف: إذا هذا رد الفعل الآن كيف بيكون الوضع لما تتوسع اللعبة؟ وهذا الذي سيحصل قريبا». وأضاف في تدوينة ثانية: «الأهم هل الأردن حالة منفردة؟ أم بداية موجة؟ في الخليج أصلا هناك كلام عن تقشف ناعم داخل بعض الجهات، وتقليل مصاريف، وتأجيل مشاريع، وشد الحزام بدون إعلان رسمي.. يعني الصورة أكبر مما يتم تسويقه بكثير».

وعلق الناشط الخليجي جاسم الحسين: «أثبتت الحرب على إيران بأن مصر هي الأكثر هشاشة في المنطقة. مصر التي يبيع إعلامها الأوهام لمواطنيها صباحاً ومساءً، انهارت فيها الخدمات بعد أسابيع قليلة من حرب لم تكن طرفا فيها، فهذه القاهرة تغرق في العتمة، والجنيه ينهار، والدولة تحتاج لمساعدة مالية طارئة، كما قال وزير الخارجية المصري لنظيره الأمريكي، بعد أن فشل الرئيس المصري بالحصول على مساعدات خليجية.. أزمة مصر الحقيقية في أسلوب قيادتها التي لا تملك حلولاً لبلد غارق في الأزمات، فتحاول الهروب عبر خلق معارك وهمية مع شعوب عربية، وبيع الوهم للمصريين في الإعلام الرسمي».

وكتب الناشط محمد سعد خير الله: «هناك حكمة أيقونية شهيرة قالها العظيم البرت أينشتاين، هي: الغباء هو فعل نفس الشيء مرتين، بنفس الأسلوب ونفس الخطوات، وانتظار نتائج مختلفة.. الدرس المستفاد: لا توجد دولة في العالم قاطبة حكمها العساكر وتقدمت، أو حتى حافظت على وضعها؛ فالتراجع، والتقهقر، والفشل، والسقوط، والخراب نتائج حتمية، تلك طبائع الأمور المجرَّبة سلفاً.. نجني الآن في مصر نتيجة تراكم كوارث أربعة وسبعين عاماً من الحكم العسكري، والنتيجة كما يراها الجميع واضحة أمام العيون: انحدار شامل كامل، على كل شكل ولون، متعدد النكهات، لا تخطئه البصيرة.. والسؤال: ألم يحن الوقت يا عساكر لكي تعودوا إلى الثكنات وتتركوا لهذا الوطن فرصة أخيرة للإنقاذ، قبل أن يصبح ذلك في حكم المستحيل؟».

ونشر حساب يُطلق على نفسه اسم «مآرب الورد» تدوينة يقول فيها: «هل وصلت مصر إلى مرحلة لا تخرج إلا للضرورة اقتصاديا؟ رئيس الوزراء ينباشد المواطنين تقليل المشاوير غير ذات الجدوى. هل بدأ التقشف ينتقل من الجيب إلى الحركة نفسها؟».

وقال حساب «البوصلة»: «مع تصاعد التوترات الإقليمية والحرب الدائرة في منطقة الشرق الأوسط سارعت دول كمصر والأردن إلى تبني حزم من الإجراءات الاقتصادية التقشفية لاحتواء التداعيات المباشرة وغير المباشرة للأزمة في وقت بدت فيه ليبيا أقل اندفاعا نحو خطوات مماثلة رغم انكشافها على نفس المخاطر.

وأعلنت مصر عن سياسة اقتصادية قائمة على رفع تدريجي لأسعار الوقود والكهرباء وتقليص الدعم، إلى جانب إدارة مرنة لسعر الصرف وتوسيع الإيرادات الضريبية، في محاولة لاحتواء الضغوط على العملة الصعبة وتقليل عجز الميزانية، حتى وإن انعكس ذلك بشكل مباشر على مستوى معيشة المواطنين.

كما لجأت لتعويض النقص في إمدادات الوقود عبر البوابة الليبية وسط حديث عن توريد مليوني برميل شهريا عقب توقف الامدادات الكويتية إلى جانب مطالبة المحال التجارية والأسواق والمجمعات التجارية بقفل أبوابها ووقف تشغيل الإنارة بدء من الساعة التاسعة ليلا للحد من استهلاك الكهرباء».

وأضاف الحساب نفسه: «في الأردن اتخذت السلطات قراراً بتعديل أسعار المحروقات وفق السوق العالمية، وضبط الإنفاق العام، مع الحفاظ على حد أدنى من الحماية الاجتماعية لتفادي انفجار اجتماعي، بالتوازي مع جهود تنويع مصادر الطاقة وتعزيز الاستقرار النقدي.

أما في ليبيا فتبدو الصورة أكثر تعقيدًا، حيث يحول الطابع الريعي للاقتصاد المعتمد على النفط دون تبني سياسات تقشفية مشابهة، كما أن الانقسام السياسي وتعدد مراكز القرار يجعلان من أي خطوة لرفع الدعم أو تقليص الإنفاق مخاطرة قد تفجر توترات داخلية يصعب احتواؤها».

وكتب الناشط الليبي جلال القبي: «العالم دخل حالة تقشف واستعداد للأسوأ بسبب تداعيات الحرب الأمريكية على إيران. دول دخلت في طرح أحمال للتقليل من استهلاك المحروقات، ودول أخرى منعت تصدير السلع الأساسية لتفادي حدوث أزمة داخلها. الا الحبر بلقاسم ولد حفتر قاعد مُصر على صرف 70 مليار دينار لسنة 2026 على كوربات وتزفيت الطرق. لما تصير أزمة عالمية ومجاعة ياريت من يبرروا له الآن كل واحد يشد كوبري ويضعفه ويسمعنا سكوته.. من أول صاروخ روسي على أوكرانيا الأسعار شيطت تقول الصاروخ طاح في ليبيا.. فما بالك إذا صارت أزمة عالمية؟!».

وقال عطيات بهنسي: «مصر تمرّ بأزمة طاقة صعبة، وعشان كده تم تقفيل المحلات والمولات والمطاعم والكافيهات الساعة 9 بالليل يوميا، ما عدا الخميس والجمعة لحد الساعة 10. ده إجراء تقشفي علشان ترشيد استهلاك الكهربا بعد ما فاتورة الطاقة زادت. ربنا يحفظ مصر ويعدّيها من الأزمة على خير».

وقال راشد غريري: «مصر فاكرين صندوق النقد الدولي زي دول الخليج يغضون الطرف عن سوء ادارة اقتصاد الدولة.. مصر تحتاج إلى: أولاً: تخصيص كافة أملاك القطاعات العسكرية، ثانيا: تجديد وترميم واعادة تصميم قصور الرئاسة وتحويلها لقطاع الترفيه أو السياحة. ثالثا: تنفيذ برنامج صارم للتقشف وخاصة في البذخ على املاك ومصروفات الرئاسة، مثال (طائرة الرئاسة). لا يمكن أن تذهب لطلب قرض دولي راكب سيارة رويز رويس.. ورابعا: تعيين كفاءات وطنية أو أجنبية وبصلاحيات واسعة ومستقلة لادارة موارد واقتصاد الدولة.

وعلق جمال صيام: «جبهة مصر بعد شهر من الحرب: تقشف وتخارج 4.5 مليار دولار أموال ساخنة؛ الدولار بـ55 جنيه 65– عقود آجلة؛ انخفاض تحويلات المغتربين؛ صندوق النقد رفض صرف شرائح القرض؛ توقف الإنقاذ الخليجي المعتاد وتجاهل تام من حكامه؛ بني إسرائيل قطعوا الغاز؛ أمريكا وأوروبا وروسيا لم يعطوه اعتبار... صبراً».

وقال أحد المعلقين: «الُملاحظ الآن هو دخول كل من حكومات مصر والأردن في إجراءات تقشّف جرّاء الحرب الجارية، ولا استبعد عزيزي القارئ إن حدثت مثل هذه الإجراءات في دول أوروبية كانت يوماً ما كُبرى. الواضح للعيان أنّ نتائج هذه الحرب العبثية ستكون أثقل من أن تحملها الدول الكبرى فما بالك بالدول الصغيرة».

محكمة تونسية تقضي بالسجن عامين ضد صحافي بسبب نشره خبراً اعتبرته «كاذباً»

لندن – «القدس العربي»:

أصدرت محكمة ابتدائية في العاصمة التونسية حكماً بسجن الصحافي ومدير تحرير موقع «انحياز» الإلكتروني غسان بن خليفة لمدة عامين، وذلك على خلفية نشره خبراً اعتبرته المحكمة «كاذباً»، فيما أثار الحكم الصادر بحق الصحافي إدانات حقوقية واسعة.

وقالت المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا في تقرير لها اطلعت عليه «القدس العربي» إن الحكم الصادر بحق بن خليفة يُضاف إلى سجل متنام من التضييق على الحريات العامة في تونس»، وأشارت إلى أنه «يعكس توظيفاً متصاعداً للقضاء كأداة لمعاقبة الأصوات الناقدة».

كما أشارت المنظمة إلى أن «الحكم الذي صدر عن الدائرة الجنائية الخامسة يأتي ضمن سياق أوسع يشهد تراجعاً مقلقاً في حرية التعبير، حيث تُستخدم نصوص قانونية فضفاضة لتجريم العمل الصحافي، بما يفتح الباب أمام ملاحقات تعسفية تستهدف مضمون الآراء لا أفعالاً جرمية حقيقية. فالمبدأ القانوني المستقر دولياً يقضي بأن قضايا النشر يجب أن تُعالج ضمن إطار مدني أو مهني، لا عبر العقوبات السالبة للحرية، لما لذلك من أثر رادع يكمّم الأفواه ويقوّض الدور الرقابي للإعلام». وتقول المنظمة العربية إن تفاصيل القضية «تكشف عن خلل جوهري في معايير المحاكمة العادلة، إذ نُسبت إلى بن خليفة إدارة صفحة على موقع فيسبوك رغم نفيه المتكرر لأي صلة بها، في غياب أدلة مادية أو تقنية تثبت تلك العلاقة»، وأكدت أن «هذا النمط من الاتهام، القائم على افتراضات غير مدعومة بأدلة، يضرب في الصميم قرينة البراءة، ويثير شكوكاً جدية حول سلامة الإجراءات القضائية برمتها». وأضافت المنظمة: «إن تجريم ما وُصف بـ(الإساءة للغير عبر شبكة الاتصالات) أو (ارتكاب أمر موحش بحق رئيس الجمهورية) يعكس توجها نحو حماية السلطة من النقد، بدلا من حماية المجتمع من الأذى الحقيقي. وفي المعايير الدولية لحقوق الإنسان، لا تُمنح الشخصيات العامة حصانة من النقد، بل يُفترض أن تتحمل قدراً أوسع منه، باعتبار موقعها وتأثيرها في الشأن العام». وعبّرت نقابة الصحافيين التونسيين عن رفضها القاطع للحكم، معتبرة إياه استهدافاً مباشراً لحرية التعبير، ومؤكدة أن ملاحقة الصحافيين على خلفية عملهم المهني تمثل انحرافاً خطيراً عن دور القضاء. ويتعارض سجن صحافي بسبب محتوى منشور مع الالتزامات الأساسية المتعلقة بحرية الرأي والتعبير، والتي تضمن الحق في نقل المعلومات والأفكار دون تدخل. كما أن اللجوء إلى العقوبات السالبة للحرية في قضايا التعبير يُعد إجراء غير متناسب، ويشكل انتهاكا واضحا لمبدأ الضرورة والتناسب في تقييد الحقوق. وخلصت النقابة إلى القول إنه «بهذا الحكم، لا تُستهدف حرية صحفي واحد فحسب، بل يُبعث برسالة ترهيب إلى كامل الوسط الإعلامي، مفادها أن كلفة النقد قد تكون السجن، في واقع يعيد إنتاج أنماط قمعية ظن التونسيون أنهم تجاوزوها».

خبراء أمميون يدعون إلى تحقيق دولي في اغتيال إسرائيل لثلاثة صحافيين لبنانيين

لندن – «القدس العربي»:

دعا خبراء في الأمم المتحدة إلى إجراء تحقيق دولي في اغتيال ثلاثة صحافيين لبنانيين بغارة إسرائيلية، معتبرين أن إسرائيل لم تقدّم «أدلة موثوقة» على صلتهم بما قالت إنها جماعات مسلحة. وقال الخبراء الأمميون في بيان لهم الأسبوع الماضي: «ننتدد بشدة بما بات يشكّل ممارسة متكررة وخطيرة من جانب إسرائيل تتمثل في استهداف الصحافيين وقتلهم، ثم الادعاء لاحقاً، من دون تقديم أدلة موثوقة، بوجود صلة لهم بجماعات مسلّحة».

واستُشهد المراسل، علي شعيب، إلى جانب المراسلة، فاطمة فتوني، وشقيقها المصوّر محمد فتوني، بضربة إسرائيلية استهدفت سيارتهم في جزين في جنوب لبنان في 28 آذار/مارس الماضي. وادعى جيش الاحتلال الإسرائيلي أن شعيب كان يعمل في قوة الرضوان التابعة لحزب الله اللبناني، وأنه كان «متخفّيا بصفة صحافي في شبكة المنار»، كما زعم أن محمد فتوني كان عنصراً في «الجناح العسكري» لحزب الله اللبناني.

لكن الخبراء أكدوا أن ادعاءات إسرائيل كاذبة، ووجدوا أنها قدّمت كدليل وحيد صورة للصحافي علي شعيب جرى التلاعب بها عبر برنامج «فوتوشوب» تظهره بلباس عسكري، وأكدوا أن هذا دليل على استخفاف إسرائيل بالقانون الدولي.

وأعاد الخبراء التذكير بأن عمل الصحافيين اللبنانيين لدى وسيلة إعلام، حتى لو كانت مرتبطة بجماعة مسلّحة، لا يعدّ مشاركة مباشرة في الأعمال العدائية وفقاً للقانون الدولي الإنساني. وأكدوا أن «المسؤولين الإسرائيليين يعلمون ذلك، لكنهم يختارون تجاهله، وشجعتهم على ذلك حالة الإفلات من العقاب التي استفادوا منها في عمليات قتل سابقة لصحافيين في لبنان وغزة والضفة الغربية».

يشار إلى أن أكثر من 261 صحافياً وعاملاً في الإعلام استشهدوا خلال العدوان الإسرائيلي على غزة، ما جعل المنظمات الدولية تصف غزة بأنها أخطر البيئات للعمل الصحافي.

أستراليا وإندونيسيا تلاحقان شبكات التواصل الاجتماعي.. والنمسا تدرس تقييدها للأطفال

لندن – «القدس العربي»:

اتخذت أستراليا وإندونيسيا إجراءات رسمية وقانونية ضد الشركات المالكة لشبكات التواصل الاجتماعي، وذلك بسبب عدم امتثالها للقيود المفروضة على المستخدمين ممن هم دون 16 عاماً، فيما تتجه النمسا إلى اللحاق بركب الدول التي تقيد وصول الأطفال إلى هذه الشبكات وتدرس حظرها عن الأطفال دون الـ14 عاما.

وبدأت كل من أستراليا وأندونيسيا تحقيقات موسعة مع الشركات المالكة لشبكات التواصل، كما وجهت مذكرات استدعاء لشركات التكنولوجيا الكبرى.

وفتحت أستراليا تحقيقاً مع منصّات فيسبوك وتيك توك ويوتيوب للاشتباه في خرقها حظر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لمن هم دون 16 عاماً، متهمةً شركات التكنولوجيا الكبرى بـ«عدم الامتثال» لقوانين تُعدّ من الأكثر تقدّماً عالميا.

وكانت أستراليا قد فرضت اعتباراً من كانون الأول/ديسمبر الماضي حظراً على استخدام هذه المنصّات من قبل القاصرين، يجبر الشركات على اتخاذ «خطوات معقولة» لمنع الأطفال دون 16 عاماً من إنشاء حسابات أو الاحتفاظ بها، وإلا تعرّضت لغرامات تصل إلى 50 مليون دولار أسترالي (34 مليون دولار أمريكي) بموجب هذه القوانين.

وأفادت هيئة السلامة الإلكترونية بأنّ أكثر من خمسة ملايين حساب لمستخدمين دون السن القانونية قد أزيلت منذ بدء تطبيق الحظر.

كما أصدرت إندونيسيا مذكرات استدعاء بحق شركتي غوغل وميتا، على خلفية عدم امتثالهما لحظر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لمن هم دون 16 عاما، والذي دخل حيّز التنفيذ مؤخرا. وأوضحت وزيرة الاتصالات ميوتيا حفيظ، في مقطع فيديو نشرته عبر إنستغرام أنّ «الحكومة ترسل مذكرات استدعاء» إلى ميتا، المالكة لمنصّات فيسبوك وإنستغرام وثريدز، وكذلك إلى غوغل المشرفة على يوتيوب، معتبرةً أنّ الشركتين «انتهكتا القانون الإندونيسي». وأضافت أنّ هذه الإجراءات تأتي «في إطار تطبيق عقوبات إدارية وفق الأحكام المعمول بها». وبدأت الدولة، التي تُعدّ من الأكثر استخداما للتطبيقات، تنفيذ الحظر فعلياً يوم السبت 28 آذار/مارس، مبرّرة الخطوة بمخاطر المحتوى الإباحي على الإنترنت، والتنمر الإلكتروني، وإدمان الاستخدام، في ظل تزايد القلق عالميا حيال تأثير هذه المنصّات على رفاه الأطفال.

وأبلغ عدد سكان إندونيسيا أكثر من 284 مليون نسمة، بينهم نحو 70 مليون طفل دون 16 عاما، ودعت الوزيرة الأهالي والأطفال إلى المساهمة في مراقبة الالتزام، والإبلاغ عن الشركات التي تخالف القانون.

النمسا تتحرك

في غضون ذلك، أعلنت الحكومة النمساوية يوم الخميس الماضي أنها تنوي حظر استخدام منصات التواصل الاجتماعي على الأطفال دون 14 عاماً قريباً، منبّهةً إلى أنها تسبّب الإدمان وتمجّد العنف وتسمح بنشر المعلومات المضللة وتروّج لمعايير جمال غير واقعية.

ونقلت وكالة «فرانس برس» عن نائب المستشار النمساوي أندرياس بابلر قوله: «يكاد يكون من المستحيل على الآباء التحكم في مقدار استخدام أطفالهم» تطبيقات التواصل الاجتماعي، معتبراً أنها صمّمت «بشكل متعمّد لجعلهم معتمدين عليها». وأشار إلى أن الحكومة تأمل تقديم قانون الحظر الجديد «في أقرب وقت هذا الصيف»، حسب تعبيره، حتى يدخل حيّز التنفيذ في أسرع وقت ممكن.

ولفت بابلر إلى أنّ الحظر سيستهدف المنصات التي «تستخدم خوارزميات تسبّب الإدمان، وتحقّق أرباحاً، ولها آثار ضارة»، محذّراً من أن الأطفال «يُتركون بمفردهم في عالم يواجهون فيه على سبيل المثال معايير جمال غير واقعية، وتمجيداً للعنف، ومعلومات مضلّلة، كما يتعرّضون فيه للتلاعب أيضاً». لكنّه أشار إلى عدم وجود توافق حتى الآن بين الأحزاب الثلاثة التي تشكّل الائتلاف الحاكم بشأن آلية التحقّق من العمر التي سيتم اعتمادها.

وكانت وزارة التعليم النمساوية قد أجرت أخيراً تجربة بعنوان «لا للهواتف المحمولة» استمرت ثلاثة أسابيع بمشاركة 72 ألف طالب وعائلاتهم. وقال وزير التعليم كريستوف فيدر كير: «تشير ردات الفعل التي تلقيناها إلى أن هذه التجربة كانت بمثابة حالة انسحاب للتلاميذ، وأنهم أصبحوا واعين بالآثار الضارة لاستهلاكهم المفرط». كذلك، تسعى الحكومة النمساوية لإدخال مادة دراسية إلزامية جديدة باسم «الإعلام والديمقراطية»، والتي تهدف لمساعدة التلاميذ على التمييز بين المعلومات الحقيقية والمزيّفة، مع تعريفهم بالحملات الدعائية المعادية للديمقراطية.

وكانت دول عدّة في الاتحاد الأوروبي قد أعلنت عن نيّتها فرض قيود على وصول القاصرين على منصات التواصل الاجتماعي، وفي طليعتها فرنسا وإسبانيا والدنمارك، فيما تدرس مجموعة من الدول الأخرى إمكانية فرض قوانين مشابهة. وتواجه شركات التواصل الاجتماعي ضغوطا تنظيمية متواصلة في أكثر من دولة حول العالم بسبب تأثيرها على المراهقين والقاصرين.

علوم وتكنولوجيا

مركبة مشبوهة تُؤدي إلى إغلاق قاعدة نووية أمريكية... وتُشعل المخاوف

لندن – «القدس العربي»:

تسببت مركبة مشبوهة بـإغلاق البوابة الرئيسية لقاعدة فاندنبرغ الفضائية في كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وسط مخاوف واسعة من أن تكون محاولة استهداف لهذه المنشأة، والتي قد يؤدي الإضرار بها إلى كارثة في المنطقة في حال حدث تسرب إشعاعي.

وصرح مسؤولون أمريكيون في القاعدة بأن أفراداً من السرب الثلاثين لقوات الأمن استجابوا للبلاغ عن المركبة يوم الجمعة السابع والعشرين من آذار/مارس الماضي، وقاموا باحتجاز شخص واحد في الموقع لاستجوابه.

ونقلت جريدة «دايلي ميل» البريطانية، في تقرير اطلعت عليه «القدس العربي»، عن المسؤولين قولهم: «كإجراء احترازي لضمان السلامة العامة، تم إرسال فريق من الكلاب البوليسية العسكرية وأفراد من وحدة إبطال المتفجرات التابعة للسرب الثلاثين للهندسة المدنية لتقييم المركبة». كما تم إغلاق الطريق السريع رقم 1 في المنطقة المحيطة بينما قامت السلطات بتأمين الموقع.

وتُعد قاعدة فاندنبرغ الفضائية الموقع الرئيسي لاختبار الصواريخ الباليستية العابرة للقارات في الولايات المتحدة، حيث تُطلق صواريخ مينوتمان 3 غير المسلحة بانتظام للحفاظ على الردع النووي للبلاد.

وأجرت القاعدة أكثر من 70 عملية إطلاق في عام 2025، مع تزايد طاقتها الاستيعابية لتتجاوز 100 عملية إطلاق سنوياً. كما أنها ميناء فضائي على الساحل الغربي مسؤول عن إطلاق الأقمار الصناعية إلى مدار قطبي لصالح القوات الفضائية الأمريكية ووكالة ناسا وشركاء تجاريين مثل سبيس إكس.

وأفـادت التقارير أنـه تم إرسـال فريق متخصص في إبطال المتفجرات وفريق من الكلاب البوليسية العسكرية على الفور.

وأصـدرت دوريـة الـطرق السريعة في سانتا باربرا بولاية كاليفورنيا بياناً جاء فيه: «الطريق السريع رقم 1 مغلق حالياً بين شارع كاليفورنيا وشارع تيمبرلين عند البوابة الرئيسية لقاعدة فاندنبرغ الفضائية لفترة غير محددة». وأضافت: «يرجى تجنب المنطقة واستخدام طرق بديلة. سيتم تقديم التحديثات حال توفرها. قيادة آمنة».

وتشمل الوحدات الرئيسية في القاعدة: وحدة دلتا الفضائية 5، وسرب العمليات الفضائية الحادي والعشرين، وسرب اختبار الطيران 576، ووكـالات مستأجرة مثل ناسا ووكالة الدفاع الصاروخي.

وفي السنوات الأخيرة، اضطلعت وحدات القوات الفضائية بدور متزايد في العمليات العسكرية، حيث قدمت الدعم الاستخباراتي والملاحـي والاتصـالاتي من الفضاء خلال النزاعات التي تشمل إيران وخصوماً آخرين.

وتُعتبر القاعدة من أهم مواقع الاختبار والإطلاق في الولايات المتحدة، مما يجعل أي إنذار أمني فيها ذا أهمية وطنية.

وفي 3 آذار/مـارس الماضي، أُجري اختبار إطلاق حاسم لصاروخ قادر على حمل رؤوس نووية، حيث قطع الصاروخ الباليستي العابر للقارات مسافة 4200 ميل في حوالي 22 دقيقة قبل أن يصل إلى هدفه بالقرب من جزيرة كواجالين المرجانية في المحيط الهادئ.

وقيّم الاختبار مركبات إعـادة الدخول المتعددة للصواريخ، المصممة لزيادة فعاليته ومساعدته على اختراق دفاعات العدو.

وفي أواخر تشرين الأول/أكتوبر 2025، أمر الرئيس دونالد ترامب الجيش الأمريكي باستئناف تجارب الأسلحة النووية، مُعللاً ذلك بضرورة مواكبة التجارب المزعومة التي تُجريها روسيا والـصين. ثم أجريت تجربة منفصلة لصاروخ باليستي عابر للقارات في الشهر التالي.

ويُشكل صـاروخ مينوتمان 3 أحد أركان الـردع الـنـووي الأمـريـكـي، وهـو مُصمم للإطلاق فقط رداً على هجوم نووي من دولة معادية.

وصُمم هذا السلاح لضرب أي هدف في العالم خلال 30 دقيقة من الإطلاق.

وتـبـعـد إيـران حـوالـي 7600 مـيـل عن كاليفورنيا، بينما تبعد روسيا حوالي 6000 ميل، والـصين حوالي 6300 ميل. وقد صرّح ترامب مراراً وتكراراً بأن إيران لن تمتلك سلاحاً نووياً أبداً. وزعم أنه «دمر» البرنامج النووي الإيراني في ضربات جوية في حزيران/يونيو 2025، لكنه قال هذا الأسبوع إن إيران حاولت إعادة بنائه.

وقـال في وقت سـابـق مـن هـذا الشهر: «تخيلوا فقط مدى جرأة هذا النظام لو امتلك أسلحة نـوويـة بـالفعل كوسيلة لإيصال رسالته»، لكن إيران لا تمتلك ترسانة نووية.

رائد فضاء يكشف عن أزمة صحية مرعبة استمرت 20 دقيقة خارج كوكب الأرض

لندن – «القدس العربي»:

كشف رائد الفضاء الذي تسبب في أول عملية إجلاء طبي أجرتها وكالة «ناسا» في وقت سابق من هذا العام، أنه فقد القدرة على الكلام وهو في الفضاء، وقال إن الأزمة استمرت لـ20 دقيقة فقط، لكنها كانت أزمة صحية مرعبة.

وقال مايك فينكي إنه كان يتناول العشاء في 7 كانون الثاني/يناير بعد الاستعداد لمهمة سير في الفضاء، عندما وقع الحادث المرعب، بحسب ما نقلت جريدة «دايلي ميل» البريطانية في تقرير اطلعت عليه «القدس العربي».

ولم يستطع فينكي الـكلام، كما لا يتذكر أي ألـم، لكن زملاءه القلقين سارعوا إلى مساعدته بعد رؤيته في حالة حرجة، وطلبوا المساعدة من أطباء الطوارئ على الأرض.

وأدت هذه الحالة الطبية الطارئة إلى أول عملية إجلاء على الإطلاق من محطة الفضاء الدولية. لكن الأطباء ما زالوا يجهلون سبب مرضه المفاجئ.

وقال فينكي: «كان الأمر مفاجئًا تمامًا، وسريعًا بشكل مذهل».

وأضاف العقيد المتقاعد من سلاح الجو، البالغ من العمر 59 عاماً، إن النوبة استمرت حوالي 20 دقيقة، وشعر بعدها بتحسن. واكد أنه لم يمر بتجربة مماثلة من قبل، ولم يمر بها منذ ذلك الحين.

واستبعد الأطباء إصابته بنوبة قلبية، وأكد رائد الفضاء أنه لم يكن يختنق، لكن جميع الاحتمالات الأخرى لا تزال واردة، وقد تكون مرتبطة بفترة انعدام الوزن التي قضاها لمدة 549 يوماً.

وكان فينكي قد أمضى خمسة أشهر ونصف في مهمته الأخيرة على متن محطة الفضاء الدولية عندما داهمته المشكلة فجأة وبسرعة خاطفة.

وقـال: «لاحظ زملائي في الطاقم أنني كنت في حالة حرجة»، بينما كان جميعهم الستة يلتفون حوله. وتابع: «في غضون ثوانٍ معـدودة، استنفر الجميع جهودهم لإنقاذي».

وأوضح فينكي أنه لا يستطيع الإدلاء بمزيد من التفاصيل حول حالته الصحية.

وأضاف أن وكالة الفضاء تريد ضمان عدم شعور رواد الفضاء الآخرين بأن خصوصيتهم الطبية ستُنتهك في حال تعرضهم لأي طارئ.

وكشف أن جهاز الموجات فوق الصوتية في محطة الفضاء الدولية كان مفيداً للغاية عند وقوع الحادث، وأنه خضع للعديد من الفحوصات منذ عودته إلى الأرض.

وتُجري وكالة «ناسا» مراجعة دقيقة للسجلات الطبية لـرواد الفضاء الآخرين للتحقق من وجـود أي حالات مشابهة حدثت في الفضاء.

وعاد رواد فضاء مهمة «Crew–11» إلى الأرض بسلام بعد أول عملية إجلاء طبي تنفذها وكالة «ناسا» في تاريخ الفضاء بأكمله، أي طيلة 65 عاماً من رحلات الفضاء.

وقد اتُّخذ القرار بإعادة الطاقم – الذي يضم رواد فضاء ناسا زينا كارمان ومايك فينكي، ورائد الفضاء الياباني كيميا يوي، ورائد الفضاء الروسي أوليغ بلاتونوف – إلى الأرض قبل الموعد المحدد بشهر.

وفي الشهر الماضي، كشف فينكي عن هويته بأنه المتسبب بهذا الإخلاء الطبي، ليضع حداً للتكهنات العامة المتداولة. وقال إنه لا يزال يشعر بالأسف لأن مرضه تسبب في إلغاء مهمة السير في الفضاء، التي كانت ستكون مهمته العاشرة، والأولى لزميلته زينا كارمان، وأدت إلى عودتها المبكرة مع زميليهما الآخرين.

ونُقل الطاقم مباشرةً إلى المستشفى بعد عودتهم إلى الأرض بواسطة شركة سبيس إكس. وقال فينكي: «كنتُ محظوظاً جداً بصحتي الجيدة، لذا كان هذا الأمر مفاجئًا للجميع». ومـع ذلـك، قـال إنه توقف عن الاعتذار للجميع بعد أن أمره مدير ناسا الجديد، جاريد إسحاقمان، بذلك.

وقال له زملاؤه: «لم يكن هذا بسببك أنت – كان هذا في الفضاء، أليس كذلك؟ لم تخذل أحداً». ويقول رائد الفضاء، الذي سافر إلى الفضاء أربع مرات، إنه يأمل أن يعود يوماً ما.

وعندما وردت أنباء عن حالة طـوارئ طبية، صرّح إسحاقمان بأنه قرر إعـادة الطاقم إلى الأرض كإجراء احترازي. وأشار إلى أن الحالة الصحية لرائد الفضاء كانت خطيرة، وستتطلب رعاية طبية إضافية على الأرض.

وجـاء الإجلاء وفقاً لمعيار «ناسـا» لأنظمة الفضاء البشرية، الذي ينص على إجراءات عودة طارئة في حال عدم كفاية الموارد الطبية على متن المحطة.

وعلى الرغم من أن النماذج الإحصائية تتوقع منذ فترة طويلة أن مثل هذا الحدث قد يحدث مرة كل ثلاث سنوات تقريباً، إلا أن هذه الخطة لم تُستخدم من قبل.

وتقع محطة الفضاء الدولية على ارتفاع 250 ميلاً فوق سطح الأرض، وتعمل كمنصة اختبار للأبحاث التي تدعم استكشاف الفضاء العميق، بما في ذلك مهمات مستقبلية لإعادة البشر إلى القمر، ومن ثم إلى المريخ.

ومن المقرر إخراج محطة الفضاء الدولية من الخدمة بعد عام 2030، مع خفض مدارها تدريجيًا حتى تتفكك في الغلاف الجوي فوق منطقة نائية من المحيط الهادئ تُسمى نقطة نيمو، وهي مقبرة للمركبات الفضائية.

يشار إلى أن محطة الفضاء الدولية تبلغ تكلفتها 100 مليار دولار، وتقع على ارتفاع 250 ميلاً (400 كيلومتر) فوق سطح الأرض، وهي عبارة عن مختبر علمي وهندسي، ويتم تزويدها بشكل دائم بطواقم متناوبة من رواد الفضاء منذ تشرين الثاني/نوفمبر 2000.

ويأتي رواد الفضاء بشكل رئيسي من الولايات المتحدة وروسيا، ولكن وكالة الفضاء اليابانية «جاكسا» ووكالة الفضاء الأوروبية «إيسا» أرسلتا أيضاً رواد فضاء. وغالباً ما تتطلب الأبحاث التي تُجرى على متن محطة الفضاء الدولية واحداً أو أكثر من الظروف غير الاعتيادية الموجودة في المدار الأرضي المنخفض، مثل انعدام الجاذبية أو نقص الأكسجين. وتنفق وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» حوالي 3 مليارات دولار سنوياً على برنامج محطة الفضاء الدولية، بينما يأتي التمويل المتبقي من شركاء دوليين، من بينهم أوروبا وروسيا واليابان.

وحتى الآن، زار المحطة 244 شخصاً من 19 دولة، من بينهم ثمانية مواطنين أمريكيين أنفقوا ما يصل إلى 50 مليون دولار لزيارتهم.

ويدور نقاش مستمر حول مستقبل المحطة بعد عام 2025، حيث يُعتقد أن بعض أجزاء هيكلها الأصلي ستصل إلى نهاية عمرها الافتراضي.

ارتفاعٌ غامض في كرات النار فوق الولايات المتحدة يُثير القلق... هل هو هجوم فضائي؟

لندن – «القدس العربي»:

شهد كوكب الأرض ارتفاعاً غامضاً في عدد الكرات النارية الضخمة التي أضاءت السماء، ما أثار مخاوف من اصطدام كويكب قد يُدمر المدن، وتساؤلاتٍ حول كون هذه الأجسام أجساماً طائرة مجهولة.

وكشفت الجمعية الأمريكية للأرصاد الجوية «AMS»، وهي منظمة غير ربحية تُعنى برصد النيازك منذ أكثر من قرن، عن ورود تقارير عن الكرات النارية في الأشهر الثلاثة الأولى من عام 2026 أكثر من أي ربع سنة سابق منذ عام 2011، بحسب ما نقل تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي».

وقالت الجمعية: «شهد الربع الأول من عام 2026 ما يبدو أنه ارتفاعٌ ملحوظ في عدد الكرات النارية الكبيرة. تُظهر البيانات، المستقاة من قاعدة بيانات الجمعية الأمريكية للأرصاد الجوية والتي تعود إلى عام 2011، نمطاً يستدعي تحقيقاً جاداً».

وأشارت الجمعية الأمريكية للأرصاد الجوية «AMS» أيضاً إلى أن الزيادة الأخيرة في عدد الصخور الفضائية التي تخترق الغلاف الجوي لا يمكن تفسيرها بشكل قاطع بزخات الشهب المحلية أو غيرها من الظواهر الطبيعية في الفضاء، حيث تم رصد 2046 كرة نارية منذ بداية عام 2026.

وشمل ذلك 38 حدثاً رئيسياً حول العالم أبلغ عنه أكثر من 50 شخصاً، أي أكثر من مجموع ما تم رصده في العامين الماضيين.

ونظراً لاشتباه العديد من الشهود في أن هذه المشاهدات تشمل سفناً فضائية تزور الأرض، فقد تناول الباحثون احتمال أن تكون الكرات النارية أجساماً طائرة مجهولة أو نوعاً من المركبات الاصطناعية.

وأكدت الجمعية الأمريكية للأرصاد الجوية أن الكرات النارية ليست أجساماً من أصل فضائي، مضيفةً أن تحليلها أظهر ببساطة زيادة غريبة في عدد الشهب الطبيعية التي تعبر مدار الأرض مؤخراً.

وادعى الفريق: «هـذه صخور من النظام الشمسي الداخلي. لا يوجد دليل على سلوك مسار غير طبيعي، أو طيران مُتحكم به، أو تركيب غير طبيعي».

وهو أسوأ مستوى سُجل في أي مدينة رئيسية أخرى خضعت للمراقبة حول العالم في 30 آذار/مارس.

وتُقاس مستويات جودة الهواء على مقياس من 0 إلى 500؛ جيد (0–50) لا يشكل خطراً يُذكر، متوسط (51–100) قد يؤثر على الأفراد ذوي الحساسية، غير صحي للفئات الحساسة (101–150) يشكل خطراً متزايداً، وغير صحي (151–200) يؤثر على الجميع، مما يحد من الأنشطة الخارجية.

وكان تلوث الهواء على طول الحدود الجنوبية للولايات المتحدة الأمريكية مليئاً أيضاً بجزيئات «PM10»، وهي نوع من الجسيمات العالقة تتكون من جزيئات صلبة دقيقة أو قطرات سائلة تطفو في الهواء، يقل قطرها عن 10 ميكرومترات، أي أرق من شعرة الإنسان.

وتستطيع هـذه الجسيمات القابلة للاستنشاق أن تتغلغل عميقاً في الرئتين عند استنشاقها، وتنتج عادةً عن غبار البناء، وحبوب اللقاح، والعفن، والـدخان، والانبعاثات الصناعية، والأتربة التي تحملها الرياح – مثل الغبار والرمال التي تجتاح الولايات المتحدة.

ويُلاحظ أن جزيئات «PM10» أكبر حجماً من جزيئات «PM2.5»، وهي الجسيمات المجهرية الناتجة عن انبعاثات السيارات والمصانع. ومع ذلك، يُمكن لكلا النوعين أن يُلحق الضرر بالرئتين، ويُفاقم مشاكل الجهاز التنفسي كالربو، ويُساهم في الإصابة بالنوبات القلبية والسكتات الدماغية التي تُؤدي إلى الوفاة المبكرة.

أي شيء غير شظايا الكويكبات غير الضارة إلى الغلاف الجوي للأرض هذا العام، مؤكدةً أن كل قطعة نيزك تم العثور عليها كانت صخرة عادية شوهدت تسقط من الفضاء لسنوات.

وكشف باحثون في بيان لهم أن «العينات التي تم العثور عليها في أوهايو وألمانيا هي نيازك لاكوندريتية من نوع HED، ذات تركيب معدني تشكل على مدى مليارات السنين على كويكبات متمايزة».

وتشير النيازك اللاكوندريتية من نوع HED إلى مجموعة خاصة من النيازك. وتعني كلمة «لاكوندريتية» أنها نيازك حجرية تخلو من الحبيبات الصغيرة المستديرة، المعروفة باسم الكوندريتات، الموجودة في معظم النيازك الشائعة. وقد تشكلت هذه النيازك من صخور منصهرة ومبردة، مثل الصخور البركانية على الأرض.

ويرمز اختصار «HED» إلى هواردييت–يوكريت–ديوجينيت. وهي ثلاثة أنواع متقاربة من اللاكوندريتات، جميعها أتت من نفس الكويكب الكبير، فيستا، الذي يقع في حزام الكويكبات بين المريخ والمشتري.

وأضافت جمعية النيازك أنه لا يوجد حالياً أي تهديد من هذه الزيادة في اصطدامات النيازك. كما لا يوجد خطر من اصطدام صخرة فضائية ضخمة بالأرض وتدمير البشرية.

وتتراوح أحجام الأجسام المتناثرة بين حجم الحصى وأحجام أخرى تصل إلى بضعة أقدام، وهي جزء من المواد الطبيعية التي تصطدم بها الأرض. ولم يشكل أي منها خطراً يتجاوز التأثيرات الموضعية.

ومع ذلك، أقرت الجمعية الأمريكية للأرصاد الجوية بأن أحد هذه الاصطدامات ألحق أضراراً جسيمة بسقف منزل امرأة في هيوستن في 21 آذار/مارس.

وقالت وكالة «ناسا» إن الصخرة التي يبلغ طولها ثلاثة أقدام ووزنها أكثر من طن قبل اصطدامها بمنزل شيري جيمس كانت تسير بسرعة 35 ألف ميل في الساعة قبل أن يحترق معظمها في الغلاف الجوي.

ونجا جزء صغير من النيزك واصطدم بمنزل المرأة بقوة هائلة لدرجة أنه اخترق سقف غرفة نوم ابنتها، وارتد عن الأرض، ثم ارتطم بالسقف مرة أخرى قبل أن يسقط على سرير فارغ.

وأشارت الجمعية الأمريكية للأرصاد الجوية إلى أن أحد أسباب الزيادة الهائلة في عدد الكرات النارية التي أبلغ عنها الجمهور قد يكون بسبب برامج الدردشة الآلية التي تعمل بالذكاء الاصطناعي.

تحذير صحي لآلاف الأمريكيين مع انتشار سموم خطيرة تهدد الحياة

لندن – «القدس العربي»:

تم تحذير أكثر من نصف مليون أمريكي وطلبت السلطات منهم البقاء في منازلهم وإغلاق نوافذهم، وذلك بعد اكتشاف سموم تنتشر في الهواء وتُعتبر خطرة على صحة الإنسان.

وكشفت وكالة حماية البيئة الأمريكية عن مناطق واسعة من الهواء الملوث بشدة في أريزونا وكاليفورنيا وأوريغون، بما في ذلك بؤر تُظهر مستويات عالية من السموم الخطيرة المعروفة باسم الجسيمات الدقيقة أو «PM2.5».

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» إن هذه الجسيمات عبارة عن جزيئات مجهرية من مركبات سامة أو معادن ثقيلة، غالباً ما تنتجها المصانع وعوادم السيارات، وهي صغيرة بما يكفي لاختراق الرئتين بعمق، وتسبب التهابات وصعوبات في التنفس ومشاكل صحية أخرى عند استنشاقها.

وتم رصد أسوأ البؤر في عدة مدن رئيسية في أريزونا، بما في ذلك جيلبرت وتشاندلر، اللتين يبلغ عدد سكانهما مجتمعتين أكثر من 580 ألف نسمة.

وحذرت وكالة حماية البيئة من أن مستويات جودة الهواء في المدينتين أصبحت في مستوى «خطيرة» الأسبوع الماضي، وهو أسوأ تصنيف لها في قياسات جودة الهواء. وتقع كلتا المدينتين على بُعد أقل من 20 ميلاً شرق مدينة فينيكس، التي يزيد عدد سكانها عن 1.6 مليون نسمة.

وأشـار موقع «IQAir» المتخصص في رصد جودة الهواء، إلى أن مستويات الجسيمات الدقيقة «PM2.5» شرق مدينتي غيلبرت وتشاندلر تجاوزت الحدود الآمنة الموصى بها من قبل منظمة الصحة العالمية بأكثر من 15 ضعفاً.

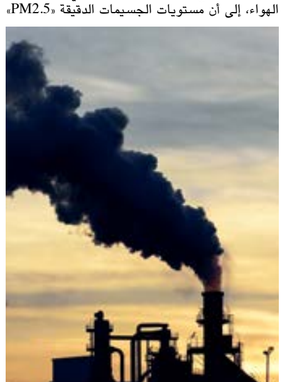

كما أفاد الموقع بأن أنماط الرياح تدفع هذا التلوث الهوائي شمالاً، ما يؤدي إلى انتشار الغبار والرمال عبر مدينة سكوتسديل المجاورة، التي يقطنها ربع مليون أمريكي.

وعندما يصل تلوث الهواء إلى هذا الحد، يحثّ مسؤولو الصحة جميع سكان المناطق المتضررة على إغلاق نوافذهم لتجنب الهواء الخارجي الملوث، وتجنب ممارسة الرياضة في الهواء الطلق، وارتداء كمامة عند الخروج من المنزل، وتشغيل جهاز تنقية الهواء إن وُجد.

كما تم رصد سحابة كبيرة أخرى من السموم الخطرة فوق مدينة يوجين، أكبر مدن ولاية أوريغون، والتي يقطنها أكثر من 170 ألف نسمة.

وحـذرت بيانات التتبع المباشر لوكالة حماية البيئة الأمريكية من أن تلوثاً شديداً للهواء يتركز فوق قلب المدينة وينتشر غرباً باتجاه المحيط الهادئ، ليصل إلى مناطق تبعد أكثر من 40 ميلاً.

وفي كاليفورنيا، تسببت عاصفة ترابية خطيرة محتملة تجتاح الحـدود الأمريكية المكسيكية في ظروف «غير صحية للغاية» في مدينة إل سنترو بجنوب كاليفورنيا، التي يقطنها أكثر من 40 ألف نسمة.

وسجل مؤشر جودة الهواء «IQAir» مستوى 225،

اقتصاد

نتنياهو ومشروع خط أنابيب الظهران – عسقلان

إبراهيم نوار

نشرت على هذه الصفحة في 14 من الشهر الماضي مقالا بعنوان «الحرب تكشف هشاشة أمن إمدادات الطاقة الخليجية» نبهت فيه على خطورة إهمال أو عدم إدراك أهمية أمن الإمدادات، لأنه يمثل ركنا أساسيا من أركان أمن الطاقة، سواء بالنسبة للدول المنتجة المصدرة أو للدول المستهلكة المستوردة. وفي هذا السياق حذرت من خطورة إقامة عداء مع إيران لصالح إسرائيل، لأنه يهدد أمن المرور الآمن لشحنات النفط والغاز عبر مضيق هرمز. ومن الخطورة بمكان أن تحارب دولة أو تعرّض مصالحها الاستراتيجية للتهديد حبا في طرف آخر ولمصلحته على حساب مصالحها. قد نستثني الولايات المتحدة من تلك القاعدة لأنها تحارب حرب إسرائيل ضد إيران، طمعا في تحقيق مكاسب استراتيجية على الصين، لكننا لا نستطيع استثناء دول أخرى، بعد أربعة أيام من نشر المقال تصادف أن عقد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو مؤتمرا صحافيا باللغة الإنكليزية، بعد افتتاحية قصيرة جدا بالعبرية، هو الأول منذ الهجوم الإسرائيلي الأمريكي على إيران، ركز فيه على إعلان رؤيته للشرق الأوسط بعد الحرب. تذكروا أنه فعل ذلك بعد أشهر قليلة من حرب غزة. في هذا المؤتمر ركز نتنياهو على صياغة رسائله للعالم عن مبررات الحرب، ومسارها المحتمل، ونتائجها التي يرجوها. من هذه النتائج، وما يهمنا هنا، إعادة بناء خريطة القوة الاقتصادية في الشرق الأوسط، وفي القلب منها اقتراح نظام بديل لنقل إمدادات الطاقة من الخليج بعيدا عن مضيق هرمز وقناة السويس. النظام البديل، يمثل في الوقت نفسه مكونا رئيسيا من مكونات هيكل النفوذ الاقتصادي الجديد الذي تسعى إسرائيل إلى قيادته في الشرق الأوسط، بحيث تكون ثروات المنطقة وطرق الإمدادات والربط والتشغيل والعائدات تحت سيطرتها تماما. ويعكس مشروع نتنياهو الذي أشار إليه في المؤتمر الصحافي كافة ملامح وخصائص الفكر الديني الصهيوني المتطرف بطبيعتها الانتقامية ضد الشعوب الأخرى في المنطقة، بمن فيهم الأعراب والعمالقيين والمصريين الفراعنة! نتنياهو باختصار اقترح إنشاء شبكة خطوط أنابيب لنقل النفط والغاز من الخليج إلى البحر المتوسط عبر إسرائيل، باعتبار أن ذلك هو الحل الآمن لضمان جدوى استخراج النفط والغاز من الخليج. وطبقا للنص المكتوب للخطاب الذي قرأه نتنياهو في المؤتمر قال: «بدلاً من المرور عبر مضيقي هرمز وباب المندب لتدفق النفط، يكفي مدّ خطوط أنابيب النفط والغاز غرباً عبر شبه الجزيرة العربية وصولاً إلى إسرائيل، ثم إلى موانئنا على البحر الأبيض المتوسط، وبذلك نتخلص من هذه المعوقات نهائيا. هذا ممكنٌ بالتأكيد. هذا تغيير حقيقي سيعقب هذه الحرب». وقال نتنياهو عن الحرب أنها: «ستنتهي أسرع بكثير مما يتصوره الناس». المشروع المقترح يبدأ من حقول الظهران وينتهي في ميناء عسقلان، مع وجود خطوط تغذية بالأنابيب تنبع من الدول الأخرى في شبه الجزيرة العربية. ويمثل المشروع ذروة الحلم الإسرائيلي في السيطرة على منابع الإنتاج ومصبات التصدير للثروة الخليجية من النفط والغاز. لكن هذا حلم تسكنه الكوابيس.

الكابوس الأول، هو أن المملكة السعودية تربط، حتى وقت كتابة هذا المقال، أي علاقات اقتصادية رسمية مع إسرائيل بإقامة دولة فلسطينية تكون وطنا آمنا للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس المحتلة. وطالما بقي هذا الشرط خطاً أحمر تلتزم به الدبلوماسية السعودية فإن مشروع خط أنابيب الظهران – عسقلان يظل مجرد سراب تجري وراءه إسرائيل في صحراء قاحلة.

الكابوس الثاني، هو أن نقل إمدادات النفط والغاز الخليجية إلى البحر المتوسط لا يلبي الاحتياجات الرئيسية للاقتصاد العالمي. دول الخليج تجد الآن أسواقها الرئيسية في الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا وليس في النصف الغربي من العالم. وتعتبر الصين واليابان وكوريا الجنوبية والهند أهم مستوردي النفط والغاز الخليجيين. ومن ثم فإن نقل النفط الخليجي إلى البحر المتوسط لا يحقق منفعة اقتصادية مباشرة لأي من المنتجين والمستهلكين. لكنه بالتأكيد يحقق منفعة استراتيجية لإسرائيل. وقد رأينا في الأيام الأخيرة أن تفاهمات دبلوماسية بسيطة مع إيران أسهمت في مرور ناقلات إلى الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا عبر مضيق هرمز في أمان إلى وجهاتها التصديرية. ولن تكون اضطرابات الملاحة في المضيق أبدية، إلا إذا اعتقدت إسرائيل إنها تستطيع إغلاق المضيق للأبد. الكابوس الثالث، هو أن استمرار الحرب لا يجعل الممر المقترح للنفط والغاز عبر شبكة أنابيب إلى عسقلان أو إلى حيفا آمنا، لأن صواريخ إيران وطائراتها المسيرة نجحت فعلا في ضرب مصفاة حيفا، كبرى منشآت البنية الأساسية للطاقة في إسرائيل، إضافة إلى موانئ مثل إيلات، ومحطات لتوليد الكهرباء. هذا يعني عمليا إعادة إنتاج مكونات تهديد أمن إمدادات الطاقة بين مراكز الإنتاج وطرق التصدير الرئيسية عبر المحيطات والبحار المفتوحة في العالم. إذن، البديل الذي يقترحه نتنياهو لتحقيق أمن الإمدادات هو بديل فاسد لا يغير شيئا من تهديدات أمن إمدادات الطاقة بين الخليج والعالم.

الكابوس الرابع، هو أن هناك بدائل لطرق الإمدادات عبر مضيق هرمز، تتمتع بالأمان النسبي، تربط بين غرب آسيا وشرقها عبر البحر الأحمر (خط أنابيب شرق – غرب السعودي) و بحر العرب (في الشرق)، إضافة إلى خط أنابيب سوميد بين الخليج و البحر المتوسط (عبر البحر الأحمر). وهناك مشروعات سعودية طموحة لتصدير النفط والغاز بالأنابيب عبر صحراء الربع الخالي إلى موانئ سلطنة عمان ومنها إلى المحيط الهندي وجنوب وشرق آسيا، وكذلك مد خطوط أنابيب لتصدير النفط والغاز عبر موانئ اليمن المطلة على بحر العرب والمحيط الهندي. هذه بنية أساسية للإمدادات قائمة فعلا أو قيد التطوير. يمكن تعزيزها من دون الدخول في دوامات شروط سياسية أو الحاجة لتقديم تنازلات لإسرائيل. وإذا كانت الملاحة في مضيق هرمز تتعرض لتهديدات الحرب الإسرائيلية – الأمريكية على إيران، فإن خط أنابيب الظهران– عسقلان لا ينجو من هذه التهديدات، خصوصا مع مروره عبر الأردن إلى جنوب إسرائيل. وإذا استطاعت السعودية تأمين ضمانات دبلوماسية مع نظام الحكم القائم في شمال اليمن، فإن إمدادات النفط الحالية عبر البحر الأحمر وباب المندب سوف تستمر وتنمو في خدمة مصالح الدول المنتجة والمستهلكة للنفط والغاز. السبب الرئيسي لانعدام مقومات أمن الملاحة في المنطقة هو إسرائيل وسياساتها العدوانية ضد دول المنطقة وليس بسبب إيران. وحتى الآن تُدير السعودية مسارات تصديرها بفعالية في ظل الحرب، لضمان إمدادات مستقرة لأهم شركائها في آسيا وغيرها.

خلفية تجارية

رغم الحرب منذ نهاية الشهر الثاني من العام الحالي عززت السعودية مكانتها كأكبر مُصدّر للنفط في العالم، حيث بلغ متوسط صادراتها حوالي 6.3 مليون برميل يومياً، في العام الماضي وما يتجاوز 7 ملايين برميل يوميا في الوقت الحالي. في الوقت نفسه فإنها نجحت في تحويل ما يصل إلى 5 ملايين برميل يوميًا من صادراتها إلى خط أنابيب الشرق والغرب، ما خفف من آثار اضطرابات مضيق هرمز. وتشير بيانات صادرات النفط للفترة 2025–2026 أن قيمة صادرات النفط الخام بلغت حوالي 6.3 مليون برميل يوميًا في المتوسط لعام 2025، مع زيادة ملحوظة إلى 7.1 مليون برميل يوميًا في تشرين الأول/اكتوبر 2025، وهو أعلى مستوى لها منذ أكثر من عامين. وساعدت عوامل كثيرة على تنمية كمية الصادرات منها مرونة البنية التحتية، حيث شكّل خط أنابيب الشرق – الغرب إلى البحر الأحمر ممرًا جانبيًا بديلا لمضيق هرمز، حيث تم استخدام حوالي 5 ملايين برميل يوميًا من طاقته، بما في ذلك 900 ألف برميل يوميًا من المنتجات المكررة. كذلك استطاعت السعودية المحافظة على مستويات إنتاج عالية، حيث بلغ إنتاج النفط الخام حوالي 10 ملايين برميل يوميًا في أواخر عام 2025. كما لجأت إلى زيادة استخدام مساحات التخزين الخارجية في حزيران/يونيو 2025 لإدارة مخاطر سلسلة التوريد المرتبطة بتزايد التوترات الإقليمية. وقد ارتبطت كل هذه الإجراءات بالتركيز على استقرار حصتها في السوق العالمي، من خلال العمل على تعزيز اتفاقيات الإنتاج بين دول أوبك+. وعلى الرغم من استمرار تهديد طرق الإمدادات والمخاطر الجيوستراتيجية حافظ الاقتصاد السعودي على تصنيفات ائتمانية عالية، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى قدرته على تأمين صادرات النفط من خلال طرق بديلة.

إن وصول الإمدادات إلى أسواق الاستهلاك العالمي الأولي الذي يخلق قيمة تجارية – نقدية للنفط الخام والمشتقات النفطية، ومن دون أمن الإمدادات لا يكون للنفط قيمة في أسواق الدول المنتجة إلا بمقدار القدرة على تصريفه في أغراض الاستهلاك المحلي. ومن ثم فإن أمن الإمدادات يمثل نقطة الاختناق الجوهرية في تحديد القيمة. من هذه الزاوية تبدو أهمية مسألة «أمن الإمدادات» في السياسات النفطية للدول العربية. ويجب أن نسجل هنا ضرورة وجود سياسة خليجية مشتركة لضمان أمن إمدادات الطاقة من مراكز الإنتاج إلى أسواق الاستهلاك حول العالم شرقا وغربا من دون تسليم مقابض طرق الإمدادات إلى إسرائيل. ويمثل غياب هذه السياسة شرخا عميقا وخطيرا في جدا أمن الطاقة على وجه الخصوص؛ فمن دون وجود سياسة لأمن الإمدادات يفقد الحديث عن أمن الطاقة في الدول الخليجية أو في العالم العربي بشكل عام أي معنى له.

كذلك فإن غياب الترابط بين السياسة النفطية وبين حماية المرور الآمن للإمدادات يجسد خللا بائنا وخطيرا في السياسات النفطية للدول العربية. هذا الغياب لا يوجد فقط في شأن التعامل مع مرور الإمدادات في مضيق هرمز، لكنه يوجد أيضا في شأن مرور البضائع والإمدادات في بحر العرب والبحر الأحمر. وشرق وجنوب البحر المتوسط ومضيق جبل طارق، وهي جميعا خطوط ونقاط حساسة وخطيرة لطرق الإمدادات التجارية وإمدادات الطاقة تشرف عليها أغلبية من الدول العربية، التي تفتقد لأي صيغة من صيغ التعاون فيما بينها؛ وتمثل اتفاقية القسطنطينية (1888) لأمن المرور البرئ في قناة السويس نموذجا مبكرا لضمان تحقيق أمن عبور التجارة عبر الممرات التجارية الحساسة في العالم حتى في حال وجود هذه الممرات داخل دولة ذات سيادة. كذلك فإن وجود قوانين دولية لضمان أمن الملاحة أو الطيران وطرق التجارة بشكل عام لا يتعارض مع وجود اتفاقيات اقليمية متعددة الأطراف أو ثنائية لتعزيز إنفاذ القوانين الدولية وتفصيل طرق التصرف لاحترامها وتطبيقها خلال أوقات التوتر والنزاعات. وفي كل الأحوال من الضروري التسليم بدور خاص لكل من سلطنة عمان وإيران، لأن المضيق يقع داخل حيز السيادة الإقليمية لكل منهما. وهناك حوار يدور بين البلدين بشأن توقيع بروتوكول مشترك لضمان أمن الملاحة في المضيق بعد انتهاء الحرب. كذلك فإننا كنا قد أشرنا في مقال 14 من الشهر الماضي إلى اتفاقية القسطنطينية كنموذج يمكن تطويره لصياغة اتفاقية جماعية بين الدول المتشاطئة على الخليج لضمان أمن الملاحة والمرور الآمن للسفن والناقلات ومن حسن الحظ أن تركيا ومصر والسعودية وباكستان تتبنى هذا الاقتراح (اتفاقية دولية لأمن الملاحة في مضيق هرمز) في الوقت الحالي.

رفض عسكرة مضيق هرمز

إن سعي ترامب إلى عسكرة طرق الإمدادات، بطلب التدخل البحري لدول حلف الناتو هو مجرد وسيلة حمقاء لتحويل القطع البحرية الأمريكية إلى وحدات للحماية العسكرية تستأجرها شركات النفط أو الدول لحماية الناقلات خلال العبور من مضيق هرمز، ما يؤسس دورا للبحرية الأمريكية في حماية طرق الملاحة الدولية خلال فترات التوتر مقابل عقود مالية وقانونية مع الشركات أو الدول المستفيدة تدفعها للبحرية الأمريكية مقابل توفير تلك الحماية. المعضلة هنا أن هذه العقود في حال تضمنت نصا بضمان حماية الناقلات من الأخطار العسكرية فإنها تضع البحرية الأمريكية في وضع مسؤول (طبقا لما يكون في العقد من النصوص) أمام الطرف المستأجر للخدمة وشركات التأمين، وشركات الملاحة أو ملاك الناقلات. هذا من شأنه تعريض البحرية الأمريكية لخسائر بمليارات الدولارات في حال حدوث أضرار للناقلات أو الحمولات. ويخطئ السذج من الناس الذين يعتقدون ان ترامب أعلن اقتراحه بمرافقة القطع البحرية الأمريكية لناقلات النفط والغاز مجانا عبر مضيق هرمز. ليس ترامب هو الذي يفعل ذلك، وإنما هو يعرض اقتراحا مقابل ثمن. أي أن مرافقة البحرية الأمريكية للناقلات يكون بمثابة خدمة أمنية تجارية مقابل ثمن. إن منطق الرئيس الأمريكي الحالي هو تعظيم القدرة على التربح من الأزمات القائمة في العالم، بما في ذلك الأزمات التي تتسبب فيها أو تساعد على نشأتها واستمرارها الولايات المتحدة، وربما يصل ذلك إلى إنشاء قوة بحرية تديرها شركة أمريكية خاصة للقيام بمسؤوليات الحماية. ونحن ننظر إلى اقتراح ترامب بمرافقة سفن البحرية الأمريكية للناقلات النفطية عبر مضيق هرمز من هذه النافذة، التي تمثل نافذة رئيسية من نوافذ السياسة الخارجية الأمريكية تحت لافتة غير معلنة عن «التربح من الأزمات». ولا أظن أن اقتراح ترامب قابل للتطبيق من دون التوصل لاتفاقيات تعاقدية مقدما بين البحرية أو شركات أمن بحري خاصة وبين الأطراف الأخرى بما فيها شركات الملاحة والتأمين. مثل هذه الاتفاقات التعاقدية ستصبح لاحقا عنصرا من عناصر زيادة تكلفة عبور الناقلات من خلال مضيق هرمز، ومن ثم ارتفاع أسعار الشحن والنقل والتأمين، إضافة إلى تهديد العسكرة لأمن الملاحة. ومن الناحية الاستراتيجية فإن نشاط عمل شركات الأمن الخاصة سيقتصر على العمل خارج المياه الاقليمية، لأن العمل داخلها يستلزم اتفاقيات تسمح بذلك مع الدول المعنية.

ذهب موريتانيا: ضبط قطاع حيوي تتوسع آفاقه وإخلاء أروقة التنقيب من مئات الأجانب

نواكشوط–«القدس العربي»: عبد الله مولود

في أقصى الشمال الموريتاني، حيث يمتزج الرمل بالذهب، لم يعد المشهد مجرد مغامرة فردية لآلاف المنقبين، بل تحول إلى قضية سيادية معقدة تتقاطع فيها اعتبارات الأمن والاقتصاد والسياسة.

قرار السلطات الموريتانية بإبعاد المنقبين الأجانب وغالبهم من السودان عن أروقة التنقيب الأهلي المفتوحة أمام المواطنين الموريتانيين وحدهم، لم يكن إجراءً إداريا عاديا، بل خطوة تعكس تحوّلا في طريقة إدارة هذا القطاع الحساس.

ولسنوات، شكّل السودانيون العمود الفقري للتنقيب الأهلي في الشمال الموريتاني، مستفيدين من خبرتهم الطويلة في هذا المجال، ومن هامش تساهل رسمي فرضته ظروف الحرب في السودان والعلاقات الاجتماعية المعتدة. لكن هذا «التسامح المرحلي» بدأ يتآكل مع تزايد أعداد الأجانب في مواقع التنقيب، خاصة من مالي وتشاد، وتحول النشاط إلى فضاء مزدحم يصعب ضبطه. وأكدت مصادر أمنية أن القانون الموريتاني واضح في حصره للتعدين الأهلي بالمواطنين أما الأجانب فيلزمهم حسب القانون الحصول على رخص رسمية.

فقد فرض الواقع الميداني استثناءات مؤقتة دخل في ظلها الأجانب، لكنها سرعان ما اصطدمت بتحديات أمنية متصاعدة، دفعت الدولة إلى إعادة فرض النص القانوني بحزم.

الأمن أولاً

ويرتبط التحول الحاسم في القرار وفق المعطيات المتقاطعة، بملف الأمن الحدودي؛ فقد أشارت مصادر رسمية إلى تكرار حالات عبور غير قانوني نحو الأراضي الجزائرية، ما وضع موريتانيا في موقف حرج إقليمياً؛ كما طُرحت شبهات تتعلق بتهريب الذهب خارج القنوات الرسمية، بل وحتى إدخال أسلحة عبر بعض المسالك الصحراوية.

ونقلت هذه المعطيات الملف من خانة «تنظيم قطاع اقتصادي» إلى مستوى «حماية الأمن الوطني»، وهو ما يفسر قرار الإخلاء الشامل للأجانب من مناطق التنقيب، مع منح السودانيين وضعاً خاصاً يسمح لهم بالبقاء داخل البلاد شرط تسوية إقامتهم.

ولم يعد التنقيب الأهلي في موريتانيا نشاطاً هامشياً، فقد أكدت تقديرات غير رسمية إلى أن آلاف المنقبين ينشطون في الشمال، وأن كميات معتبرة من الذهب تُستخرج خارج الدوائر المنظمة، وقد خلق هذا الواقع اقتصاداً موازياً يصعب تتبعه، وعمليات تهريبه تضعف عائدات الدولة.

كما أن دخول أعداد كبيرة من الأجانب، بخبرة تقنية أعلى أحياناً، أدى إلى ما يشبه اكتساح للمجال، وفق تعبير مصادر رسمية، ما أثار امتعاضاً متزايداً داخل الأوساط المحلية، وطرح أسئلة حول العدالة في تقاسم الفرص.

قرار يتجاوز الذهب

ولم يأت قرار ترحيل المنقبين فجأة، بل سبقه مسار تدريجي: إحصاءات ميدانية، منع الآليات الثقيلة، اجتماعات غير معلنة مع المنقبين السودانيين، ثم مهلة للمغادرة الطوعية، وهو ما عكس، في جوهره، محاولة لتفكيك وجود متجذر دون صدمة مباشرة.

لكن خلف هذا المسار، يلوح عامل سياسي لا يقل أهمية؛ فزيارة شخصيات مرتبطة بقوات الدعم السريع السودانية إلى موريتانيا في وقت سابق، وما أثارته من جدل داخلي، ساهمت في رفع حساسية الملف، وربطته بسياقات إقليمية أكثر تعقيداً.

في هذا التوقيت، اكتسى اللقاء الذي جمع وزيرة الوظيفة العمومية والعمل الموريتانية مريم بيجل هميد، ووزير الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية السوداني معتصم أحمد صالح في جنيف، على هامش أعمال منظمة العمل الدولية، أهمية خاصة.

فقد طلبت جمهورية السودان من موريتانيا منح مهلة للمنقبين السودانيين عن الذهب في موريتانيا لتسوية أوضاعهم.

وقال وزير الموارد البشرية السوداني معتصم أحمد صالح إنه طلب من وزيرة الوظيفة العمومية الموريتانية مريم بيجل منح مهلة للسودانيين العاملين في مجال التنقيب عن الذهب بموريتانيا «لتوفيق أوضاعهم وترتيب ممتلكاتهم».

وأضاف «أن الوزيرة ردت على الطلب الذي تقدم به خلال لقاء بين الطرفين بالعاصمة السويسرية جنيف، بأنها ستنظر في الأمر بعد العودة إلى موريتانيا».

ونقل عن الوزيرة قولها إن المواطنين السودانيين يتمتعون بوضع مميز في موريتانيا، ويُسمح لهم بالعمل في مختلف الأنشطة الاقتصادية دون اشتراط تصاريح عمل في أغلب الحالات، مع عدم فرض قيود على تنقلهم ونشاطهم في بقية مناطق البلاد.

وأوضحت الوزيرة أن الإجراءات الأخيرة التي قامت بها الحكومة الموريتانية الأجانب لا تستهدف السودانيين تحديدا، بل إنها شملت جميع الجنسيات بما فيها الموريتانيون أنفسهم، لاعتبارات تنظيمية وأمنية مرتبطة بطبيعة المنطقة الحدودية مع الجزائر.

أما على الأرض، فقد بدأت قوافل المنقبين السودانيين تغادر مناطق الشمال الموريتاني، في مشهد يلخص نهاية مرحلة كاملة: حافلات تنطلق من الزويرات نحو نواكشوط، وممتلكات تُحصى، وتسويات تُرتب بإشراف السفارة السودانية، التي أكدت تعاون السلطات الموريتانية معها في تأمين العملية.

لكن ما يحدث لا يبدو ترحيلاً بالمعنى الكامل، بقدر ما هو إعادة توضع: خروج من قطاع غير منظم، مقابل إمكانية البقاء ضمن إطار قانوني واضح؛ وهو تمييز شددت عليه الخرطوم، التي فرّقت بين المنقبين التقليديين والمستثمرين العاملين وفق قانون الاستثمار.

وفي النهاية، يكشف هذا الملف عن معادلة دقيقة: كيف تحمي الدولة الموريتانية سيادتها الاقتصادية والأمنية، بدون أن تتجاهل البعد الإنساني لمهاجرين دفعتهم الحرب إلى الصحراء؟

وقد اختارت موريتانيا، على ما يبدو، مقاربة وسطية: حزم في تطبيق القانون داخل مناطق التنقيب، ومرونة في التعامل مع الأفراد خارجها. لكن نجاح هذه المقاربة سيظل رهيناً بقدرة السلطات على ضبط القطاع من جهة، واستيعاب التداعيات الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى.

ومن المجمع عليه أنه في صحراء الذهب، لا شيء يبقى ثابتاً... لا الرمال، ولا السياسات.

مدن وآثار

الكُفرة الليبية..
واحات الجنوب التي صنعت تاريخ الصحراء

طرابلس – «القدس العربي»:
نسرين سليمان

في أقصى الجنوب الشرقي من ليبيا، وعلى مسافة تقارب ألف كيلومتر عن العاصمة طرابلس، تقع مدينة الكفرة التي تعد واحدة من أهم واحات الصحراء الليبية وأكثرها حضورًا في تاريخ الجنوب الليبي. فالمدينة التي تبدو اليوم معزولة وسط الصحراء الكبرى كانت لقرون طويلة نقطة التقاء لطرق التجارة الصحراوية التي ربطت شمال أفريقيا ببلاد السودان وتشاد، كما شكلت محطة أساسية للقوافل التي كانت تعبر الصحراء محملة بالسلع والبضائع القادمة من عمق القارة الأفريقية. وقد ساعد وجود المياه الجوفية في المنطقة على قيام مجموعة من الواحات التي جعلت الحياة ممكنة في هذه البيئة الصحراوية القاسية، إذ تعتمد الواحات على طبقات المياه الجوفية العميقة التي تمتد تحت أجزاء واسعة من ليبيا ومصر والسودان وتشاد.

تقع الكفرة في منخفض صحراوي واسع ضمن ما يعرف بالصحراء الليبية، وهي جزء من الصحراء الكبرى التي تغطي مساحات شاسعة من شمال أفريقيا. ويتميز هذا المنخفض بوجود طبقات من المياه الجوفية المرتبطة بحوض الحجر الرملي النوبي، أحد أكبر خزانات المياه الجوفية في العالم. وقد سمح هذا الحوض المائي بوجود الواحات الزراعية التي شكلت أساس الحياة في المنطقة منذ قرون طويلة، حيث نشأت تجمعات سكانية حول مصادر المياه وأشجار النخيل التي تعد أهم مورد زراعي في الواحات.

يبلغ عدد سكان الكفرة اليوم نحو ستين إلى سبعين ألف نسمة تقريبًا، ويعيش معظمهم في المدينة الرئيسية التي أصبحت مركزًا إداريًا واقتصاديًا للمنطقة. كما تنتشر حول المدينة عدة تجمعات سكانية صغيرة نشأت حول الواحات الزراعية. وقد ارتبطت حياة السكان تاريخيًا بالزراعة الصحراوية وتربية الإبل والماشية، إضافة إلى التجارة التي ازدهرت في المنطقة خلال الفترات التي كانت فيها القوافل تمر عبر الصحراء بين أفريقيا جنوب الصحراء وشمالها.

وتضم منطقة الكفرة عدة واحات رئيسية أبرزها الهواري وبوزريق وتازربو، وهي مناطق زراعية تعتمد على المياه المستخرجة من الآبار العميقة. وتنتشر في هذه الواحات بساتين النخيل التي تنتج التمور وتوفر مصدرًا غذائيًا واقتصاديًا مهمًا للسكان المحليين. كما تشكل هذه الواحات مراكز للاستقرار البشري في منطقة تحيط بها الكثبان الرملية من مختلف الجهات.

أصل التسمية

وفي قلب هذا السياق الجغرافي والتاريخي يمكن الحديث عن أصل التسمية التي ارتبطت بطبيعة المنطقة الصحراوية. إذ يرى بعض الباحثين أن اسم الكفرة مشتق من كلمة «الكُفر» التي تعني الأراضي المنخفضة الواقعة بين الكثبان الرملية، وهي مناطق تسمح بتجمع المياه الجوفية التي تشكل أساس قيام الواحات. وقد عرفت المنطقة منذ قرون باسم واحات الكفرة في المصادر الجغرافية القديمة التي تحدثت عن طرق التجارة الصحراوية، حيث كانت هذه الواحات محطة رئيسية للقوافل التي تعبر الصحراء الكبرى.

ويشير المؤرخون إلى أن الكفرة كانت مأهولة بالسكان منذ فترات مبكرة نتيجة وجود المياه الجوفية التي سمحت بالزراعة والاستقرار. وقد استقرت في المنطقة قبائل عربية جاءت من شمال ليبيا ومن مناطق مختلفة في الصحراء، كما استقرت فيها مجموعات من التبو الذين يعيشون في مناطق واسعة من الصحراء الكبرى الممتدة بين ليبيا وتشاد والنيجر. وقد شكل هذا التنوع السكاني جزءًا من طبيعة المجتمع الصحراوي الذي نشأ في الواحات.

أما الموقع الجغرافي للكفرة فقد منحها أهمية استراتيجية منذ العصور القديمة. فالمدينة تقع في منطقة تربط بين عدة طرق صحراوية كانت تستخدمها القوافل التجارية التي تنقل السلع بين شمال أفريقيا ووسطها. وكانت هذه القوافل تمر عبر الواحات للحصول على الماء والغذاء قبل استكمال رحلاتها الطويلة عبر الصحراء. وقد ساعد هذا الدور في تحويل الكفرة إلى مركز مهم في شبكة التجارة الصحراوية التي ازدهرت في العصور الوسطى والحديثة.

وكانت القوافل القادمة من مناطق السودان وتشاد تحمل الذهب والعاج والجلود وبعض المنتجات الزراعية قبل أن تتجه شمالا نحو موانئ البحر المتوسط في ليبيا ومصر. وكانت هذه الرحلات تستغرق أسابيع طويلة عبر الصحراء، ما جعل الواحات مثل الكفرة محطات ضرورية للتزود بالمياه والراحة قبل استكمال الطريق.

وقد ساهمت هذه الحركة التجارية في نقل الثقافات والعادات بين الشعوب المختلفة التي كانت تمر عبر المنطقة، حيث شكلت الكفرة نقطة التقاء بين سكان الصحراء والتجار القادمين من مناطق مختلفة في أفريقيا. كما ساعدت التجارة الصحراوية في ازدهار الحياة الاقتصادية في الواحات، حيث نشأت أسواق صغيرة لتبادل السلع بين القوافل والسكان المحليين.

انتقال مركز الحركة السنوسية إلى الكفرة

وفي أواخر القرن التاسع عشر شهدت المنطقة تحولاً مهمًا مع انتقال مركز الحركة السنوسية إلى الكفرة، وهو ما يعرف تاريخيًا بمرحلة الدور السنوسي في المدينة. ففي عام 1895 نقلت القيادة السنوسية مقرها إلى واحات الكفرة بعد انتقالها من مناطق أخرى في ليبيا، حيث أنشئت عدة زوايا دينية أصبحت مراكز للتعليم الديني ونشر الدعوة الإسلامية في الصحراء الكبرى. وقد لعبت هذه الزوايا دورًا مهمًا في تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الواحات، كما أصبحت الكفرة مركزًا دينيًا مهمًا استقطب طلاب العلم من مناطق مختلفة في ليبيا والسودان وتشاد.

وقد ساهمت الحركة السنوسية في تعزيز الاستقرار في المنطقة وتنظيم العلاقات بين القبائل المختلفة التي تعيش في الصحراء، كما لعبت دورًا مهمًا في التجارة الصحراوية التي كانت تمر عبر الواحات. وأصبحت الكفرة في تلك الفترة واحدة من أبرز مراكز الحركة السنوسية في الصحراء الليبية، وهو ما منحها مكانة خاصة في تاريخ ليبيا الحديث.

لكن هذه الأهمية الاستراتيجية جعلت المدينة هدفًا للقوات الإيطالية خلال فترة الاستعمار، حيث دخلت الكفرة مرحلة جديدة من تاريخها عرفت بمرحلة العهد الاستعماري في بداية القرن العشرين. فقد حاولت القوات الإيطالية التي احتلت ليبيا السيطرة على الواحات الصحراوية من أجل إحكام قبضتها على طرق القوافل وعلى مناطق الجنوب الليبي. وفي عام 1931 تمكنت القوات الإيطالية بقيادة الجنرال رودولفو غرازيياني من السيطرة على الكفرة بعد حملة عسكرية استهدفت المنطقة.

وقد شكلت السيطرة على الكفرة جزءًا من استراتيجية إيطاليا للسيطرة على الصحراء الليبية وقطع طرق الإمداد التي كانت تصل إلى المجاهدين الذين يقاومون الاحتلال في مناطق مختلفة من البلاد. ومع ذلك ظل السكان المحليون مرتبطين بتاريخ المقاومة الذي ارتبط بالحركة السنوسية وبالدور الذي لعبته الواحات في تلك المرحلة من تاريخ ليبيا.

ومع نهاية الحقبة الاستعمارية وبداية الدولة الليبية الحديثة، بدأت الكفرة تدخل مرحلة جديدة من التحولات الاجتماعية والاقتصادية، حيث تغيرت أنماط الحياة تدريجيًا مع توسع الخدمات الحكومية وظهور شبكات الطرق والمرافق العامة في مناطق الجنوب. غير أن طبيعة الصحراء القاسية بقيت عاملاً أساسيًا في تشكيل الحياة اليومية للسكان، وهو ما يظهر بوضوح عند الحديث عن الحياة الصحراوية التي ما تزال تميز المدينة حتى اليوم.

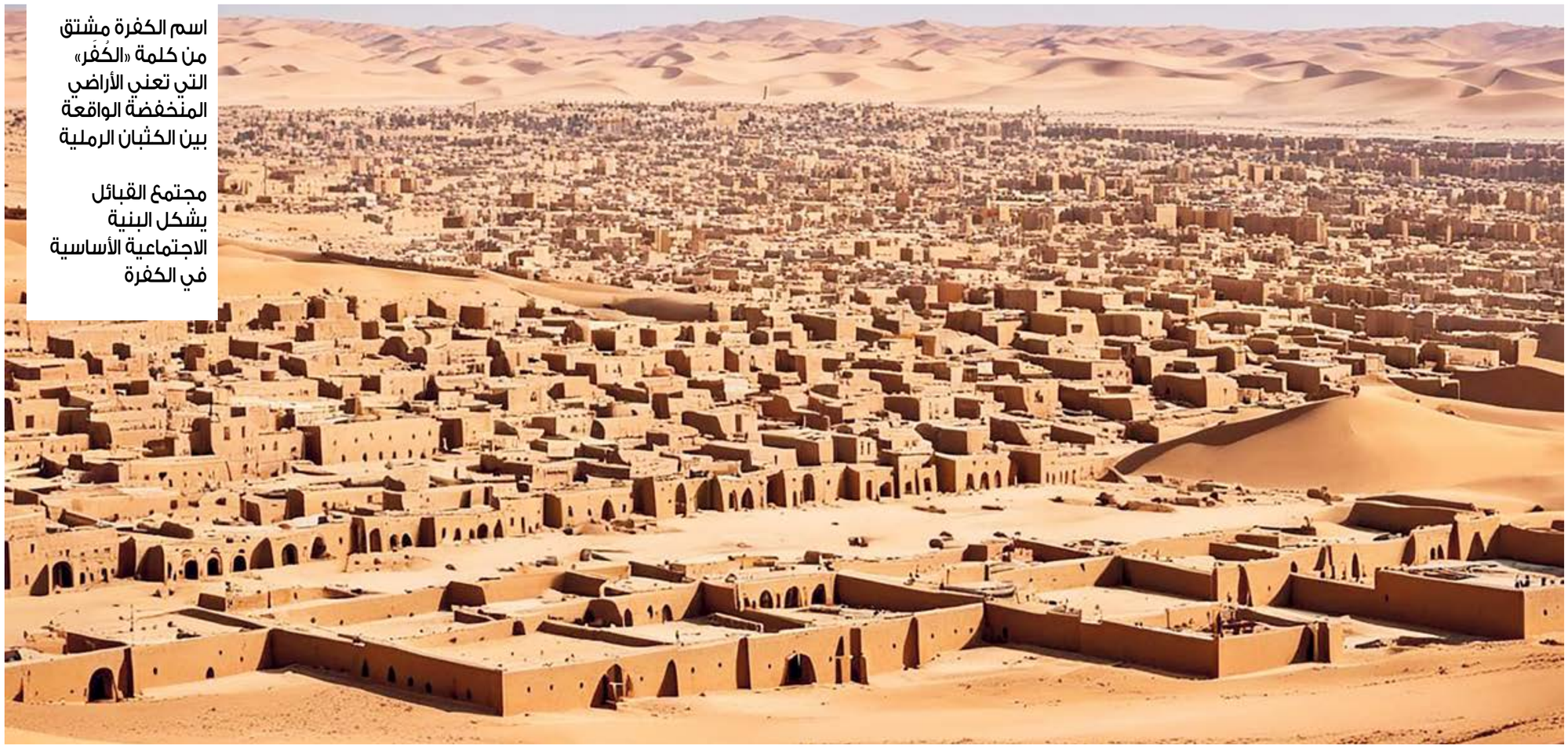

اسم الكفرة مشتق من كلمة «الكُفَر» التي تعني الأراضي المنخفضة الواقعة بين الكثبان الرملية

مجتمع القبائل يشكل البنية الاجتماعية الأساسية في الكفرة

بيئة صحراوية شديدة القسوة

تقوم الحياة في الكفرة على التكيف مع بيئة صحراوية شديدة القسوة، حيث ترتفع درجات الحرارة في فصل الصيف إلى ما يتجاوز 45 درجة مئوية في بعض الأيام، بينما تنخفض بشكل ملحوظ خلال فصل الشتاء، خصوصًا في الليل. كما أن معدلات الأمطار في المنطقة تعد من بين الأدنى في ليبيا، إذ لا تتجاوز بضعة مليمترات سنويًا في بعض السنوات. ولذلك يعتمد السكان بشكل أساسي على المياه الجوفية التي تُستخرج من الآبار العميقة المنتشرة في الواحات.

ولعبت هذه المياه دورًا حاسمًا في استمرار الاستقرار البشري في المنطقة، إذ سمحت بقيام الزراعة الصحراوية التي تعتمد على استغلال المياه الجوفية لري المزارع الصغيرة. وتنتشر في الواحات المحيطة بالمدينة بساتين النخيل التي تعد المصدر الزراعي الرئيسي في الكفرة، حيث تنتج الواحات أنواعًا مختلفة من التمور التي تُستهلك محليًا أو تُنقل إلى مدن أخرى في ليبيا.

وفي إطار هذه البيئة الصحراوية تظهر أهمية زراعة النخيل التي تمثل النشاط الزراعي الأبرز في المنطقة. فقد عرف سكان الكفرة زراعة النخيل منذ قرون طويلة، حيث توفر هذه الأشجار مصدرًا غذائيًا مهمًا في بيئة يصعب فيها إنتاج المحاصيل الزراعية الأخرى. كما تتميز النخلة بقدرتها على التكيف مع المناخ الصحراوي ودرجات الحرارة المرتفعة، وهو ما جعلها المحصول الأكثر انتشارًا في الواحات.

وتزرع في بعض الواحات أيضًا محاصيل محدودة مثل القمح والشعير وبعض الخضروات التي يمكن أن تنمو في ظل توفر المياه الجوفية، غير أن هذه الزراعة تبقى محدودة مقارنة بزراعة النخيل التي تعد العمود الفقري للقطاع الزراعي المحلي. وتعتمد المزارع الصغيرة في المنطقة على نظم ري بسيطة تعتمد على ضخ المياه من الآبار عبر المضخات الحديثة أو القنوات التقليدية التي تنقل المياه إلى الحقول.

وفي ظل هذه الظروف البيئية نشأ مجتمع صحراوي يعتمد إلى حد كبير على الروابط العائلية والقبلية، وهو ما يظهر عند الحديث عن مجتمع القبائل الذي يشكل البنية الاجتماعية الأساسية في الكفرة. فقد استقرت في المنطقة قبائل عربية مختلفة جاءت من شمال ليبيا ومن مناطق أخرى في أجواء اجتماعية تعكس قوة الروابط الاجتماعية بين السكان. وتظهر في هذه المناسبات بعض الفنون الشعبية التي تعبر عن التراث الصحراوي مثل الأغاني التقليدية والرقصات التي تُؤدى في الاحتفالات الاجتماعية.

وعند الانتقال إلى الجانب التاريخي يمكن الحديث عن آثار المنطقة التي تختلف بطبيعتها عن آثار المدن الساحلية في ليبيا. فالكفرة لا تضم آثارًا إغريقية أو رومانية كبيرة مثل صبراتة أو شحات، لكنها تحتفظ بعدد من المواقع التاريخية المرتبطة بالحركة السنوسية وبطرق القوافل القديمة. ومن أبرز هذه المواقع الزوايا السنوسية التي أنشئت في أواخر القرن التاسع عشر وكانت مراكز دينية وتعليمية لعبت دورًا مهمًا في نشر التعليم الديني في الصحراء.

كما توجد في المنطقة بقايا بعض المباني القديمة التي كانت تستخدم كمحطات للقوافل التي تمر عبر الواحات في طريقها بين شمال أفريقيا ووسطها. وتعكس هذه المعالم الدور التاريخي الذي لعبته الكفرة في شبكة الطرق الصحراوية التي ربطت بين مناطق واسعة من القارة الأفريقية.

ومع تطور الدولة الليبية في النصف الثاني من القرن العشرين بدأت المدينة تدخل مرحلة جديدة يمكن وصفها بمرحلة التحولات الحديثة. فقد توسعت الحكومة في إنشاء الطرق التي تربط الكفرة ببقية المدن الليبية، كما أنشئت مدارس ومستشفيات ومرافق عامة ساهمت في تحسين مستوى الخدمات في المنطقة.

كما أصبحت الكفرة مركزًا إداريًا مهمًا يخدم التجمعات السكانية المنتشرة في الجنوب الشرقي من ليبيا، وهو ما ساهم في زيادة عدد السكان وتحول المدينة إلى نقطة جذب للسكان من المناطق المجاورة. ومع تطور وسائل النقل الحديثة تراجع الدور التقليدي للقوافل الصحراوية التي كانت تمر عبر الواحات، غير أن الكفرة احتفظت بأهميتها الجغرافية بسبب موقعها القريب من حدود عدة دول أفريقية.

وفي السنوات الأخيرة اكتسبت المدينة بعدًا جديدًا في سياق ما يعرف بظاهرة الهجرة الأفريقية نحو شمال ليبيا. فقد أصبحت الكفرة نقطة عبور رئيسية للمهاجرين القادمين من دول أفريقيا جنوب الصحراء الذين يسلكون طرق الصحراء في رحلات طويلة نحو الشمال، في محاولة للوصول إلى السواحل الليبية ومن ثم عبور البحر المتوسط نحو أوروبا.

وقد أدى هذا الدور الجديد إلى تغيرات اجتماعية واقتصادية في المدينة، حيث أصبحت الكفرة جزءًا من شبكة الهجرة العابرة للصحراء التي تربط بين عدة دول أفريقية وشمال البحر المتوسط. ومع ذلك ما تزال المدينة تحتفظ بطابعها الصحراوي الذي تشكل عبر قرون طويلة من التفاعل بين الإنسان والبيئة القاسية للصحراء الكبرى.

وهكذا تبقى الكفرة واحدة من المدن الصحراوية التي تختصر تاريخ الجنوب الليبي، حيث تجمع بين الواحات التي سمحت بالحياة في قلب الصحراء، وبين الطرق التجارية التي ربطت شمال أفريقيا بوسطها، وبين التحولات الحديثة التي غيرت ملامح المدينة خلال العقود الأخيرة. فالكفرة ليست مجرد مدينة بعيدة في الصحراء، بل هي شاهد على تاريخ طويل من الحركة والتجارة والثقافة في واحدة من أكثر مناطق العالم قسوة وجمالاً في آن واحد.

رياضة

ملحق مونديال 2026

المجد للعرب والأفارقة والعزاء في جميلة القرن الماضي!

لندن – «القدس العربي»:
عادل منصور

لاعبو وادارييو المنتخب العراقي يحتفلون بالتأهل المونديالي

بعد الأردن والسعودية وقطر ومصر وتونس والجزائر والمغرب، ابتسمت أخيرا الساحرة المستديرة لأصحاب أقدم حضارة في تاريخ البشرية، بمنح منتخب العراق تأشيرة اللعب في نهائيات كأس العالم 2026، كثاني مشاركة لأسود الرافدين في المعترك العالمي، والأولى منذ المشاركة العالقة في أذهان الآباء والأجداد بقيادة الأيقونة الراحل أحمد راضي، وعملاق حراسة المرمى رعد حمودي، وصخرة الدفاع وقائد المجموعة عدنان درجال وباقي الأسماء التي دافعت عن ألوان الوطن في مونديال دييغو مارادونا، المكسيك 1986، وحدث ذلك بعد رحلة شاقة في التصفيات والملحق الآسيوي سواء المؤهل بشكل مباشر إلى كأس العالم أو المؤهل للملحق العالمي النهائي، انتهت بفوز لن يمحى من الذاكرة على حساب منتخب بوليفيا بهدفين مقابل هدف في المباراة النهائية للمسار الثاني في الملحق العالمي التي جمعتهما على ملعب «إستاديو بي بي إي أيه» بمدينة مونتيري المكسيكية، ليرسم أيمن حسين ورفاقه البسمة على وجوه الملايين في بلاده وفي كل متر في الوطن العربي الكبير، بعد عقود من الأزمات والحروب والنزاعات التي أثقلت كاهل الدولة والمجتمع، وبالتبعية أفقدت الشارع الكروي لحظات الفرح الجماعي التي كانت توحد لا تفرق، باستثناء بعض الومضات القارية مثل التتويج بكأس آسيا عام 2007، قبل أن تأتي اللحظة المنتظرة منذ 40 عاما، كخطوة أولى ريثما تعود اللعبة الشعبية الأولى على مستوى العالم إلى دورها الطبيعي في بلاد ما بين النهرين، كأحد أهم أدوات القوة الناعمة القادرة على إعادة صياغة الصورة النمطية عن العراق وتقديمه بصورة مختلفة على الساحة الدولية، من بلد مرتبط بأخبار الصراعات في وكالات الأنباء العالمية إلى بلد آخر قادر على تصدير الأفراح.

ونقس الأمر ينطبق على منتخب الكونغو الديمقراطية، الذي حقق فوزا مماثلا على ممثل أمريكا الوسطى في العالم وأحد أعضاء جماعيكا بهدف مقابل لا شيء في المباراة النهائية للمسار الآخر التي جمعتهما على ملعب «غوادالاخارا» في أول ساعات الأربعاء الماضي، ليضرب رجال المدرب سباستيان ديسابر عصافير بالجملة بهدف أكسيل توانزيبي الوحيد، لعل أولها وأكثرها أهمية هو إسعاد عشرات الملايين من الفقراء هناك في كينشاسا وباقي المدن والقرى الذين انتظروا أكثر من نصف قرن من الزمن لأجل رؤية منتخبهم يشارك في المونديال بالاسم الجديد للدولة، بعد المشاركة الأولى باسم زائير في نسخة المانيا 1974، والثاني أثبت بشكل عملي أن انتصاره على عملاقي القارة الكاميرون ونيجيريا في نصف نهائي ونهائي الملحق الأفريقي لم يأت بضربة حظ أو من قبيل الصدفة، بل لجدارته في اللحاق بجيش الماما أفريكا المشارك في المونديال الأمريكي، ضمن مكاسب البطاح وما يُعرفون بدبلوماسية بـ«دول العالم الثالث» في الجزء الجنوبي للكرة الأرضية، بوصول ممثلي القارة في كأس العالم عشرة منتخبات، وهو ما يمثل ضعفي عدد المقاعد المعتادة لأفريقيا في العقود القليلة الماضية، مثلما تضاعفت المقاعد العربية مقارنة بأكبر حضور تم تسجيله في كل العصور، وذلك بقديمه الحال انعكاسا للتغير الذي أحدثه الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، برفع عدد المشاركين من 32 منتخبا إلى 48 منتخبا بداية من النسخة المنتظرة في أمريكا الشمالية بداية من منتصف يونيو/حزيران المقبل، الأمر الذي أعطى انطباعا عاما بأن تصفيات المونديال تحولت إلى نزهة سهلة لكبار أوروبا وأمريكا الجنوبية، أو هي أضعف التقديرات قلل من احتمالات غياب أحد المنافسين التقليديين على اللقب كما يحدث من فترة أخرى، لكن في الأخير استيقظ عالم كرة القدم على صدمة أقل ما يُقال عنها فاقت «كذبة» أبريل/نيسان، في ما وُصفت في وسائل الإعلام الإيطالية بـ«شهادة وفاة» لأبطال العالم 4 مرات، والسؤال الذي يؤرق عشاق المنتخب الإيطالي في كل مكان في العالم وما أكثرهم ما بين المحيط والخليج، هو: كيف لمنتخب كان يهابه العمالقة قبل الصغار في الأمس القريب أن يعجز عن حجز مكانه في كأس العالم للمرة الثالثة على التوالي؟ هذا ما سنناقشه معا في موضوعنا الأسبوعي.

بيلا تشاو

تخيل عزيزي القارئ أننا أثناء متابعة التغطية الإعلامية والتلفزيونية لاحتفالات الشعب الإيطالي بفوز جيجي بوفون وفابيو كانافارو وفابيان غروسو وأندري بيرلو وفرانشيسكو توتي والملك إيساندرو ديل بيرو وباقي أساطير «الأزوري» في تلك الحقبة باللقب العالمي الرابع في تاريخ البلاد على حساب الديوك الفرنسية في نهائي برلين الشهير عام 2006، وفجأة أخبرتك أن هذه الصخب سيتحول إلى لعنة وكابوس على وطن الكالتشيو في العقدين القادمين، الشيء المؤكد أنك ستشكك في سلامة قوتي العقلية، فما بالك لو رفعت مستوى التوقعات التشاؤمية إلى الخروج أمس المكر من كأس العالم ثم بالدعاء من أجل ضمان التأهل حتى بعد توسيع عدد المنتخبات المشاركة إلى قرابة نصف عدد دول العالم الحقيقي، هنا ستبدأ في طرح أسئلة من نوعية «ما نوع المخدرات التي جعلتك تشطح بخيالك إلى سطح القمر؟» أو «هل تعاني من مشاكل نفسية تستوجب الذهاب إلى دكتور أمراض نفسية وعصبية؟» وإلخ، لكن ما حدث على أرض الواقع، فاقل ما يُقال عنه إنه فاق حتى أضغاث أحلام أكثر المتشائمين لمستقبل المنتخب الإيطالي، يكفي أننا نتحدث عن جيل كامل من الشباب العشريني إما لم يحظ بفرصة متابعة منتخب بلاده في مباراة إقصائية في المونديال وإما لم يشاهد قميصه من الأساس في العرس العالمي، في ما يمكن اعتبارها واحدة من أسرع وأغرب الانتكاسات في تاريخ اللعبة، أن تتحول إمبراطورية كروية بهذه العظمة إلى قاع الحضيض الكروي في غضون عقد من الزمن، مخالفا لأن التوقعات والآراء التي كانت ترجح عودة الأمور إلى نصابها الصحيح بعد الإنجاز الذي تحقق على يد المدرب السابق روبرتو مانشيني، بالتتويج بكأس الأمم الأوروبية نسخة 2020، حيث كان الاعتقاد السائد بأن الأزوري قد تعافى من صدمة الغياب عن مونديال روسيا 2018، لكن سرعان ما استيقظ عشاق المنتخب على كارثة الغياب عن بطولتهم المفضلة للمرة الثانية على التوالي، وحدث ذلك بعد الانحناء أمام مقدونيا الشمالية في الملحق الأوروبي النهائي المؤهل لمونديال 2022.

واكتملت مصائب المنتخب والكرة الإيطالية، بالسقوط أمام البوسنة في لعبة ركلات الترجيح، في مباراة كان يُعتقد أنها ستكون في المتناول بالنسبة لكتيبة المدرب جينارو غاتوزو، والدليل على ذلك رد فعل اللاعبين لحظة الإعلان عن منافسهم في نهائي مسارهم في الملحق، كانهم قطعوا أكثر من 50% من الطريق نحو المونديال بعد تجنب مواجهة المنتخب الويلزي في المباراة الفاصلة، وهذا في حد ذاته، لا يعكس سوى التدهور الصادم في عقلية الجيل الحالي مقارنة بتصرفات وسلوك الأساطير الذين ورطوا الملايين في عشق أصحاب القمصان الزرقاء الأنيقة في العقود الماضية، وفي رواية أخرى فهكذا تصرف، لا ينم سوى عن ضعف كبير على مستوى الشخصية والهوية، وذلك من المنظور المتعارف عليه بأن «الفرق والمنتخبات الكبيرة لا تخشى مواجهة أي منافس»، أو كما نقول «من يبحث عن اللقب أو تحقيق أهدافه ينبغي عليه أن يفوز على كل خصومه»، أما من يبحث عن الطرق السهلة، فعادة ما يستيقظ في النهاية على آخر وأسوأ سيناريو كان ينتظره، والأمر لا يتعلق فقط بالعواقب الوخيمة لتراخي اللاعبين في استعدادهم للمباراة، بل أيضا وهو الأخطر ما يُعرف بين المشجعين والنقاد بـ«ضريبة» الاستهانة بالخصم أو تاريخه أو لاعبيه، الأمر الذي يسهل مهمة مدرب المنافس في ما يخص شحن اللاعبين وتحفيزهم للتعامل مع المباراة على أنها حياة أو موت بالنسبة لهم، بتلك الطريقة التي مهد بها العقرب البوسني إدين دجيكو، للمصير الذي ينتظر رجال غاتوزو، في حديثه مع الصحافيين قبل 24 ساعة من سهرة ملعب «بيلينو بوبي» بمدينة زينتسا، قائلا: «ما حدث أمر طبيعي تماما لأننا جميعا لدينا تفضيلاتنا، وربما كان تفضيلي هو عدم اللعب ضد إيطاليا. لكن عليك أن تكون حذراً اليوم، فمع وسائل التواصل الاجتماعي يصبح كل شيء أكبر مما هو عليه. أرسل لي ديماركو رسالة وقال إنه لم يقصد الإساءة إلى أحد. فقلت له: عن ماذا نتحدث أصلا؟ لا توجد أي مشكلة على الإطلاق، إيطاليا لم ترغب اللعب في ويلز، لا أعرف السبب، لأننا ذهبنا إلى هناك بدون خوف وفزنا. لا أعرف لماذا يجب أن تخاف إيطاليا من ويلز أو البوسنة. إيطاليا منتخب وطني مذهل فاز بأربع بطولات كأس العالم، إذا كانوا يخشون اللعب في ويلز، فهذا يعني أن هناك شيئا ما لا يعمل، وربما يجب أن ننظر إلى الأمر بهذه الطريقة، فقد يعانون حقا في هذه المباراة لأنهم يلعبون من أجل الكثير بعد أن غابوا عن بطولتي كأس العالم. وهذا يعني أنهم خائفون».

ما قبل الجنازة

صحيح مهاجم روما والإنتر سابقا، تعرض لواحدة من أشرس حملات الهجوم عليه في إيطاليا، لكن مواليد عقد الثمانينات وما قبل، يعرفون جيدا أن دجيكو يكاد يكون «أصاب كبد الحقيقة»، كان لسان حاله كان يقول: «منذ متى ومنتخب بحجم إيطاليا يخشى مواجهة خصوم أقل منه في كل شـيء؟»، عزيزي القارئ لا تنسى أن صاحبنا البالغ من العمر 40 عاما، ترعرع في طفولته على مشاهدة ما لا يقل عن 4 أو 5 من أفضل لاعبين العالم في مركزهم بألوان المنتخب الإيطالي سواء في كأس العالم أو اليورو، وهذا ربما ما يخفي على مواليد الألفية الجديد، وبالأخص من هم في بداية عقد العشرينات، الذين يتعجبون من ردود الأفعال الكبيرة على غياب الأزوري عن كأس العالم للمرة الثالثة على التوالي، مثلما كان يتعجب آباء اليوم في طفولتهم عن حكاوي شيوخ القهاوي عن الجبروت المجري والنمساوي في فترة ما قبل وبعد الحرب العالمية الثانية، ولو عُدنا بالذاكرة إلى الوراء في العقود الثلاثة الماضية لن نجد صعوبة في الوقوف على السبب الجوهري وراء انهيار إمبراطورية أسياد الدفاع، ففي مونديال روما 1990، كان لدى المدرب أزيليو فيتشيني أسماء ومواهب بحجم والتر زينغا وصاحب الاسم الموسيقي جانلوكا باليوكا، وأمامهم عظماء من نوعية فرانكو باريزي وتشيرو فيرارا والأفضل في التاريخ باولو مالديني، وفي الوسط الميستر كارلو أنشيلوتي وجوسيبي جانيني وروبرتو دوناديني، وفي الهجوم حدث ولا حرج عن أسماء منها روبرتو مانشيني ومُحدّث اللعبة في بلاده روبرتو باجيو وهداف النسخة سالفاتوري سكيلاتشي، وعندما انتقلنا إلى حقبة أريغو ساكي في نسخة 1994، انضم كوستاكورتا إلى باريزي ومالديني في الدفاع، وفي الوسط كان لديهم دينو باجيو وديميتري البرتيني ودوناديني وأنطونيو كونتي، وفي الهجوم باجيو في أوج سنواته في مسيرته ومساعده مسارو وكازيراغي وسينيوري، وباقي الأسماء التي خسرت المباراة النهائية أمام البرازيل في الولايات المتحدة، في ما يُعرف الآن بالنهائي الذي مات فيه باجيو واقفا، واستمرت جنة كرة القدم آنذاك في تصدير المواهب المحلية التي لا تُقدر بثمن، كما شاهدنا في المجموعة التي اعتمد عليها تشيزاري مالديني في مونديال فرنسا 1998، والحديث عن الجيل الجديد في تلك المرحلة فابيو كانافارو وإليساندرو نيستا وإليساندرو ديل بييرو وكريستيان فييري برفقة باجيو في الهجوم، ولو نتذكر، كانت الترشيحات تتأرجح بين البرازيل وإيطاليا، كاكبر وأقوى المنتخبات المرشحة للفوز باللقب، لكن في الأخير توقف القطار الإيطالي أمام البلد المنظم في قمة ربع النهائي التي حُسمت بركلات الترجيح، وهو تقريبا نفس الجيل الذي واصل المسيرة في نسخة كوريا الجنوبية واليابان 2006، ثم بالانفجار العظيم في ألمانيا 2006، كآخر محطة ظهر فيها أسياد الدفاع بالصورة المعروفة عنهم، قبل أن تتبدل الأوضاع مع تقدم هؤلاء الأساطير في العمر وتأثر المنتخب باعتزال السعودي، وموسيس كين لاعب فيورنتينا، وباقي الأسماء لا تزيد كثيرا عن شهرة وجودة هذه الأسماء، بما فيهم المدافع باستوني، الذي كان يُنظر إليه على أنه الخليفة الجديد لأساطير الزمن الجميل، قبل أن يثبت بشكل عملي أنه اللاعب رقم (12) بالنسبة للمنافسين، بتلك الطريقة أو ما يمكن وصفها مجازا بالجريمة الكروية التي ارتكبها أمام البوسنة، بتدخل متهور على المهاجم في سباق سرعة بينهما في آخر 30 مترا في الملعب، على إثره تلقى البطاقة الحمراء التي تسببت بشكل أو آخر في انقلاب المباراة وأحداثها رأسا على عقب، من السير على طريق ممهد بالورود نحو المونديال، لا سيما بعد أخذ الأسبقية بهدية مجانية من الدفاع استغلها كين على أكمل وجه، إلى استدعاء بلا داع لكل أنواع التوتر والعصبية منذ لحظة الطرد. وما زاد الطين بلة وربما يكون ساهم في إحباط معنويات اللاعبين أكثر من أي وقت مضى، تلك الفرصة السهلة التي أهدرها موسيس كين، في انفراده الصريح مع حامي عرين أصحاب الأرض من منتصف الملعب، وكان ذلك في الدقيقة 60، قبل أن يطيح المنتخب البوسني المقولة الكروية الشهيرة «من يضيع الأهداف فعليه استقبالها»، بتسجيل هدف التعادل في الدقيقة 78، كرابع مرة على التوالي يتمكن خلالها أصدقاء دجيكو في العودة أمام خصومهم بعد نفس الدقيقة وعلى نفس الملعب الذي لا يتسع لأكثر من 11 ألف متفرج، ولولا تعملق دوناروما في أكثر من اختبار محقق سواء قبل هدف التعديل أو بعده، لما ذهبت المباراة إلى ركلة الجزاء التي انتهت بكارثة جديدة تضاف إلى سجل إيطاليا المتواضع على كل الأصعدة في الآونة الأخيرة، شاملة مصيبة الخروج الجماعي من الدور الأول لدوري أبطال أوروبا ثم بفقدان الأمل الأخير بتواجد ثلاثة ممثلين من خلال الملحق المؤهل لمراحل خروج المغلوب في الكأس ذات الأذنين، وحدث ذلك بعد فضيحة متصدر الكالتشيو الإنتر أمام بودو غليمت النرويجي، بالهزيمة في مباراة الذهاب بثلاثية مقابل هدف، وفي الإياب بهدفين مقابل هدف على مرأى ومسمع الجماهير في قلب «جوسيبي مياتزا»، وتبعه يوفنتوس بالخروج على يد غالطة سراي التركي، بخسارة في ذهاب اسطنبول بخمسة أهداف مقابل اثنين، ثم بالاكتفاء بالفوز بثلاثية مقابل اثنين في إياب توريني، واكتملت بإقصاء أتالانتا أمام بايرن ميونيخ في دور الـ16، ما يعكس حالة التدهور التي تعيشها الكرة الإيطالية في هذه الفترة، من شبه هيمنة على القارة في تسعينات القرن الماضي ثم بسنوات من الصمود والوقوف على قدم المساواة مع الأندية الإنكليزية والإسبانية، إلى ما وصلت إليه الآن من إفلاس على كافة الأصعدة، بما في ذلك فقر العين الخبيرة التي تلتقط المواهب القادرة على محاكاة أساطير الماضي، هذا بجانب صداع الديون المتراكمة على الأندية والمشاكل الاقتصادية التي تعصف بكل المؤسسات الرياضية هناك، وتعتبر من الأسباب الرئيسية وراء هجرة النجوم والمدربين إلى إنكلترا وباقي الدوريات الأوروبية في السنوات الماضية، في المقابل تحول الدوري الإيطالي إلى الوجهة المثالية لعجائز الفرق الكبرى في القارة، على غرار انتقال كيفن دي بروين إلى نابولي بعدما تجاوز سنوات الذروة مع مانشستر سيتي، والأوربعيني الكرواتي لوكا مودريتش بعد رحيله عن ريال مدريد الصيف الماضي، ويضاف إلى كل ما سبق، تغير عقلية الجيل الجديد في البلاد، من شغف الأغلبية الكاسحة بكرة القدم في زمن ما قبل التواصل الاجتماعي إلى منافسة متأرجحة بين كرة القدم ولعبة التنس، بعد إنجازات يانيك سينر، وبدرجة أقل دخلت سباقات الفورمولا1– اللعبة، بعد انتصارات كيمي أنتونيلي الدودية في آخر سباقين، والأسوأ على الإطلاق، ما يتردد عن انخفاض شعبية المنتخب داخل الوطن مقارنة بولاء المشجعين وارتباطهم الوثيق بأنديتهم، الأمر الذي دفع المدرب غاتوزو لإقامة مباراة نصف نهائي الملحق على ملعب بيرغامو الذي لا يتسع لأكثر من 25 ألف متفرج في أحسن الأحوال، وذلك لتفادي صافرات الاستهجان من قبل الجماهير في «سان سيرو»، كما حدث في ليلة السقوط أمام أصدقاء إيرلينغ براوت هالاند في نوفمبر/تشرين الثاني الماضي، وغيرها من المؤشرات التي كانت تنذر بقرب وقوع الكارثة، ولو أن من تابع ردود الأفعال هذه المرة، سيلاحظ أن مستوى التعاطف العالمي والعربي مع الطليان انخفض أكثر من أي وقت مضى، وتجلى ذلك في اختفاء المقولة التي كانت تتردد بعد خيبة أمل السويد في ملحق مونديال روسيا 2018، بأن «كأس العالم خسر مشاركة إيطاليا»، وبدرجة أقل بعد الفضيحة المدوية أمام مقدونيا الشمالية في ملحق مونديال قطر، بما لعدم وجود تلك الأسماء أو المواهب التي كان ينتظرها عشاق الكرة الجميلة على أحر من الجمر كل 4 سنوات، وذلك كما أشرنا أعلاه للتراجع الصادم على مستوى المواهب والالاعبين فئة «الميغا ستارز»، أو ربما لضياع هذه المأساة وسط الفرجة المضاعفة بتأهل ثمانية منتخبات عربية للمونديال للمرة الأولى في التاريخ، لكن الشيء المؤكد ويصعب الجدال عليه، أن المنتخب والكرة الإيطالية بحاجة لعملية إنعاش طارئة، إذا أرادوا إنقاذ ما تبقى من هيبة وكبرياء اسم الأزوري الكبير في المستقبل القريب والمتوسط، بالأحرى قبل أن تقع الكارثة للمرة الرابعة على التوالي مع وصول الجيل المصدوم لعقد الثلاثينات من عمرهم، أما باقي نتائج الملحق الأوروبي، فقد أسفرت عن فوز السويد على بولندا بنتيجة 2–3، في مباراة هاوبة من الزمن الجميل، مباراة ظلت معلقة على نتيجة 2–2 إلى أن تمكن مهاجم آرسنال بوكيرس من قيادة بلاده للوصول إلى المونديال بهدف لا يعوض في الدقيقة 88، في قصة ملحمية لا تقل إثارة عن كفاح البوسنة، بعد معاناة المنتخب الاسكندينافي في فترة ما قبل وصول المدرب الإنكليزي غراهام بوتر، حيث كان يحتل المركز الأخير في مجموعته، ثم فجأة خطف البطاقة المؤهلة للملحق، ليطيح بالمنتخب الأوكراني في ملحمة نصف النهائي، ثم بأصدقاء الدمر روبرت ليفاندوسكي في المباراة الفاصلة، وكذا ضمن المنتخب التركي العودة إلى العرس العالمي للمرة الأولى منذ إنجاز الحصول على المركز الثالث في نسخة كوريا الجنوبية واليابان عام 2002، وذلك بعد إخماد ثورة كوسوفو بهدف نظيف في المباراة النهائية، واكتمل عقد المنتخبات الأوروبية المشاركة بتأهل التشيك على حساب الدنمارك بمساعدة ركلات الترجيح بعد انتهاء الوقت الأصلي والإضافي على نتيجة التعادل بهدفين في كل شبكة.

قراءة مفيدة للجميع.

لاعبو وادارييو المنتخب الكونغولي يحتفلون بالتأهل

خيبة أمل على وجه مهاجم منتخب ابطاليا ايسبوزيتو

الأيقونة تلو الأيقونة، إلى أن انكشف الفارق بين جودة نجوم الأمس وبين أنصاف النجوم والمشاهير المتاحين في الوقت الحالي، أو بضمير مستريح يمكنني القول إن أكثر من 80% أو 90% منا لا يعرف أكثر من 4 أو 5 لاعبين بحد أقصى، أولهم الحارس جيجي دوناروما، ومنافسه في البريميرليغ ساندرو تونالي، وثالثهما في البريميرليغ مدافع آرسنال كالافيوري وبدرجة أقل المهاجم الأرجنتيني الأصل ماتيو ريتيغي، لاعب القادسية

أربعيني «متهالك» يحقق حلم أمة في التأهل المونديالي!

سارايفو–«القدس العربي»:

رفع إيدين دجيكو، لاعب منتخب البوسنة والهرسك لكرة القدم، يده اليسرى ممسكا بهاتفه، بينما كانت ذراعه اليمنى مربوطة بإحكام لحماية كتفه المصاب، لتصوير احتفالات منتخب بلاده في وقت متأخر من ليلة الثلاثاء الماضي بعد فوزه على إيطاليا وتحقيق حلم شعبه بتأهله لكأس العالم.

وابتسم دجيكو (40 عاما) وهو يقود زملاءه في الغناء في حفلة أقيمت في حانة بينما كانوا يرتدون قمصانا بيضاء تحمل شعار كأس العالم 2026. وساعدت أهدافه وإلهامه المنتخب البوسني للتأهل للمرة الثانية لكأس العالم كدولة كروية مستقلة منذ تفكك يوغوسلافيا في حروب إقليمية خلال طفولته، والآن، اللاعب الذي غالبا ما كان يحمل المنتخب على أكتافه، يواجه سباقا ضد الزمن كي يشفي كتفه قبل انطلاق البطولة بعد عشرة أسابيع.

وقال سيرجي باربارِيز، مدرب المنتخب البوسني: «أتمنى ألا تكون إصابة دجيكو كبيرة وأن يتمكن من أن يكون معنا في كأس العالم، لأن لا يوجد أمامه الكثير من الوقت».

وأصيب دجيكو في نهاية المباراة التي انتهت بالتعادل 1/1 أمام إيطاليا، فلم يتمكن من المشاركة في ركلات الترجيح اللاحقة، لكن بقاءه على أرض الملعب طوال الشوطين الإضافيين كان علامة على قيادته. وفي آخر تسديدة بالمباراة، كان دجيكو متقدما بالكرة في نصف ملعب إيطاليا عندما أسقطه تدخل قوي من دافيدي فراتيزي. وظل دجيكو على أرض الملعب يتلقى العلاج لكتفه المصاب عند إطلاق صافرة النهاية، بينما بدأ الفريقان في الاستعداد لركلات الترجيح.

سجل دجيكو ستة أهداف في التصفيات، بما في ذلك هدف التعادل في الدقيقة 86 أمام ويلز في قبل نهائي الملحق يوم الخميس قبل الماضي، ما قاد البوسنة إلى نهائي الملحق. كما ساعد تدخله القوي عند عرضية إلى القائم البعيد في تمهيد الكرة لهاريس تاباكوفيتش لإلغاء تقدم إيطاليا، التي كانت تلعب بعشرة لاعبين، في الدقيقة 79 يوم الثلاثاء. وبعد ذلك، اضطر زملاؤه الأصغر سنا في الفريق لحمل المشعل والتغلب على حارس إيطاليا الشهير جانلويجي دونـاروما في ركلات الترجيح. وسجل المنتخب البوسني أربع ركلات ترجيح، بينما أخفق لاعبان إيطاليان. وسجلت الركلتان الأخيرتان للفريق بواسطة إسمير باغراكاتريفيتش المولود في ولاية ويسكونسن، الذي لعب مباراة واحدة لأمريكا، قبل عامين قبل أن يوافق الفيفا على انتقاله الى البوسنة، والشاب كريم الايبيفوفيتش.

دجيكو يحتفل بتأهل البوسنة الى كأس العالم

جيل جديد

العمر الإجمالي لكل من باغراكاتريفيتش والايبيفوفيتش هو 39 عاما، أي أقل بعام واحد من عمر إيدين دجيكو. ولم يكن الايبيفوفيتش (18 عاما)، ولد عندما شارك دجيكو في مباراته الدولية الأولى في يوليو/تموز 2007، وبدأ سلسلة رائعة من التسجيل في 20 عاما متتالية لبلاده. وشاهد دجيكو من المدرج الرئيسي للقاء عائلته وأصدقائه بينما اجتاحت المشاعر البلاد. وقال نيكولا كاتيتش، مدافع المنتخب البوسني: «ماذا أقول؟ لقد رأينا في ملعب «بيلينو بولي» الصاخب في زينيكا. كل شيء بعد ركلة الترجيح الأخيرة. شعور عظيم بالفخر. لم أبك أبدا بعد مباراة، أنا عمري 29 عاما، والآن بدأت أبكي».

أبرز المنافسين

سواء كان إدين دجيكو حاضرا أم لا، فإن المنتخب البوسني يجب أن يملك فرصة كبيرة للتأهل من مجموعته في كأس العالم، بعدما فشل في تحقيق ذلك عام 2014 في البرازيل. ويستهل المنتخب البوسني مبارياته بمواجهة كندا، إحدى الدول الثلاث المنظمة للبطولة، يوم 12 يونيو/حزيران في تورنتو، ثم يواجه المنتخب السويسري في لوس أنجلوس، ويختم مبارياته بمواجهة المنتخب القطري في سياتل يوم 24 يونيو.

كيف ازدهرت لعبة الشطرنج بفضل هدافي كرة القدم هالاند وصلاح!

لندن–«القدس العربي»:

يُعدّ النرويجي إرلينغ هالاند والمصري محمد صلاح من بين نجوم الدوري الإنكليزي لكرة القدم «المدمنين» على ممارسة لعبة الشطرنج، ما ساهم في إشعال موجة ازديـاد شعبية اللعبة بين الشباب.

هالاند، مهاجم مانشستر سيتي، شغوف إلى حدّ أنه استثمر مؤخرا في جولة جديدة مبتكرة للشطرنج تهـدف إلـى الاسـتفـادة من الاهتمام المتزايد الذي يمنحه اللاعبون المشاهير. وإلى جانب هالاند، يُعدّ مهاجم ليفربول صلاح والدوليون الإنكليز هاري كاين وترينت الكسندر–أرنولد وأنتوني غوردن من اللاعبين المولعين بالشطرنج.

قائد «الفراعنة» مهووس بممارسة شطرنج «بليتز» السريع على الإنترنت بدون التعريف عن نفسه. وقال النجم المصري: «أنا مدمن على الشطرنج. كل يوم، حرفيا كل يوم». كما يُعدّ لاعبا وسط أرسنال النرويجي مارتن أوديغارد وإيبيريتشي إيـزي من الشغوفين باللعبة، وقد فاز الأخير ببطولة للهواة عام 2025. كما أن النرويجي مافنوس كارلسن، حامل لقب بطولة العالم خمس مـرات، من كبار عشّاق كرة القدم، ولعب شغفه المزدوج دورا في هذا التقاطع المفاجئ بين اللعبتين. ويُعرف عن الكسندر–أرنولد أنه يلعب الشطرنج كثيرا مع إخوته، وخاض ذات مرة مواجهة مع كارلسن، الـذي هزمه في 17 نقلة فقط خلال خمس دقائق. أما الجناح الأمريكي ليلان الإيطالي كريستيان بوليسيك، فيحمل وشما على ذراعه لقطعة الملكة تكريما لجده الذي علّمه اللعبة في طفولته. وبدوره، يُعرف الفرنسي الفائز بكأس العالم أنطوان غريزمان ولاعب ريـال مدريد داني كارفاخال بشغفهما بالشطرنج.

وللوهلة الأولـى، قد يبدو الطابع التأملي والعقلي للشطرنج متناقضا مـع الطابع الجسدي والعدواني لكرة القدم، لكن التعمّق يكشف عن تشابهات أكثر مما قد يُتوقّع. وقال هالاند: «الشطرنج لعبة مذهلة. إنها تشحذ الذهـن، وهناك تشابهات واضحة مع كرة القدم. عليك التفكير بسرعة، والاعتماد على حدسك، والتفكير في عدة خطوات مسبقا. الاستراتيجية والتخطيط هما كل شيء».

تشابه لافت

بـدعـم مـن الاتحـاد الـدولـي للشطرنج، ستتضمن الجولة الجديدة أربع بطولات سنويا في مدن مختلفة، مع تتويج بطل عالمي عبر ثلاثة أنماط: الكلاسيكي السريع، والسريع، والبليتز.

وسيبلغ الحـد الأدنـى لقيمة جـوائـز كل موسم مليوني جنيه إسترليني (2.7 مليون دولار). وقال رئيس الاتحاد الدولي أركادي دفوركوفيتش: «إن رؤيـة رياضي عالمي المستوى مثل إرلينغ هالاند ينضم إلى جولة بطولة العالم للشطرنج يشكل إشارة قوية على الاهتمام العالمي والأهمية الثقافية التي يتمتع بها الشطرنج اليوم».

وتعـود جـذور الشطرنج إلـى الهند في القرن السابع، لكن تلك البدايات المـتـواضـعـة تـخـتـلـف تـمـامـا عـن التكنولوجيا التي تُسـرّع طفرة اللعبة الـيـوم، حيث أصبحت التطبيقات الإلكترونية تتفوق على الرقعة التقليدية باعتبارها ساحة اللعب الأكثر شيوعا. وشهد اللعب عبر الإنترنت ازدهارا خلال جائحة كوفيد–19، ووفقا للاتحاد الدولي، يحمل ما لا يقل عن 1.5 مليار شخص تطبيق شطرنج على هواتفهم.

وساهمت سلسلة «مناورة الملكة» على نتفليكس، إضافة إلى تأثير المشاهير ومنهم لاعبو كرة القدم، في هذه الطفرة التي غيّرت الصورة النمطية الرتيبة للعبة. كما يستهوي الشطرنج المدربين الباحثين عن تفوق ذهني في معاركهم التكتيكية على أرض الملعب. ونُقل عن مـدرب مانشستر سيتي الإسباني بيب غوارديولا في كتاب «بيب كونفيدنشال» قوله: «ليست لديكم فكرة عن مدى تشابه الأمرين». ويرى كارلسن، المشجع المتحمس لريال مدريد، لعبته من زاوية مشابهة لغوارديولا، قائلا: «في الشطرنج وكرة القدم، المهم هو السيطرة على الوسط. إذا سيطرت على الوسط تسيطر على الرقعة أو الملعب. من ناحية المساحات، الأمر متشابه بشكل لافت». لكن هل يمكن أن تحلّ متعة إحراز «كش مات» ناجحة محلّ نشوة تسجيل هـدف الفوز لدى لاعبي كرة القدم المولعين بالشطرنج؟ بالنسبة لهاري كاين، تبقى كرة القدم هي العشق الأول، فيما تشكل الشطرنج وسيلة مثالية للاسترخاء. وقال: «أستخدم الشطرنج لأفصل ذهني. إنها لعبة ذهنية بحتة. عليك التركيز في كل لحظة».

ما سر غضب برشلونة من رافينيا؟ وكيف يتجاوز فليك هذه الورطة؟

لندن–«القدس العربي»:

ضـجـت وسـائـل الإعلام ومـواقـع الـتـواصـل الاجتماعي في كتالونيا، بعد إعلان إدارة نادي برشلونة عن خـروج النجم البرازيلي رافينيا من حسابات المـدرب الألمـانـي هـانـزي فليك لـمـدة لن تقل بأي حال من الأحـوال عن خمسة أسابيع، أو بالأحرى تأكد غيابه عن الغريق في شهر أبريل/نيسان الحاسم الذي سيكون شاهدا على عدد لا بأس به من المواجهات الفارقة سواء على المستوى القاري أو المحلي، وذلك بدءاي الانتكاسة التي ألمت به أثناء مشاركته مع منتخب بلاده أمام فرنسا في ودية نهاية الأسبوع قبل الماضي التي حسمها وصيف بطل العالم بهدفين مقابل هـدف، وسط عاصفة من الانتقادات والتهم التي تلاحق المدرب الإيطالي كارلو أنشيلوتي، باعتباره المسؤول الأول عن الإصابة التي تعرض لها صاحب الـ29 عاما في هذا التوقيت الحساس من الموسم، بزعم أنه قامر باللاعب في التشكيلة الأساسية وهو لم يكن لائقا من الناحية الطبية بنسبة 100%، وهو ما سيدفع إدارة الرئيس جوان لابورتا للتقدم بشكوى إلى الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) من أجل الحصول على التعويض القانوني، استنادا إلى اللوائح التي تعطي الأندية الحق في المطالبة بتعويضات عن إصابة اللاعبين التي تزيد مدتها على 21 يوما، حتى صاحب الشأن لم يسلم من الهجوم الإعلامي والجماهيري، والسبب؟ تحمله الجزء الأخر من الكارثة التي هبطت فوق رأس المدرب فليك كما سيشرح التقرير الآتي.

الإصابة عاودت تلازم رافينيا

الغضب الجماهيري

بـالـعـودة إلـى الـصـحـف والمـنـصـات المحسوبة على المحيط الإعلامي لبرشلونة، سنجد أن رافينيا يتقاسم الانتقادات الحادة مع المدرب السابق للغريم الأزلي، وذلك لموافقته بهذه السهولة على خوض المباراة، رغم أنه استنادا إلى التقارير الـواردة من وطن السامبا، كان يعاني من بعض الإنزعاجات على مستوى الركبة قبل المباراة، وما زاد الطين بلة، ما تردد عن علاجه ببعض المسكنات والأدوية للدفع به في التشكيل الأساسي، في الوقت الذي قرر فيه المدرب إراحة فينيسيوس جونيور على مقاعد البدلاء وهو في قمة لياقته البدنية والفنية، ما تم تفسيره في الميديا الكتالوني، على أنه مؤامرة مدريدية برازيلية على البلوغرانا بمساعدة رافينيا نفسه، الذي كان يملك أكثر من خيار لتجنب هذه الإشكالية، بما في ذلك الاعتراض على مبدأ اللعب قبل اكتمال شفائه بنسبة 100%، أو طلب التغيير قبل أن تتفاقم الإصابة التي تحولت من مجرد انزعاجات إلى إصابة سيئة على مستوى الركبة، ليضع مدربه فليك في وضع لا يُحسد عليه في هذه الأثناء، يتأكد غيابه عن مجموعة من أهم مباريات الفريق إن لم تكن الأهم على الإطلاق، منها الصدام المحلي الخالص مع قطب العاصمة الثاني أتلتيكو مدريد في معركتي الـذهـاب والإيـاب في الـدور ربع النهائي لـدوري أبطال أوروبا، وحتى لو تمكن الفريق من الوصول إلى نصف النهائي، سيحتاج رافينيا إلى معجزة كي يلحق بسهرة الإياب. أما على المستوى المحلي، فقد استهل الغياب في قمة مواجهات الدول الـ30 للدوري الإسباني أمام الهنود الحمر، وسيستمر أمام الشقيق الكتالوني الأصغر إسبانيول وسيلتا فيغو وخيتافي وإسبانيول، على أمل أن تسير الأمور كما يخطط لها الطاقم الطبي للبارسا ويتمكن اللاعب من العودة المحددة له قبل استضافة ريال مدريد في كلاسيكو العاشر من مايو/أيار المقبل الحاسم على لقب الليغا.

صدمة وحلول

أجمع القاصي والداني على أن الإصابة التي تعرض لها رافينيا، تمثل ضربة مؤلمة للغاية لخطط المدرب فليك وطموحاته في الاحتفاظ بلقب الدوري الإسباني وافتكاك بطاقة اللعب في المباراة النهائية لدوري أبطال أوروبـا، بعد الخروج الدرامي أمام أفاعي الإنتر في نصف نهائي الموسم الماضـي، وذلـك بطبيعة الحال ليس فقط لأهمية أهدافه وتمريراته الحاسمة التي تصنع الفارق للمجموعة في الأوقات المعقدة، ولا حتى مراوغاته السحرية في موقف لاعب ضد لاعب، بل لقيمته وتأثيره على إستراتيجية لعب الفريق، باعتباره اللاعب الشامل الـذي يعول عليه المـدرب في 3 أو 4 أدوار مركبة، أبسطها تعويض الضغط المفقود في وجود المسن روبرت ليفاندوسكي، حيث يتقمص راقص السامبا دور المدافع الأول عن خطوط الفريق، يضغط يكاد لا يتوقف على أول لاعب حامل للكرة من المنافس، وفي نفس الوقت لا يبخل بقطرة عرق واحدة لتقديم دوره الدفاعي مع الظهير الأيسر سواء كان بالدي أو جواو بيدرو، بالإضافة إلى الجودة والأناقة سواء في التمرير العمودي بين الخطوط أو ما تعرف بالتمريرات المفتاحية، وقبل هذا وذاك، يُصنف كلاعب مزاجي، أحيانا يسجل ثلاثة أهداف (هاتريك) من أنصاف فرص، وأحيانا أخرى يتحول إلى مهاجم خجول يتفنن في إهدار الفرصة السهلة تلو الأخرى، غير أن هذا الحل، من شأنه أن يخل بالمداورة التي يطبقها فليك بين توريس والمخضرم روبرت ليفاندوسكي في مركز المهاجم رقم (9).

فكرة مجنونة

وهناك من يرشح محاكاة أفكار ببب غوارديولا المجنونة، بتعديل مركز جواو كانسيلو من مركز الظهير إلى الجناح الأيسر المهاجم، للاستفادة من انطلاقته السريعة ودقته في اللمسة قبل الأخيرة، خاصة عندما يأتي كالسهم من جهته المفضلة، كواحد من القلائل الذين يُقدرون الكرة قبل إرسالها إلى المهاجم داخل مربع العمليات، وفي نفس الوقت سيشكل جبهة دفاعية قوية مع بالدي بعد تعافيه من الإصابة، أو قد يراهن على الفتى المراهق روني باردغجي، الذين أثار إعجاب النقاد والمشاهدين بموهبته الطاغية ولمسته الأنيقة وقدرته على المراوغة بقدمه اليسرى السحرية، كلاهب يمكن تطويعه في مركز الجناح الأيسر المهاجم، كما حدث مع رافينيا، حين قام تشافي هيرنانديز بتعديل مركزه من جناح أيمن مهاجم، إلى مهاجم وهمي في بعض الأوقات وجناح في الجهة الأخرى في أوقات أخرى، وبوجه عام، يملك باردغجي الكثير من مواصفات رافينيا، أبرزها الجرأة النادرة في المواجهات المباشرة مع المدافعين، وتنوع الحلول في المراوغة، والانضباط التكتيكي في النواحي الدفاعية، لذا قد يتحول إلى مفاجأة برشلونة السعيدة في نهاية الموسم، في حال راهن عليه المدرب في فترة غياب الخيار الأول في مركز الجناح الأيسر، وفي نفس الوقت تمكن من استغلال الفرصة كي أكمل وجه، فمن يا ترى من هؤلاء سيساعد فليك على تجاوز صدمة غياب رافينيا في الأسابيع القادمة؟

الموسم الماضي، لم يظهر بنفس النسخة البراقة التي يبدو عليها في أغلب دقائقه مع البارسا، كمؤشر على إمكانية نجاحه في تقديم يد العون لفليك ورفاقه في الفريق في فترة غياب رافينيا، أو قد يلجأ مدرب بايرن ميونيخ ومنتخب ألمانيا السابق في الخطة «بي»، بالرهان على خوان غارسيا في مركز الجناح الأيسر المهاجم، وهنا سيضمن المـدرب التوازن الذي يريده من الجناح المهاجم في مسألة الضغط المتقدم وإغلاق زوايا التمرير على المنافس في الثلث الثاني من الملعب، وأيضا سيجد راحة كبيرة في إغلاق كل الطرق التي تؤدي إلى المرمى من الجهة اليسرى، بالجهود الكبير الذي سيبذله مع الظهير الأيسر في النواحي الدفاعية، لكن حجر العثرة أو الإشكالية ستظهر عندما يحتاجه الفريق في موقف لاعب ضد لاعب أو في لمحة إبداعية من لمسة واحدة، كلاعب يفتقر إلى الجودة والأناقة سواء في التمرير العمودي بين الخطوط أو ما تعرف بالتمريرات المفتاحية، وقبل هذا وذاك، يُصنف كلاعب مزاجي، أحيانا يسجل ثلاثة أهداف (هاتريك) من أنصاف فرص، وأحيانا أخرى يتحول إلى مهاجم خجول يتفنن في إهدار الفرصة السهلة تلو الأخرى، غير أن هذا الحل، من شأنه أن يخل بالمداورة التي يطبقها فليك بين توريس والمخضرم روبرت ليفاندوسكي في مركز المهاجم رقم (9).

فكرة مجنونة

وهناك من يرشح محاكاة أفكار ببب غوارديولا المجنونة، بتعديل مركز جواو كانسيلو من مركز الظهير إلى الجناح الأيسر المهاجم، للاستفادة من انطلاقته السريعة ودقته في اللمسة قبل الأخيرة، خاصة عندما يأتي كالسهم من جهته المفضلة، كواحد من القلائل الذين يُقدرون الكرة قبل إرسالها إلى المهاجم داخل مربع العمليات، وفي نفس الوقت سيشكل جبهة دفاعية قوية مع بالدي بعد تعافيه من الإصابة، أو قد يراهن على الفتى المراهق روني باردغجي، الذين أثار إعجاب النقاد والمشاهدين بموهبته الطاغية ولمسته الأنيقة وقدرته على المراوغة بقدمه اليسرى السحرية، كلاهب يمكن تطويعه في مركز الجناح الأيسر المهاجم، كما حدث مع رافينيا، حين قام تشافي هيرنانديز بتعديل مركزه من جناح أيمن مهاجم، إلى مهاجم وهمي في بعض الأوقات وجناح في الجهة الأخرى في أوقات أخرى، وبوجه عام، يملك باردغجي الكثير من مواصفات رافينيا، أبرزها الجرأة النادرة في المواجهات المباشرة مع المدافعين، وتنوع الحلول في المراوغة، والانضباط التكتيكي في النواحي الدفاعية، لذا قد يتحول إلى مفاجأة برشلونة السعيدة في نهاية الموسم، في حال راهن عليه المدرب في فترة غياب الخيار الأول في مركز الجناح الأيسر، وفي نفس الوقت تمكن من استغلال الفرصة كي أكمل وجه، فمن يا ترى من هؤلاء سيساعد فليك على تجاوز صدمة غياب رافينيا في الأسابيع القادمة؟

كيف تساهم الولايات المتحدة في تحطيم مونديالها؟

خلدون الشيخ

سيكون المونديال المقبل بعد نحو شهرين، من الأكثر اضطرابا في تاريخ كرة القدم، فلا الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) يساعد الجماهير بتحمل نفقات التذاكر، بطرح المزيد منها بسعر 11 ألف دولار للبطاقة الواحدة لحضور المباراة النهائية، ولا الدولة المضيفة الأساسية الولايات المتحدة تراعي أهمية الحدث بوقف حربها في الشرق الأوسط، ولا حتى تمنح المنتخبات المشاركة اعتبارات تمييزية.

وسيواجه أكثر من نصف الدول المتأهلة لكأس العالم تكاليف إضافية وخسائر محتملة نتيجةً عدم توصل الفيفا إلى اتفاق مع حكومة الولايات المتحدة بشأن إعفاء ضريبي شامل. وبصفتها منظمة غير ربحية، يتمتع الفيفا بوضع معفى من الضرائب في الولايات المتحدة منذ كأس العالم 1994، إلا أن هذا الإعفاء لا يشمل جميع الدول الـ48 المتأهلة، والتي يتعين على اتحاداتها دفع مجموعة من الضرائب الفيدرالية والولائية والمحلية على أرباحها من البطولة هذا الصيف. والعبء الضريبي سيقع بشكل غير متناسب على عاتق العديد من الاتحادات الصغيرة، التي لا تربط حكوماتها اتفاقيات ضريبية مع الولايات المتحدة.

ومن بين الدول الـ48 المتأهلة لكأس العالم، 18 دولة وقعت اتفاقيات تجنب الازدواج الضريبي مع الولايات المتحدة، والتي تعفي وفودها من دفع الضرائب الفيدرالية، ومعظمها من دول أوروبية. وباستثناء الدولتين المضيفتين الاخريين، كندا والمكسيك، فإن الدول غير الأوروبية الوحيدة التي وقّعت اتفاقيات تجنب الازدواج الضريبي هي أستراليا ومصر والمغرب وجنوب أفريقيا.

ونتيجةً لذلك، ستواجه العديد من الدول الصغيرة المشاركة في كأس العالم، مثل كوراساو والرأس الأخضر اللتين تشاركان لأول مرة في البطولة، التزامات ضريبية أكبر من تلك التي تتحملها إنكلترا وفرنسا، اللتان وقّعت حكومتاهما اتفاقيات تجنب الازدواج الضريبي. ولا يشمل الإعفاء أرباح اللاعبين، إذ يُلزم القانون الفيدرالي الرياضيين والفنانين بدفع الضرائب عند أدائهم في الولايات المتحدة، ولكنه يشمل الطاقم الإداري والمدربين، الذين يتلقون على المستوى الدولي مدفوعات أعلى بكثير من اتحاداتهم على أي حال.

ويخشى العديد من الاتحادات الأوروبية خسارة الأموال في كأس العالم بسبب ارتفاع التكاليف، وزادت مسألة الضرائب من مخاوف منتخبات أخرى. ورغم التباين الكبير في الالتزامات الضريبية، فإن الميزانية التشغيلية للفيفا لكل فريق من الفرق الـ48 ثابتة عند 1.5 مليون دولار. نتيجةً لتوسيع بطولة كأس العالم لتشمل 48 فريقا، تم تخفيض بدل المعيشة اليومي المخصص لكل عضو من أعضاء الوفد من 850 دولارًا في 2022 إلى 600 دولار، رغم ارتفاع تكاليف السفر والإقامة في الولايات المتحدة. علما أن الحكومة القطرية منحت في 2022 إعفاءات ضريبية لجميع الاتحادات الوطنية الـ32 المشاركة في البطولة.

وقالت أوريانا موريسون، وهي مستشارة ضريبية قدمت استشاراتها للاتحادين البرتغالي والبرازيلي، علما أن الاتحاد البرازيلي لن يستفيد من اتفاقية تجنب الازدواج الضريبي: «ستكون تكاليف الفرق القادمة من دول أكثر تقدما وتطورا، والتي تربطها اتفاقيات ضريبية مع الولايات المتحدة، مثل إنكلترا وإسبانيا، أقل بكثير من تكاليف الفرق القادمة من دول أصغر حجمًا مثل كوراساو وهايتي، على سبيل المثال».

ونتيجةً لذلك، سيتعين على كارلو أنشيلوتي، مدرب المنتخب البرازيلي، دفع ضرائب على دخله في كل من البرازيل والولايات المتحدة، بينما سيخضع توماس توخيل، مدرب المنتخب الإنكليزي، للضريبة في بريطانيا فقط. وفي الواقع، من المرجح أن يتكفل الاتحاد البرازيلي بتغطية فاتورة الضرائب الإضافية لأنشيلوتي، لكن مشكلة الازدواج الضريبي ستسبب مشاكل جمة للاتحادات الصغيرة. ويبلغ معدل ضريبة الشركات الفيدرالية في الولايات المتحدة 21%، بينما تصل ضريبة الدخل على دافعي الضرائب ذوي الدخل المرتفع، مثل لاعبي ومدربي كرة القدم الدوليين، إلى 37%.

وبسبب هـذه المشاركة المونديالية، سـتُعاقب العديد من المنتخبات الصغيرة، التي كان من شأن هذا النوع من المكاسب أن يُحدث فرقا كبيرا في نظوراها وتقدم نموها الكروي، بفواتير ضرائب أمريكية باهظة. هذه أموال كان من الممكن أن تُساهم في تطوير صناعاتها الكروية محليا بشكل أفضل، لكن أموالها ستبقى في الولايات المتحدة، بل ستُكلف المشاركة في كأس العالم معظم الدول غير الأوروبية مبالغ طائلة، بينها غالبية منتخباتنا العربية. وما يزيد الأمر تعقيداً، أن كندا والمكسيك منحتا إعفاءات ضريبية لجميع الاتحادات، ما يعني أن الفرق التي ستخوض مباريات دور المجموعات في هـاتين الـدولـتين ستدفع ضرائب أقـل. إضافةً إلـى ذلـك، ستختلف مستويات الضرائب بين الولايات الأمريكية اختلافاً كبيراً. فلا توجد ضريبة ولاية على الإطلاق في فلوريدا، حيث ستُقام سبع مباريات في ميامي، بينما تبلغ 10.75% في نيو جيرسي، التي سيستضيف ملعب «ميتلايف» فيها المباراة النهائية، و13.3% في كاليفورنيا، حيث تستضيف لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو عددا من المباريات.

والآن، هل يمكن للولايات المتحدة تحت قيادة دونالد ترامب، أن تفعل أكثر مما تفعله حاليا، لتحبط عزيمة المشجعين والمتابعين ووفود المنتخبات المتأهلة، من التطلع الى المشاركة في أكبر حدث رياضي عالمي؟ للأسف ربما نعم، مع تبقي شهرين على انطلاق المنافسات.

@khaldounElcheik

مجتمع

المغرب: دراسة رسمية صادمة تكشف واقع إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة

الرباط ـ «القدس العربي»: عبد العزيز بنعبو

تحوّل تخليد المغرب لمناسبة «اليوم الوطني للأشخاص في وضعية الاحتياجات الخاصة» إلى محطة للمساءلة، خاصة بعد عرض نتائج دراسة ميدانية وصفت بـ«الصادمة»، أنجزتها مؤسسة «وسيط المملكة» (مؤسسة رسمية) بشراكة مع كتابة الدولة المكلفة بالإدماج الاجتماعي والمرصد الوطني للتنمية البشرية.

الدراسة التي تمحورت حول مفهوم «الإدارة المواطنة»، وضعت الإدارات العمومية أمام امتحان حقيقي، حول مدى التزامها بقيم العدالة والكرامة. وتأتي في سياق يرفع فيه المغرب شعار «الدولة الاجتماعية» كخيار استراتيجي للمرحلة المقبلة، لتعيد ملف الأشخاص في وضعية الاحتياجات الخاصة إلى صدارة النقاش العمومي والحقوقي.

وخلال تقديمه لنتائج الدراسة، وصف وسيط المملكة، حسن طارق، وضع هذه الفئة داخل بعض الإدارات بـ«غير المرئي»، في إشارة إلى حجم التهميش الذي تعانيه. واعتبر أن هذا الوضع لا يمثل فقط خللا تقنيا، بل يؤدي أيضا إلى تراجع الثقة في المرافق العمومية، مؤكدا أن نجاح الإدارة في أداء دورها يرتبط بمدى قدرتها على خدمة جميع المواطنين بدون استثناء، وفق مقاربة قائمة على الحقوق، وليس على منطق الإحسان.

وفي كلمته خلال لقاء احتضنته مدينة سلا المجاورة للعاصمة الرباط، شدد المسؤول المغربي على أن مسألة «الولوج إلى المرافق العمومية» لا تقتصر على الجوانب التقنية أو الهندسية، بل ترتبط أساسا بحقوق المواطنة الكاملة. وأوضح أن الأرقام والإحصاءات، رغم أهميتها، لا تعكس بشكل كامل معاناة الأشخاص في وضعية احتياجات خاصة عندما يجد أحدهم نفسه غير قادر على دخول إدارة عمومية بسبب عوائق بسيطة، مثل غياب منحدر أو مصعد.

وكشفت الدراسة عن مجموعة من الاختلالات على مستوى الواقع العملي. فقد تم تسجيل تحسن نسبي في تهيئة مداخل بعض الإدارات، لكنه ظل محدودا، إذ تغيب التجهيزات الضرورية داخل المرافق، مثل المراحيض المهيأة أو الإشارات التوجيهية المناسبة. وهو ما يجعل عملية الولوج غير مكتملة، ويحد من استفادة الأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة من الخدمات بشكل فعلي.

كما أظهرت النتائج ضعفا واضحا في تأطير هذا الملف داخل المؤسسات العمومية، حيث إن 26 في المئة فقط من الإدارات تتوفر على وثائق تنظيمية خاصة بالولوج، وهي النسبة نفسها تقريبا للإدارات التي خصصت مصالح لمتابعة هذا الموضوع. ويعني ذلك أن التعامل مع قضايا الإعاقة لا يزال يعتمد في كثير من الأحيان، على مبادرات فردية، وليس على سياسة مؤسساتية واضحة ومستدامة.

وعلى صعيد التحول الرقمي، أفادت الدراسة بأن 47.5 في المئة من الإدارات تقدّم خدمات عبر الإنترنت، غير أن 10 في المئة فقط منها تراعي شروط الولوج بالنسبة للأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة. ويطرح هذا الوضع تحديا كبيرا، إذ قد تتحول الرقمنة، التي يفترض أن تسهّل الخدمات، إلى عائق جديد إذا لم يتم تصميمها بشكل يراعي مختلف الفئات.

وفيما يتعلق بالموارد البشرية، أبرزت الدراسة وجود نقص في التكوين، حيث إن 21.4 في المئة فقط من الموظفين تلقّوا تدريبا على طرق التواصل مع الأشخاص في وضعية إعاقة، مثل لغة الإشارة. ويعكس ذلك الحاجة إلى تعزيز التكوين، خاصة في ظل استمرار بعض التصورات الاجتماعية التي تنظر إلى الإعاقة من زاوية المساعدة، بدل التعامل معها كحق من حقوق المواطنة.

كما أظهرت الدراسة ضعف اللجوء إلى آليات التظلم، حيث لا تتجاوز نسبة الشكاوى المقدمة من هذه الفئة 2.11 في المئة سنويا. ولا يعكس هذا الرقم بالضرورة رضا المعنيين، بل يشير إلى صعوبات في الوصول إلى هذه الآليات، خاصة في الأرياف، إضافة إلى ضعف الثقة في فعاليتها.

وفي مقابل هذا التشخيص الرسمي، أكد الفاعل المدني عز الدين أوحنين أن موضوع الإعاقة في المغرب سيظل يراوح مكانه، ولن يعرف تحولا حقيقيا، إلا إذا فرضت التحولات الواقعية نفسها بقوة، أو جرى إخراجه من دائرة المناسباتية الضيقة التي تحصره في أيام وطنية ودولية عابرة. ويرى أن التعامل مع هذا الملف لا يزال رهين لحظات موسمية، بدل أن يتحول إلى ورش مجتمعية دائمة، قائم على إرادة سياسية واضحة ومسؤولة، تشارك فيها الأحزاب والحكومة ومختلف المؤسسات المعنية. وأضاف، في تصريح لـ «القدس العربي»، أن اليوم الوطني للأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة، رغم أهميته الرمزية، لا يعدو أن يكون مناسبة سنوية يتم خلالها استعراض الاختلالات التي تعانيها هذه الفئة، بدون أن يصاحب ذلك تفعيل فعلي للحلول. وأشار إلى أن الإدارة المغربية تظهر قدرة كبيرة على تشخيص الأعطاب وتوصيف الإشكالات، لكنها في المقابل تعاني من ضعف واضح في الانتقال من التشخيص إلى التنفيذ، وهو ما يكرّس حالة الجمود التي يعرفها هذا الملف.

وشدد أوحنين على أن الحلول ليست غائبة أو معقدة، بل هي معروفة ومتداولة، وتتمثل أساسا في الالتزام الجدي بالاتفاقيات الدولية التي صادق عليها المغرب، إلى جانب التفعيل الصارم للقوانين الوطنية ذات الصلة. ويرى أن هذا الالتزام، إذا تم بشكل فعلي، يمكن أن يشكل مدخلا أساسيا لمعالجة ما وصفه بـ«الوضعية غير السليمة» التي يعيشها الأشخاص في وضعية خاصة.

كما أشار المتحدث إلى أن غياب هذا الملف عن صلب البرنامج الحكومي يعكس محدودية الاهتمام السياسي به، رغم طابعه الحقوقي والإنساني. واعتبر أن ما تحقق من مكتسبات في هذا المجال يعود، في جزء مهم منه، إلى المبادرات الملكية، إضافة إلى الجهود المتواصلة التي يبذلها المجتمع المدني، الذي يواصل الترافع من أجل إدماج حقيقي لهذه الفئة داخل المجتمع.

وخلص أوحنين إلى أن تجاوز الوضع الحالي يقتضي الانتقال من منطق التدبير المناسباتي إلى منطق السياسات العمومية المندمجة، التي تضع قضايا الإعاقة في قلب الاهتمامات، وتتعامل معها باعتبارها جزءا لا يتجزأ من مشروع العدالة الاجتماعية والتنمية الشاملة.

محدودية أثر القوانين

من جهتها، انتقدت «الجمعية الوطنية للمكفوفين بالمغرب» ما وصفته بـ «محدودية أثر القوانين المتعلقة بالإعاقة، رغم أهميتها». وأكدت في بيان لها أن هذه القوانين لم تنعكس بشكل واضح على الواقع، بسبب غياب إرادة سياسية كافية لتفعيلها ضمن السياسات العمومية. وحسب الجمعية، فإن التعاطي الرسمي مع هذا الملف لا يزال يركز على إصدار القوانين بدون توفير شروط تطبيقها، سواء من حيث التمويل أو إصدار النصوص التنظيمية اللازمة. واعتبرت أن هذا الوضع لا يمكن تفسيره فقط بصعوبات إدارية، بل يعكس ضعفا في الالتزام بتنفيذ هذه الإصلاحات، خاصة في القضايا المرتبطة بالحياة اليومية للأشخاص في وضعية احتياجات خاصة.

كما طالبت بتقديم دعم مالي مباشر يأخذ بعين الاعتبار التكاليف الإضافية التي تتحملها هذه الفئة، إلى جانب تسريع تنفيذ برامج التعليم الدامج، من خلال توفير موارد بشرية مؤهلة ومناهج مناسبة. وفيما يتعلق بالنقل، شددت على ضرورة مراجعة التخفيضات الممنوحة، وإلغاء شرط الرافق في الحالات غير الضرورية، وتبسيط الاستفادة من بطاقات التخفيض.

ولم تغفل الهيئة مسألة التشغيل، حيث أشارت إلى وجود صعوبات تحد من تكافؤ الفرص داخل الإدارات، مطالبة بتوفير التجهيزات اللازمة، وتسهيل ظروف العمل، وتطبيق الإجراءات التي تضمن استقرار الموظفين في وضعية احتياجات خاصة بالقرب من أماكن سكنهم.

واختتمت الجمعية بيانها بالتأكيد على أن قضايا الإعاقة لا تزال تحظى باهتمام محدود ضمن السياسات الحكومية، داعية إلى الانتقال من مرحلة الإعلان عن القوانين إلى مرحلة التنفيذ الفعلي، مع إشراك الجمعيات المعنية في إعداد السياسات، والتأكيد على أن تحقيق الكرامة يتطلب إجراءات ملموسة، وليس مجرد شعارات.

أما «المنظمة المغربية لحقوق الإنسان»، فقد أكدت في بيان بالمناسبة ذاتها أن نتائج الدراسة المنجزة من طرف مؤسسة «وسيط المملكة» تعكس الحاجة إلى تغيير طريقة التعامل مع هذا الملف داخل الإدارة، مشددة على أن الولوج إلى الخدمات العمومية حق دستوري يجب ضمانه للجميع، وداعية إلى إدماج قضايا الإعاقة في مختلف السياسات العمومية بدل التعامل معها كملف منفصل.

الفجوة الإقصائية

وسبق للمجلس الوطني لحقوق الإنسان (مؤسسة رسمية) أن سجل استمرار ما وصفه بـ«الفجوة الإقصائية» بين الترسانة القانونية المتقدمة نسبيا والواقع العملي الذي يعيشه الأشخاص في وضعية احتياجات خاصة. وأوضح أنه في الوقت الذي يقر فيه الدستور المغربي ومجموعة من القوانين التنظيمية بحقوق هذه الفئة، يلاحظ المجلس أن تنفيذ هذه الحقوق على أرض الواقع ما يزال يواجه عراقيل مؤسساتية وإدارية متعددة.

وخصص المجلس حيزا وافيا للأشخاص في وضعية إعاقة ضمن تقريره السنوي الجديد، حيث قدم تقييما نقديا لواقع السياسات العمومية الموجهة لهذه الفئة. وأكد أن المغرب يعيش مرحلة مفصلية في تدبير ملف الإعاقة، تتسم بانتقال تدريجي من مقاربة تقليدية ذات طابع طبي إلى مقاربة حقوقية شمولية تستند إلى المعايير الدولية لحقوق الإنسان. فبينما كانت السياسات العمومية في السابق تنظر إلى الشخص في وضعية إعاقة باعتباره موضوعا للرعاية الطبية أو الاجتماعية، أصبح ينظر إليه اليوم باعتباره مواطنا كامل الحقوق، وأن الإعاقة ليست مجرد قصور فردي، بل نتيجة تفاعل بين هذا القصور والحواجز البيئية والمؤسساتية والاجتماعية التي تحد من المشاركة الكاملة في المجتمع.

وكانت هيئات حقوقية ومدنية مغربية استنكرت توقّف خدمة «الدعم التربوي والاجتماعي الموجهة للأطفال في وضعية احتياجات خاصة» التي كانت تشرف عليها وزارة التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة.

وحذرت من أن هذا التوقف «ستكون له تداعيات خطيرة تهدد حقوق 30 ألف تلميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة ومعهم 9 آلاف من العاملين الاجتماعيين».

وحمّلت الهيئات الحقوقية والجمعوية (المرصد المغربي للتربية الدامجة، والجامعة الوطنية للنساء العاملات في مجال الإعاقة، والمنظمة المغربية لحقوق النساء في وضعيات إعاقة، إضافة إلى الاتحاد المغربي للجمعيات العاملة في مجال الإعاقة) كامل المسؤولية لوزارة التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة وكاتب الدولة في الإدماج الاجتماعي.

برياني التونة

المكونات

عليتان من التونة المصفّاة من الزيت
ثلاث حبات بصل مفروم
حبة من الطماطم مقشرة ومقطعة
ثلاثة فصوص ثوم المدقوق
ملعقتان صغيرتان زيت نباتي
كوبان من الأرز المسلوق
عودان قرفة وملعقة صغيرة هال حب
ثماني ملاعق صغيرة من اللبن الرائب
نصف ملعقة كبيرة من: الزعتر الملحون، والنعناع الملحون، والريحان الملحون. رشّة من: بهارات السمك، والفلفل الأسود، والكركم، وجوزة الطيب، والبابريكا، ومسحوق الثوم
حبة فلفل أخضر مقطع
حبتان جزر مقطّع
نصف كوب عصير الليمون. وملعقتان صغيرتان زيت زيتون ورشّة من لون الطعام الأحمر

طريقة التحضير

نخلط كلاً من التونة، والزعتر، والريحان، والنعناع، وعصير الليمون، ومسحوق الثوم، ونحركهم. نضيف كلاً من الفلفل الأسود، وبهار السمك، والفلفل الجارّ ونحركهم، ثمّ نغطي الخليط، ونتركه جانباً حتّى يتشرب التتبيلة.

نسخّن الزيت ثم نضيف البصل، والثوم، والهيل ونحرّك. نضيف الجزر، والفلفل الرومي، والطماطم ونحرّك حتّى تذبل المكوّنات، ثم نضيف اللبن الرائب ونخلط جيداً. نضيف التونة ونخلط المكوّنات مع بعضها، ثم نرفع الخليط عن النار

ونتركه جانباً. نضع نصف مقدار الأرز في صينية مخصّصة للفرن، ثم نضيف نصف مقدار خليط التونة إليه. نضيف المقدار المتبقي من الأرز، والمقدار المتبقي من خليط التونة. نضيف زيت الزيتون، ولون الطعام الأحمر على وجه البرياني، ثم نغطيه بورق المنيوم، وبعدها ندخله إلى فرن متوسّط الحرارة لمدّة عشرين دقيقة أو حتى ينضج تماماً، ثمّ نقدمه إلى جانب السلطة أو اللبن الرائب.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

تغيير التوقيت قد يؤدي إلى نوبة قلبية... كيف تتجنب ذلك؟

ميراي الجراح

تغيير الساعة لا يعني فقط أنك ستنام ساعة إضافية أو تفقد ساعة من يومك، هذا التغيير الذي يبدو بسيطاً له أثر كبير على صحة جسمك، قد يصل إلى خطر الإصابة بنوبة قلبية أو الاكتئاب. لماذا.. وكيف تساعد جسمك على تجنب هذه المخاطر؟

تغيير التوقيت يخلّ بنظام النوم وبساعتك البيولوجية، وهو ما يؤثر على صحتك بشكل كبير، إذ يخضع نوملك لدورات مدتها 24 ساعة، تُعرف باسم «الإيقاعات اليومية»، تعتمد بشكل كبير على دورات الضوء والظلام الطبيعية لتعزيز النوم الصحي، بحسب ما كتب ساروسان كوجاراجاه، كبير أخصائيي فسيولوجيا النوم السريرية، مستشفى كروموميل، في مقاله في موقع «بوبا» البريطاني للخدمات الصحية.

وأول ما تلاحظه عند تغيير التوقيت هو تغييرات في موعد النوم والاستيقاظ، يرافقه اختلاف في مستوى يقظتك صباحاً أو شعورك بالتعب ليلاً، بالإضافة إلى ازدياد الشعور بالوحدة والقلق وصعوبة في التركيز واتخاذ القرارات.

ويقول كوجاراجاه إن سلبيات تغيير الساعة لا تتوقف عند تغيير نظام نومك فحسب، بل قد يؤدي إلى زيادة الشعور بالعصبية، وقد يزيد من مخاطر ارتفاع ضغط الدم والإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية، ويمكن أن يفاقم من المشاكل الصحية الموجودة أصلاً.

كما أشارت أبحاث سابقة إلى أن تغيير التوقيت يزيد من مخاطر الإصابة بنوبة قلبية ويزيد من احتمالية حوادث السيارات، ويختلف تأثير ذلك باختلاف نوع التغيير، فآثار تقديم الساعة على الجسم تختلف عن آثار تأخيرها عليه، بحسب هيئة الإذاعة البريطانية «BBC».

ووجد باحثون في الولايات المتحدة أن عدد الأشخاص الذين تم إدخالهم إلى المستشفى بسبب نوبة قلبية ارتفع بنسبة 24 بالمئة يوم الاثنين التالي لتقديم الساعة، وهي نتائج مشابهة توصلت لها أبحاث في أماكن مختلفة، وأظهرت دراسة أخرى أن عدد السكتات الدماغية يزداد في الأسابيع التي تلي تقديم الساعة مباشرة.

ليس هذا فحسب، بل إن تقديم الساعة يعني ازدياد عدد حوادث السير بنسبة 6 في المئة، كل ذلك بسبب فقدان ساعة نوم إضافية.

وبحسب هيئة الإذاعة البريطانية السبب في ذلك هو أن تقديم الساعة في الربيع يعني زيادة ساعات النهار في المساء ساعة واحدة، وهو ما يؤثر على إنتاج الميلاتونين؛ هرمون النوم، ويجعل النوم أكثر صعوبة، وهو ذاته ما يعني ساعة ظلام إضافية في الصباح، أي أنك ستستيقظ قبل أن تتاح لك فرصة الاستيقاظ بشكل طبيعي.

أما تأخير الساعة في فصل الخريف وحصولك على ساعة نوم إضافية فيزيد من مخاطر الإصابة بنوبة اكتئاب، وبالفعل ارتفعت حالات نوبات الاكتئاب الحاد في أوقات تأخير الساعة بنسبة 11 في المئة وفقاً لـ«BBC».

ومع أنك تكسب في المتوسط 33 إلى 40 دقيقة نوم إضافية فقط يوم الأحد التالي لتأخير الساعة إلا أن فقدان النوم يستمر لبقية الأسبوع.

وينصح كوجاراجاه أخصائي فسيولوجيا النوم السريرية بيده تغيير الروتين بشكل تدريجي قبل موعد تغيير الساعة، وذلك من خلال تعديل جدول نومك، والذهاب إلى الفراش قبل 15 إلى 20 دقيقة كل يوم.

وينصح أيضاً بالحفاظ على نفس روتين النوم قبل فترة جيدة من تغيير الساعة، ويتضمن ذلك تجنب شرب المشروبات التي تحتوي على الكافيين قبل ست ساعات من موعد نومك على الأقل، والتقليل من الضوضاء أو مصادر الضوء غير المرغوب فيها في غرفة النوم.

وابتعد قدر المستطاع عن استخدام الشاشات والأجهزة اللوحية قبل النوم بنصف ساعة، كما أن ممارسة اليوغا وتمارين الاسترخاء والتنفس العميق تساعدك على الاسترخاء وإفراز هرمون الميلاتونين.

أما خلال ساعات النهار فيُنصح بقضاء وقت أطول في الهواء الطلق، إذ يساعد ضوء الشمس الطبيعي على تنظيم إيقاعك البيولوجي ويحسّن مزاجك.

(DW)

الحمل

تواجه تراجعاً لافتاً في عملك

الثور

حاول أن تتجنب صراعات العمل

الجوزاء

لا يمكنك التنبؤ بما يحدث دائما

السرطان

لا تضغط على الشريك

الاسد

تحتاج إلى هدنة للتفاهم مع الاصدقاء

العذراء

تتمتع بإرادة صلبة تعينك معنويا

الميزان

انتبه من حسد بعض الزملاء

العقرب

تستعيد نشاطك بعد تعافيك من وعكة

القوس

استقرار في حياتك العملية

الجدي

تسمع أخبارا سارة من زملائك في العمل

الدلو

تحقق لك بعض الأحلام شيئاً من السعادة

الحوت

قد تلتقي عبر صديقا مهنيا باقيا

جديد الطب

اختبار جيني يقلّص فجوة النجاة من سرطان الثدي على أساس العرق

أُجريت دراسة في الولايات المتحدة لتقييم أثر الاختبارات الجينية المتقدمة على سرطان الثدي، وأظهرت أنها قد تقلص فجوة واضحة في معدلات النجاة بين المريضات من ذوات البشرة السوداء والبيضاء. فكيف جاءت النتائج؟

وأظهرت دراسة جديدة أن اختبارات جينية متطورة قد تسهم في تقليص تفاوت واسع في معدلات النجاة من سرطان الثدي بين مريضات من ذوات البشرة البيضاء، وأخريات من ذوات البشرة السوداء، في الولايات المتحدة.

وأثبتت الدراسة أن مريضات ذوات بشرة سوداء في الولايات المتحدة سجلن حالياً معدلات وفيات أعلى بنحو 40 في المئة مقارنة بذوات البشرة البيضاء رغم أن معدل إصابتهن بالمرض أقل بنحو خمسة في المئة.

ومع إجراء اختبارات جينية على عينات أورام أكثر من ألف سيدة لا يزال المرض لديهن في مرحلة مبكرة، استنتج الباحثون أن المريضات من ذوات البشرة السوداء هن الأكثر عرضة للإصابة بأورام عالية الخطورة لا ترصدها عادة الفحوص والاختبارات المعيارية المتبعة للمؤشرات الحيوية مثل مستقبلات الإستروجين. ويؤدي ذلك إلى عدم تقديم العلاج والتدخل المناسب، مما يفضي إلى نتائج أسوأ.

وأظهرت الدراسة المنشورة في دورية «إن. بي.جيه بريست كانسر» أن إخضاع تلك الأورام لأدوات تحليل بصمة جينية متاحة بالفعل تجاريا، وتلقي المريضات الرعاية الصحية المناسبة يتيح للمريضات من ذوات البشرة السوداء تحقيق النتائج «الممتازة» نفسها التي سجلتها النساء ذوات البشرة البيضاء بعد ثلاث سنوات. وطبّق الباحثون اختبارات جينية لتصنيف الورم باستخدام اختبارين من شركة أجنديا هما: (مامابرنت) و(بلوبرنت)، وذلك لتقسيم أورام المراحل المبكرة إلى فئات هي: منخفضة الخطورة جداً، منخفضة، مرتفعة آ، ومرتفعة 2، وهي فئات تعطي مؤشرات على خطر انتشار الورم في الجسم خلال السنوات العشر المقبلة، كما تساعد هذه النتائج في تحديد مدى ضرورة العلاج. وخلص الباحثون إلى أن معدلات النجاة خلال ثلاث سنوات دون عودة المرض ترتبط بالنوع الجيني الفرعي للورم، وليس بالعرق. وأظهرت الدراسة أن المريضات المصابات بأورام عالية الخطورة زادت لديهن الاحتمالات المتعلقة بانتشار الأورام السرطانية لمواضع أخرى في الجسم بمقدار خمسة أو عشرة أمثال عن المريضات المصابات بأورام منخفضة الخطورة بغض النظر عن العرق.

ولاحظ الباحثون في الدراسة أن نحو نصف المريضات المصنفات في البداية بالإصابة بأورام منخفضة الخطورة تبين أنهن مصابات بنوع أكثر خطورة من الأورام بناء على تفصيل للملامح الجينية للورم.

وقالت الدكتورة أندريا مينيكوتشي من شركة أجنديا المشاركة في الدراسة إن هذه النتائج تشير إلى أن «إجراء الاختبارات الجينية للأورام لجميع المريضات قد يساعد في اتخاذ قرارات العلاج، بما يسهم في نهاية المطاف في تقليص تفاوت على أساس العرق في معدلات النجاة بين المريضات المصابات بسرطان الثدي من ذوات البشرة السوداء.

دراسة: اليوغا هي الطريقة الأفضل لتحسين النوم

لندن ـ «القدس العربي»:

قال علماء مختصون إن اليوغا هي الرياضة الأفضل لمن يرغب بتحسين نوعية النوم بشكل ملحوظ، ويحظى بقسط أفضل من الراحة يومياً.

ووجدت دراسة علمية متخصصة أن ممارسة رياضة «اليوغا» تؤدي إلى تحسين نوعية النوم لدى الإنسان على المدى الطويل، وهو ما من شأنه أن يزيد من الراحة اليومية للشخص ويُحسن من صحته العامة.

واعتمدت الدراسة التي نشرها موقع «ساينس أليرت» واطلعت عليها «القدس العربي» على تحليل تجميعي لثلاثين تجربة عشوائية مضبوطة.

ووجدت الدراسة أن ممارسة اليوغا بانتظام وبكثافة عالية ترتبط ارتباطاً أقوى بتحسين النوم مقارنة بالمشي، وتمارين المقاومة، والتمارين المركبة، والتمارين الهوائية، أو التمارين الصينية التقليدية.

وشمل التحليل تجارب من أكثر من 12 دولة، وشارك فيها أكثر من 2500 شخص يعانون من اضطرابات النوم من مختلف الفئات العمرية.

وعندما قام باحثون في جامعة «هارفين» الرياضية في الصين بتحليل البيانات، وجدوا أن ممارسة اليوغا بكثافة عالية لمدة تقل عن 30 دقيقة، مرتين أسبوعياً، هي أفضل علاج رياضي لاضطرابات النوم.

وجاء المشي في المرتبة التالية كثاني أفضل أنواع النشاط البدني، يليه تمارين المقاومة، فيما لوحظت نتائج إيجابية في غضون ثمانية إلى عشرة أسابيع فقط.

وتتعارض النتائج المنشورة عام 2025 إلى حد ما مع تحليل تجميعي أُجري عام 2023، والذي وجد أن ممارسة التمارين الهوائية أو التمارين متوسطة الشدة ثلاث مرات أسبوعياً هي الطريقة الأكثر فعالية لتحسين جودة النوم لدى الأفراد الذين يعانون من اضطرابات النوم.

ومع ذلك، أشارت إحدى الدراسات المشمولة في ذلك التحليل إلى أن لليوغا تأثيرات أكبر على جودة النوم مقارنةً بأنواع التمارين الأخرى.

وعلاوة على ذلك، يصعب تصنيف اليوغا ضمن التمارين الهوائية أو اللاهوائية، حيث تختلف شدتها باختلاف التقنية المستخدمة. وربما تُفسر هذه الاختلافات في الممارسة سبب اختلاف النتائج من تجربة إلى أخرى، حيث لا يُفسر التحليل التجميعي الأخير سبب كون اليوغا مفيدة بشكل خاص للنوم.

ولا تقتصر فوائد اليوغا على رفع معدل ضربات القلب وتقوية العضلات، بل تُساعد أيضاً على تنظيم التنفس. وتشير الأبحاث إلى أن التحكم في التنفس يُنشط الجهاز العصبي اللاودي، المسؤول عن الراحة والهضم، فيما تشير بعض الدراسات إلى أن اليوغا تُنظم أنماط نشاط موجات الدماغ، مما قد يُعزز النوم العميق.

لكن على الرغم من وجود أدلة قوية تُشير إلى أن التمارين الرياضية بشكل عام مفيدة للنوم، إلا أن الدراسات التي تُقارن بين تمارين مُحددة وآثارها طويلة المدى لا تزال قليلة، بحسب ما يؤكد تقرير «ساينس أليرت».

وقال الباحثون في جامعة هاربين الرياضية: «يجب توخي الحذر عند تفسير نتائج الدراسات المتعلقة باضطرابات النوم، نظراً لقلة عدد الدراسات المُدرجة والخصائص الفريدة للأفراد الذين يُعانون من اضطرابات النوم». ويُضيفون: «هناك حاجة إلى مزيد من البحوث عالية الجودة لتأكيد هذه النتائج».

ويقول العلماء إن أجسامنا وأدمغتنا تختلف، ولا يوجد حل واحد مُناسب للجميع لعلاج الأرق أو اضطرابات النوم الأخرى، حيث قد يكون التعرّق على بساط اليوغا أحد الخيارات الرياضية المُتاحة، لكن ليس شرطاً أن يكون هذا هو الحال بالنسبة للجميع.

وخلص الباحثون إلى أن: «شمل هذا البحث تحليلاً شاملاً لـ30 دراسة قيّمت بشكل منهجي تأثير أنظمة التمارين الرياضية المُختلفة على تحسين جودة النوم لدى الأفراد الذين يُعانون من اضطرابات النوم باستخدام تقنيات التحليل التلوي الشبكي».

وتشير النتائج إلى أن برنامج تمارين اليوغا، الذي يُمارس مرتين أسبوعياً لمدة 8 إلى 10 أسابيع، لمدة لا تتجاوز 30 دقيقة لكل جلسة، وبكثافة عالية، هو الأسلوب الأمثل لتحسين جودة النوم لدى الأفراد الذين يعانون من اضطرابات النوم.

منوعات

«لأنها فلسطين»:
سينما الموقف وكشف تناقضات الديمقراطية الغربية

القاهرة ـ «القدس العربي»: فايزة هنداوي

تؤدي السينما التسجيلية في الوقت الحالي دوراً جوهرياً كأداة لتفكيك الواقع ومواجهة الروايات المضللة التي حاولت القوى المهيمنة احتكارها زمناً طويلاً. ومع تزايد الصراعات الأخلاقية التي تهز أركان النظام الدولي، تظهر الحاجة إلى أعمال فنية تخرج عن الرصد التقليدي لتعمق النظر في جوهر التحولات القيمية والسياسية. وفي هذا الإطار، يبرز فيلم «لأنها فلسطين» للمخرجة والمنتجة دينا أبو زيد، ليقدم قراءة سينمائية وفكرية دقيقة تمنح المشاهد فرصة معاينة التغيرات الجذرية في الضمير الإنساني خلال القرن الحادي والعشرين، موضحاً كيف صارت القضية الفلسطينية بوصلة أخلاقية تُقاس بها نزاهة المبادئ حول العالم.

الفن كفعل معرفي مقاوم

يعتمد الفيلم رؤية تجعل الفن وسيلة لحماية الحقيقة من محاولات التزييف المنظم للذاكرة الجماعية، مبتعداً عن القشور ليختار الغوص في أعماق التكوينات النفسية والسياسية لما يمكن أن نطلق عليه مثلث «التضامن والقمع والوعي». المخرجة دينا أبو زيد، صاغت لغة تعبيرية تدمج الرصانة البحثية بالحس الإنساني، محولة العمل الفني إلى أداة نضالية استطاعت وضع المشاهد في قلب الحراك الطلابي في الولايات المتحدة الأمريكية المناهض لحرب الإبادة في غزة.

ومن خلال التركيز على قصص طالبات خضن تجربة المواجهة المباشرة، يبرز الفيلم الحركة الطلابية كجبهة أمامية للاشتباك مع منظومات الإسكات، حيث غدت الحكايات انعكاسا لصراع أوسع بين قيم التحرر وأدوات القهر الاستعمارية.

سقوط الأقنعة وانكشاف القمع الأكاديمي

هذا الاشتباك المعرفي يقودنا مباشرة إلى رصد الاستجابة العنيفة للمؤسسات الجامعية والأمنية الأمريكية تجاه الطلاب المعتصمين، فالمشاهد التي تظهر دخول قوات الشرطة إلى جامعات عريقة مثل «كولومبيا» و«نيويورك»، تمثل إعلاناً صريحاً عن نهاية الشعارات الليبرالية التي طالما نادت بحرية التعبير. كشف الفيلم أن «الأمان الأكاديمي» في هذه الحصون صار مشروطاً بالسكوت عن الجرائم، وأن ساحات العلم غدت ثكنات عسكرية فور مساس الحوار بالمصالح السياسية الداعمة للاحتلال. هذا التناقض الصارخ يوضح أن الديمقراطية في تلك المجتمعات تقف عاجزة أمام سطوة المانحين، وبذلك يغدو الفيلم سجلاً تاريخياً يوثق الانتهاكات ويؤكد خضوع الجامعات لإملاءات القوى التي تتربح من المجمع الصناعي العسكري.

ضريبة الموقف: انتهاكات تتجاوز أسوار الجامعة

تتجسد قسوة هذه التبعية المؤسسية في سلسلة الانتهاكات الممنهجة التي وثقها العمل ضد الطلاب، حيث تحولت فضاءات التعلم إلى مسارح للقمع الجسدي والمعنوي. لم تكتف الإدارات الجامعية بفتح الأبواب لقوات الأمن لفض المخيمات بالقوة المفرطة واستخدام أدوات الترهيب، لكنها امتدت لتطال البنية المعيشية والأكاديمية للمتظاهرين؛ فشملت قرارات تعسفية بالفصل وصولاً إلى الحظر من دخول المكتبات وحضور الامتحانات النهائية. كما تعرض النشطاء لحملات ملاحقة رقمية منظمة تهدف إلى وضع أسمائهم في قوائم سوداء تمنع توظيفهم مستقبلاً، بالتوازي مع تهديد الطلاب الأجانب بإلغاء تأشيراتهم وترحيلهم القسري. هذه الإجراءات العقابية لم تهدف فقط لفض اعتصام، بل سعت إلى كسر إرادة جيل كامل وجعل ثمن التضامن مع فلسطين كلفة وجودية تمس المستقبل الشخصي والمهني، مما عرّى الطبيعة القمعية لمنظومات تدعي حماية الفكر الحر بينما تمارس أقصى درجات التضييق على الضمير الحي.

امتداد النضال: من فيتنام إلى غزة

هذا الثمن الباهظ الذي يدفعه طلاب اليوم يستحضر مقارنة تاريخية حتمية مع انتفاضة الجامعات ضد حرب فيتنام عام 1968. ورغم تشابه المشاهد في قمع الطلاب واحتلال الميادين الأكاديمية، مع وجود تحول جوهري في طبيعة الوعي؛ فحراك فيتنام انطلق أساساً من رفض الطلاب إرسالهم للموت في حرب خارجية، بينما يوضح الفيلم أن حراك فلسطين يرتكز على «المسؤولية الأخلاقية» المطلقة ورفض التواطؤ في إبادة شعب آخر. هذا الانتقال من «المصلحة الذاتية» إلى «الوعي الكوني» يمنح الحراك الحالي تفردا تاريخيا، حيث أصبح الطالب الأمريكي يرى في كفاحه من أجل غزة معركة لاستعادة إنسانيته المختطفة من قبل نظام يدعم الفصل العنصري، وهو ما يفسر حدة الانتهاكات التي تهدف لإخماد هذا الوعي العابر للحدود.

أصوات يهودية تحطم احتكار الرواية

هذا الوعي الكوني يكتمل بتقديم ثلاث شخصيات يهودية يعلنّ رفضهن المطلق للممارسات الصهيونية، وهو ما يمثل رداً قاطعاً على محاولات حصر القضية في إطار ديني أو عرقي. وجود اليهود داخل الحراك التضامني يفند الادعاءات التي تستخدم تهمة «معاداة السامية» كدرع لحماية السياسات القمعية، ويكتسب هذا الحضور ثقلاً أخلاقياً كبيراً بوجود ناجية من أهوال الهولوكوست تختار بوعي تشبيه ما يقع في غزة بما عاينته من فظائع في الماضي. هذا الموقف يضع الضمير العالمي أمام مرآة كاشفة، ويؤكد أن القيم الإنسانية وحدة واحدة، وأن الألم البشري ينعدم فيه التمييز أمام الظلم المنظم، مبيناً أن العدالة تظل المطلب الأسمى الذي يجمع الأحرار مهما اختلفت مشاربهم.

فلسطين كمركزية عالمية للعدالة

بناءً على هذه الشهادات، يعالج الفيلم عودة القضية الفلسطينية كأهم قضية تحرر وطني، مدفوعة بوعي جيل جديد يرفض السرديات الجاهزة في الإعلام التقليدي. إن اتساع الاحتجاجات لتشمل مئات الجامعات يبرهن على فشل محاولات تغييب الحق الفلسطيني طوال العقود الماضية، يعود هذا الزخم إلى تدفق المعلومات عبر وسائل التواصل الاجتماعي التي حطمت احتكار الرواية الصهيونية. ومع تحول معاناة الإنسان في غزة إلى حدث يشهده طالب نيويورك فور وقوعه، تخرج القضية من إطارها الجغرافي لتصبح محوراً لحركة عدالة كونية شاملة، يربط فيها الطلاب بين كفاحهم من أجل فلسطين ومعاركهم المحلية ضد التمييز والتهميش.

جماليات المشرط وتشخيص أزمة النظام الدولي

تعتمد دينا أبو زيد أسلوب السينما المباشرة لتعزيز هذه الرؤية، فتتبع الكاميرا شخوص العمل في لحظاتهم الإنسانية، مما يمنح العمل مصداقية بعيدة عن المبالغات. يؤدي المونتاج دور المشرط الذي يفضح التناقضات؛ فنرى لوحة ترفع شعار الحرية وحقوق الإنسان، وفي لقطة موازية نرى الطالب يقتاد بالأصفاد، هذا التوظيف الذكي يذهب بالفيلم بعيداً ليشخص أزمة النظام الدولي، حيث أضحت فلسطين المختبر الذي يمتحن صدق القوى الكبرى في ادعاءاتها حول حقوق الإنسان. يمثل الحراك الطلابي صعوداً للفاعلين غير الرسميين الذين يمارسون دبلوماسية شعبية تؤثر في مراكز القرار، مؤكدين أن الضغط الاقتصادي وسحب الاستثمارات هما اللغة التي تفهمها المؤسسات الرأسمالية الداعمة للاحتلال. بهذه الرؤية وهذا التناول يمثل الفيلم دعوة مفتوحة لكل إنسان حر للانحياز لقيم الحق والكرامة، مؤكداً أن التاريخ يكتبه الصادقون الذين امتلكوا جرأة التصدي للظلم رغم التكاليف الباهظة. وتنجح دينا أبو زيد في التأكيد على أن فلسطين تظل المبتدأ والخبر في كل حديث عن العدالة، وأن سرد الحقيقة هو الكفيل بهدم جدران التمييز الأيديولوجي، ليبقى الحقيقة هي المنتصر الأخير في معركة الوجود والإنسانية.

يوميات الفنانين والشعراء في الحروب الكبرى التي نحياها... بين صلابة كضرورة بيولوجية و«وحده إله قادر أن ينقذنا»

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

سؤال وحيد وجّهته «القدس العربي» لمجموعة مؤثرة من الفنانين والشعراء، أتى من وحي ما يحيط بنا من حرب بلا ضوابط. حرب يقودها مرضى تتشابك لديهم بلا شك جملة من الأمراض النفسية، أقل تلك الأمراض جنون العظمة، والتمسك بالامتيازات التي تتيحها لهم مواقعهم، مبعدين عن أسمائهم ولو لبعض الوقت مساءلات حول تُهم عن أقذر ما يمكن أن يكونه بشر من انحطاط.

قصف بمختلف أنواع الأسلحة الفتّاكة يطال العائلات في أماكن احتمائها. حرب لم تنته في غزّة ويتواصل التطهير العرقي، والذي ارتقى بأهدافه الصهيونية الواضحة ليكتسب صفة إبادة. إبادة مستمرة فصولاً وبمختلف الأنواع سواء بالقتل بالرصاص أو القذائف، أو بالقتل تجويعاً، وبرداً، ومنعاً للعلاج والدواء. وبعض العالم الشريك في الجريمة عائم على اختراع سمّاه «قائد السلام العالمي» زوراً بـ«مجلس السلام». خَفَت صوت العالم فيما خصّ غزّة هاشم، وبات منشغلاً بالأزمات العالمية غير المسبوقة التي استولدها العدوان الكبير على إيران ولبنان، والذي طالت شظاياه دول المنطقة كاملة وخاصة دول الخليج.

حرب كبرى تكاد تقترب لتكون عالمية نظراً لرقعتها الجغرافية الواسعة جداً، في تأثير النار المباشر، وكذلك في الأثر الاقتصادي الذي شمل الكرة الأرضية برمتها. فهل للفرد أن يتابع يومياته من دون أن ينشغل من قريب أو بعيد بتفاصيل ما يجري؟ وبدون أن يبحث في مآلات الحرب المستقبلية، وما ستفرزه من تداعيات، وما ستحدده من تغيير على مستويات عدّة؟

سؤال «القدس العربي»: «كيف تعيشين أو تعيش أياماً متفجّرة وقاسية تشهدها منطقتنا العربية في هذه الحرب الكبرى؟

رائدة طه: الحرب قبح مُطلق والحق لا يمنح طوعاً

● الكاتبة والممثلة والمخرجة رائدة طه: لا يملك الفنّان في الحرب ترف الانسحاب. ورثته من دون أن تختاره ونصفه الآخر عشته حتى صار جزءاً من طريقة نظرك للعالم. تصبح الصلابة لا فضيلة، بل ضرورة بيولوجية للبقاء. الحرب، في جوهرها، قبحٌ مطلق لكنها، حين تُساق باسم الحرية، تُربك المعنى: كيف يمكن للدم أن يكون طريقاً للنور؟ وكيف يمكن للخراب أن يدّعي العدالة؟ ومع ذلك، تبقى في وعي من يعيشها، وسيلةً قاسيةً لانتزاع حقّ لا يُمنح طوعاً. أما أنا فأعيش على حافة التناقض: أعمل كأن للحياة امتداداً.. وأحزن كأن الفقد قانون.. وأبتهج كأن الأمل خطأ جميل..أتأقلم.. ثم أضجر من هذا التأقلم، كأن الروح ترفض أن تعتاد ما لا ينبغي أن يُعتاد. قلما أنام ليسٍ لأن الليل صاخب، بل لأن الداخل أكثر ضجيجا. أحلم في يقظتي، كأن الحلم لم يعد يثق بالنوم وأنتظر، أقاوم الانتظار أجرّه من عنقه كل صباح وأتركه يتعثّر خلفي كظل ثقيل فأنا لا أحبّ الانتظار.

جوزيف عيساوي: وحده إلهٌ ينقذنا؟ ومن لم يولد فقد نجا

● نثر الشاعر جوزيف عيساوي إجابته عبر محطات، وكتب:

1–مطرٌ وهدير الطائرة الحربيّة. النوم ملفٌ مبعثر. ترعد على شكل صاروخ: هي الطبيعة التقنية، بدون أيّ وجهة حقيقيّة لقيادتها نحو رعاية الكينونة كملكوت (Ereignis) لا نملكه بل يملكنا، ككائنات لا قدرة لها على امتلاك قدَرها.

2–الآن وشتاء نـوريّ أو ما يماثله على الأبواب، من قنابل هائلة الفتك، هيدروجينيّة وكهرومغناطيسيّة، مدموجة بتكنولوجيا الفضاء وبرامج الذكاء الاصطناعيّ، تعود عبارة مارتن هايدغر «وحده إله قادرٌ أن ينقذنا» قالها لـ«دير شبيغل» العام 1966، لا يأساً من القادة والزعماء والديمقراطيّة وحسب، بل

لوحة أسامة بعلبكي
أكريليك على قماش 130/115 سم/2025

كما يكتب فتحي المسكيني بسبب «ضلال كامن في ظاهرة عالميّة هي إلغاء الإنسان بجوهر التّقنية، بدون أيّ وجهة حقيقيّة لقيادتها نحو رعاية الكينونة كملكوت (Ereignis) لا نملكه بل يملكنا، ككائنات لا قدرة لها على امتلاك قدَرها.

3–انها تمطر هذا المساء، الأرض المكلومة تسأل الشتاء عن الله: أأنت من لدُنه، ينهمر بقوّة. في العراء يبيتون، يسأل الناس السبل عن الإله، تقصف الرعود خيمهم، تحرقها. في البيت اسأل السماء عن الله، اسمعُ الصمت: أنا هو، من يصلّي يغرز في خاصرتي اللغات. أيّها الصمت، سنصمت لنقترب من هواك، لكن قل تلك التي أعيشها في الأيام العادية. في التاريخ البشري فترات الحروب طويلة، المهم ما تنتجه تلك الحروب، فجر جديد، إرادة جديدة؟ هنا المهم. كذلك أن لا يستكين أحدنا لإحساس عدمي لا بناء فيه ولا تأسيس من جديد. إنها الإرادة التي تنهض في زمن الحروب وفي مواجهة عدو كعدونا يدعي التمدن وهو رداء لوحشيته الدّفينة. ومن المهم لمنطقتنا رغم القصور الحضاري الذي تعانيه من تخلّف في النظم، أن نظهر فطرتنا وحرارتنا الإنسانية إزاء توحش علمي وبارد يدعي الأخلاقية. من المهم أن نحافظ على مشاعرنا العالية وعلى أخلاقيتنا. كل هذا أعيشه ويشغل تفكيري خلال الحروب وخاصة هذه الحرب واهتم بالحفاظ على عزلتي وبقاء تفكيري فنحن في لحظة مشدودة تتطلب من الفرد إدارة أعصابه.

أسامة بعلبكي: لا أستكين لإحساس عدمي لا بناء فيه ولا تأسيس

● الفنان التشكيلي أسامة بعلبكي: في زمن الحروب والمصائب الكبرى يرتفع لدى الفرد منسوب غريزة البقاء. يتبدل نوع الحياة ويتولد استنفار مشاعري خاص يؤدي للنأي بالنفس عن تفاصيل محددة كانت في الأيام العادية بديهية أو مملة. في قضية كما صراعنا مع الصهيونية يفترض الحفاظ على الإحساس بالمواجهة فيما يمتلئ الزمن بما هو ملحمي. تتعايش البطولات مع التعاسات ومع المواقف الضعيفة. هو زمن متخالط يستولد نغمة عالية الوتيرة، حماسية أحيانا كثيرة أحياناً أخرى. يتحسس أحدنا مشاعره حيال الناس، يشعر بأهل وطنه وكأنهم عائلة، هذا المنسوب يرتفع كثيراً. من جهتي أراقب الأمور من موقع الشاعر أو المؤرخ. أسعى في حالات الحروب كما هذه التي نعيشها أن احتفظ بهدوء أعصابي وبنقاء التفكير. أتقطع نسبياً عن الأخبار وعن سيل المعلومات الجارف والمتضارب، معلومات بين مزيف وحقيقي تتلف الروح. في أدائي اليومي كفنان أفضل اللجوء إلى مخيلة متصلة بالكتب وتكثيف القراءات، يزداد إنتاجي اليدوي وأتحفز له أكثر. الواقع يبقى حاضراً في أعمالي بأن تنتصر شعوبنا، إنما عملي يتخذ نهج الإنتاج الحدثي الداخلي، بعيداً عن التواطؤ مع اللحظة. لا أمتثل لها ولا أنتهزها، ما أعيشه يعتمل في داخلي، وسيخرج في زمن آخر بدون شك. الخمول مقابل الشاشة أجده سماً بحدود ما.. اشعر بطاقة إنتاج أكبر من تلك التي أعيشها في الأيام العادية. في التاريخ البشري فترات الحروب طويلة، المهم ما تنتجه تلك الحروب، فجر جديد، إرادة جديدة؟ هنا المهم. كذلك أن لا يستكين أحدنا لإحساس عدمي لا بناء فيه ولا تأسيس من جديد. إنها الإرادة التي تنهض في زمن الحروب وفي مواجهة عدو كعدونا يدعي التمدن وهو رداء لوحشيته الدّفينة. ومن المهم لمنطقتنا رغم القصور الحضاري الذي تعانيه من تخلّف في النظم، أن نظهر فطرتنا وحرارتنا الإنسانية إزاء توحش علمي وبارد يدعي الأخلاقية. من المهم أن نحافظ على مشاعرنا العالية وعلى أخلاقيتنا. كل هذا أعيشه ويشغل تفكيري خلال الحروب وخاصة هذه الحرب واهتم بالحفاظ على عزلتي وبقاء تفكيري فنحن في لحظة مشدودة تتطلب من الفرد إدارة أعصابه.

ميراي بانوسيان: كيف ننأى عن الحرب والنازحون في الطرقات والخيم؟

● الممثلة ميراي بانوسيان: أظنني أعيشها كما جميع اللبنانيين الذين تكررت في حياتهم الحروب. في عمر صغير وبعيداً عن المسؤوليات نعيش ظروف الحرب بوتيرة مختلفة. رافقت الحروب حياتي كما غيري من اللبنانيين من المدرسة وصولا إلى الجامعة، وما بعدهما، حروب نعيشها وفقاً للمرحلة واختلافها. هذه الحرب خلطت الأوراق كما سابقتها خاصة مع الأمومة حتى وإن بلغ الأولاد سن الرشد. أعيش مع إبنتي في لبنان، وولداي في بلجيكا يصرّان أن نلتحق بهما في هذه الظروف، لكني أشعر بأن حياتي هنا وطريقة دفاعي عن وطني بأن أبقى على أرضه، وأكمل عملي الفني، فالفن ضد الحرب وضد الموت، واستمراره هو نوع من المقاومة لنتمكن من الاستمرار في هذا البلد، ولنؤكد أنه مهما كانت قوتهم التدميرية، فهم لن يستطيعوا تدمير إبداعنا ولا فكرنا، ولن تحول قوتهم التدميرية من منع كلمتنا على المسرح أو تقزيمها. في يومياتي كممثلة أواصل مهمتي التعليمية ليوم واحد أسبوعياً في طرابلس.

من دون شك تترك الحروب الكبرى كهذه أثراً على مسار الحياة اليومي وانتظامها. ليس لأي منا تجاهل مشاهد النازحين على الطرقات وفي الخيم البلاستيكية في الساحات. كل من يحمل ذرّة إنسانية لن يكون بمنأى عن التأثر، وكل من يستيقظ ليشكر ربه يومياً بأنه ما زال ينام تحت سقف منزله، ومع ذلك فإن مشاعر عدم الأمان التي يعيشها الآلاف من أهل الوطن تنعكس بدون شك عدم أمان على الجميع، فهم أهلنا وجزء منّا. مهنياً كنت قد بدأت دورة تدريبية قبل الحرب في مسرح المدينة، الأستاذ حسن صادق يدرّب على السينوغرافيا، وأتولى تمارين التمثيل. ونحن بصدد نص عنوانه «الله جبر» مقتبس من ارسطوفان «نساء البرلمان» يعالج انقلابات السلطة، ودور الشعب الذي يرفع مطالبه ساعياً لحقوقه. في هذا النص نُعبّر عن بلد يُدخلونه في أتون الحروب، فنحن في لبنان وكأن العين علينا، مرّت علينا الكثير من الجيوش، ومنذ سنوات وإسرائيل تواصل حروبها. نحن في حروب لا تتوقف ونحن كمجموعة مدربين ومتدربين نجد متنفساً حقيقياً بنزولنا إلى المسرح. حينها ننجح بالانفصال عن الواقع جميعه ونعبّر عن ذاتنا حيال مستجدات الحياة وما يحصل في هذا العالم، فما نقوم به نوع من المقاومة الثقافية الفنية.

زياد الأحمدية: قلق عام ومستقبل البشرية على المحك

● المؤلف وعازف العود والمؤدي زياد الأحمدية: مع إلغاء التعليم الحضوري في الجامعة نتيجة تشتت إقامة الطلاب في غير منازلهم، بات التعليم أونلاين. نعطي المحاضرات بما لا يرهق كاهل الطلاب في ظروف غير مستقرّة. نسبة محدودة من الطلاب تتابع الدراسة عن بعد، ويبقى دورنا تشجيعهم للتمسك بسلاح العلم، وأن لا يستسلموا للواقع. ومن لا تسمح لهم ظروفهم بالمتابعة عن بعد يمكنهم الإطلاع على المحاضرات مسجلة عبر «غوغل كلاس روم». التزم بالتعليم ليومين أسبوعياً، وفي بقية الأيام ألزم منزلي. أحرص على التمارين بشكل دائم وأسعى لإنجاز مجموعة أفكار لم يتسنّ لها الوقت سابقاً. لن يكون للإنسان في مثل هذه الأوضاع حياة طبيعية بل العكس. أعلن مترو المدينة عن تقديمه لنشاطات مسائية، ولم أشعر بأية رغبة في أن أكون على المسرح مطلقاً. لكني أكتب بعض الموسيقى، أوزع مقطوعة قديمة وأزيد من التمارين حفاظاً على عطائي كعازف. أتاح لي هذا الزمن العاصف تسجيل أغنية مع أميمة الخليل وتصويرها في منزلي. عزفت البيانو وغنّت أميمة مباشرة مع التصوير. الأغنية من كلماتي والحاني، فيها فتاة تخاطب حبيبها «مش راح تتغير بالصيف حالتنا ولا بالشتي.. يمكن راح ننظر للصيف ومن بعدها منتظر شتي.. اوعا تفكرني شي ضيف بشي صيف وفالل بالشتي.. انت عارف مني ضيف.. وعارف إني بالشتي...» وتتألف من مقاطع أربعة، تجمع بين اليأس والأمل. بعيداً عن المهنة تترك الحرب قلقاً، وكل سنة تزداد التعقيدات عن التي سبقتها. قد لا نخاف في عمرنا هذا، لكننا قلقون على مستقبل أبنائنا سواء كانوا من صلبنا أو من طلابنا. في ظل هذه الحرب تتزاحم الأسئلة عن نوع الوطن الذي سيكون لأبنائنا مستقبلاً. فمن تفتح وعيهم بعد سنة 2000 لم يشعروا بالاستقرار حتى الآن. فما هو مصيرهم في ظل عالم مُلتهب في كل أصقاعه؟ نحن في حرب وضعت مستقبل البشرية جمعاء على المحك، القلق كبير وعام، ردها كبيراً من الوقت والطاقة الإنسانية تستهلكه الأخبار والتعليقات والتعصيب، بدل أن أعيش كموسيقي ضمن عملي وحرفتي. تواصل هذا الحال يؤدي للدمار الداخلي، مرحلة صعبة على الجميع، وكل منا مُطالب بتركيز جهده لمتابعة الحياة.

رحلة عبير صنصور على بساط النغم من بيت لحم إلى الأوبرا المصرية

كمال القاضي

استغرقت الرحلة الفنية للمُطربة الفلسطينية عبير صنصور نحو عشرين عاماً تقريباً، قضتها داخل القاهرة حيث تم اكتشافها كصوت طربي مُتميز للغاية يُغني للوطن والأرض، ويشدو بأجمل ما في التراث الفلسطيني من حكايات وملاحم وبطولات، تم تضمينها في الأغاني القديمة وأشعار محمود درويش وحكايات الجدات التي طالما رددها النشء الجديد جيلاً بعد جيل لتظل التفاصيل محفورة في الذاكرة لا تمحوها سنوات الكدر والضجر والحصار المُمتد عبر سنوات.

تحفل مسيرة الفنانة الكبيرة بالعديد من الإنجازات التي يُمكن اعتبارها طفرة فنية كبرى في المجال الموسيقي والغنائي النوعي الفارق، فبخلاف التراث الفلسطيني القديم شدت عبير في حفلات دار الأوبرا المصرية التي درست فيها علم الأصوات وقواعد الموسيقى العربية فاكتسبت المزيد من الخبرات وتمرست على الغناء أمام الجمهور في أعرق المسارح وأكثرها قيمة من الناحية المعمارية والحضارية.

وعلى أثر نجاحها تكونت لديها قاعدة شعبية عرفت قدر موهبتها واحترمت أدائها المُغاير صوتاً ومضموناً.

فقد حرصت المطربة أشد الحرص على العناية بالكلمة واللحن والأداء الرصين المؤثر، فصارت تشابه في نمطها الغنائي القمم العربية، فيروز وأم كلثوم وماجدة الرومي وكوسيقي ضمن عملي وحرفتي. تواصل هذا الحال يؤدي للدمار الداخلي، مرحلة صعبة على الجميع، وكل منا مُطالب بتركيز جهده لمتابعة الحياة.

عبير صنصور من جانب جمعية السلام الأفريقية لتكون سفيرة للفن الفلسطيني الراقي لعام 2026 بوصفها صاحبة موهبة فطرية مُصقلة بالدراسة الأكاديمية ومُعززة بالثقافة والمعرفة، قد أضاف إليها الكثير وشجعها على القيام بدورها التنويري والإنساني لخدمة ذوي الهمم الاستثنائية من الأطفال خاصة بعد تفوقها في دراسة علوم التربية الخاصة وبروز إسهاماتها في مجال الرعاية والاحتواء.

طافت صنصور العديد من العواصم العربية والأوروبية، وحصلت على شهادات تقدير وميداليات من أهم المهرجانات الفنية والغنائية، وذاع صيتها حول العالم العربي بفضل أغانيها «يا شمس»، و«جاي الأمل»، و«إليك يا وطني»، و«لم يرحلوا»، و«يا طالعين»، وغيرها من كنوز التراث الفلسطيني القديم.

تعلمت عبير صنصور العزف على العود وأتقنته اتقاناً تاماً ولها تجارب لحنية مهمة في إطار اهتمامها بالأغنية الفلسطينية وحرصها على المعاصرة الموسيقية بطابعها الحديث والجديد، ولها مع الموزع جون حنضل نماذج إبداعية وموسيقية قيمة.

وبرغم تمسكها بالشكل الكلاسيكي للأغنية الفلسطينية، إلا أنها تواكب دائماً موجات الحداثه وتُراعي التنوع في إنتاجها الغنائي تلبية لأذواق الشباب من الجيل الجديد بدون الانسلاخ من التراث والابتعاد عن الأصالة التي تُمثل العمود الفقري في قوام الأغنية الفلسطينية بتاريخها الحافل وروادها ونجومها الكبار أمثال المطرب اللبناني والمُلحن الشهير مارسيل خليفة، وريم بنا ومحمد عساف وأبو عرب ونويل خرمان ورشا نحاس، والأخوين شحادة وفرقة العاشقين ومصطفى الكُرد والمُغنية الصاعدة إيليانا.

كل هؤلاء كانت لهم وما زالت إسهامات قوية عززت فكرة ارتباط الأغنية الفلسطينية بـالأرض والوطن والكفاح والمقاومة واستشراف النصر، وبفضلهم انتقلت الأغنية الفلسطينية أيضاً من محيطها المحلي إلى جميع المحيطات العربية والآفاق الدولية والعالمية لتكون جسراً تعبر عليه الثقافات لتصل إلى أبعد نقطة فوق الكرة الأرضية فيعرف سُكان الكوكب ما هي فلسطين ومن يكون سُكانها وأبطالها وفنّانيها ومُبدعيها.. إنهم أولئك الصامدون المنتصرون.. الواقفون في بؤرة الضوء، تصدح أصواتهم تحت الشمس.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام ١٩٨٩
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE. LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 1000 جنيه استرليني في عموم بريطانيا و1200 دولار أمريكي للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE. LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 37 - Issue 12028 Sunday 05 April 2026
السنة السابعة والثلاثون العدد 12028 الأحد 05 نيسان (أبريل) 2026 – 17 شوال 1447 هـ

عمرها 193 عاماً... أقدم سلحفاة في العالم لم تمت بل كانت ضحية عملية احتيال

لندن ـ «القدس العربي»: آدم جابر

تم الإعلان، هذا الأسبوع، عن وفاة السلحفاة جوناثان، عبر منشور على منصة X من حساب يحمل اسم طبيبه البيطري. لكن الحقيقة أن هذه السلحفاة، التي يُقدّر عمرها بنحو 193 عامًا، ما تزال على قيد الحياة.

كان ذلك مجرد إنذار كاذب بشأن جوناثان، الذي يُعتبر أقدم حيوان بري حي معروف بحسب موسوعة غينيس للأرقام القياسية. وعلى عكس ما ورد في المنشور المتداول، لم تمت السلحفاة. فقد أكد طبيبها البيطري، جو هولينز، لصحيفتي «الغارديان» و«يو إس إيه توداي» أن جوناثان ما يزال حيًا بالفعل.

بدأت شائعة وفاة هذه السلحفاة العملاقة، وهي من نوع سلاحف سيشل العملاقة، عبر منشور على منصة X من حساب ينتحل اسم «جو هولينز»، وجاء في المنشور: «بقلوب حزينة، أعلن وفاة عزيزنا جوناثان اليوم، أقدم حيوان بري حي في العالم، والذي رحل بسلام في جزيرة سانت هيلينا». وأضاف كاتب المنشور المزيّف: «كان شرفًا لي أن أعتني به لسنوات طويلة. ارقد بسلام يا صديقي العجوز، سنفتقدك كثيرًا».

وسرعان ما انتشرت هذه الأخبار وتناقلتها وسائل إعلام حول العالم. لكن الحقيقة أن السلحفاة لم تمت، وأن المنشور كان كاذبًا، إذ إن الطبيب الحقيقي لا يملك أي حساب على منصة X.

وأوضح جو هولينز: «أعتقد أن الشخص الذي ينتحل شخصيتي يحاول جمع تبرعات على شكل عملات رقمية. هذا ليس مزحة كذبة أبريل، بل عملية احتيال».

تجدر الإشارة إلى أن السلحفاة جوناثان وصلت إلى جزيرة سانت هيلينا عام 1882، وهي منطقة بريطانية في المحيط الأطلسي، وتشتهر أيضًا بأنها المكان الذي نُفي إليه الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت في منفاه الأخير. ويُعتقد أن عمر السلحفاة كان آنذاك لا يقل عن 50 عامًا، رغم أن تاريخ ميلادها الدقيق غير معروف. وقد احتفل سكان الجزيرة، التي تضم بضعة آلاف من السكان، رسميًا بعيد ميلادها الـ190 في شهر كانون الأول/ديسمبر عام 2021. وعلى الرغم من أن جوناثان أصبح أعمى وفاقدًا لحاسة الشم، إلا أن سمعه ما يزال جيدًا، وقد تم الاحتفال به من خلال تقديم خضرواته المفضلة وكعكة خاصة بهذه المناسبة.

ثور يردي مصارعا سابقا في إسبانيا

قضى مصارع سابق بعدما نطحه ثور أثناء التحضير لنزال تقليدي في عطلة نهاية أسبوع عيد الفصح في إسبانيا، بحسب ما أفاد المنظمون السبت.

وأوضحوا أن ريكاردو أورتيز (51 عاما) كان يعاون في إعداد الثيران في حلبة لا مالاغيتا ليل الجمعة عندما «نطحه أحد الثيران بقوة متسببا في وفاته».

ويتحدر أورتيز من عائلة مارست مصارعة الثيران على مدى أجيال، واعتزلها قبل أكثر من عقدين، لكنه ظل منخرطا في إدارة الثيران في الحلبة الرئيسية في ملقة التي تتسع لنحو تسعة آلاف متفرج.

وقع الحادث بينما كان أورتيز يساعد في التحضير لمصارعة مقررة مساء وتعرف باسم «كوريدا بيكاسيانا»، نسبة إلى الرسام الشهير بابلو بيكاسو.

وتستلهم الحلبة والديكورات وأزياء مصارعي الثيران في الحدث أعمال بيكاسو المولود في هذه المدينة، والذي كان شغوفا بمصارعة الثيران.

وتقام هذه المصارعة تقليديا يوم السبت الذي يسبق أحد الفصح.

وتحظى مصارعة الثيران بشعبية واسعة في إسبانيا، وغالبا ما تتزامن فعالياتها مع المهرجانات الدينية.

إلا أن أعدادها تشهد تراجعا في ظل انقسام بشأنها، إذ يعتبر جزء من المجتمع أنها فنّ عريق، بينما يراها آخرون ممارسة همجية.

وكان آخر مصارع محترف يلقى حتفه في الحلبة في إسبانيا هو فيكتور باريو الذي قضى في طرويل (شرق) عام 2016.

(أ ف ب)

خدمة إعارة تعليمية عبر البريد تدعم تأهيل السجناء في ألمانيا

يوفر نادي الفن والأدب للسجناء في ألمانيا خدمة إعارة تتيح للسجناء الحصول على كتب ووسائط تعليمية وثقافية عبر البريد، بهدف استثمار فترة السجن في التعلم وتعزيز فرص الاندماج بعد الإفراج.

وتشمل الخدمة سجناء المؤسسات العقابية، والمرضى في مؤسسات العلاج الإجباري على مستوى ألمانيا، حيث يمكنهم اختيار مواد متنوعة من قائمة واسعة تضم كتبا تعليمية وأدبية وأفلاما ومواد سمعية، بحسب بيانات رئيس نادي الفن والأدب للسجناء، بيرند نويميكه.

وتهدف المبادرة إلى دعم الاهتمام بالتعليم والتدريب، مع التأكيد على دور المعرفة في تقليل احتمالات العودة إلى الجريمة. وبلغ عدد المواد التي تم إعارتها منذ تأسيس النادي نحو 30 ألف مادة أرسلت إلى السجون والمستشفيات المتخصصة، بحسب نويميكه.

وتتنوع المواد بين كتب مدرسية في اللغات والرياضيات، وأعمال أدبية، ومراجع قانونية وطبية، إضافة إلى دورات لتعلم اللغات. كما تحظى موضوعات الرياضة وكمال الأجسام بإقبال ملحوظ، إلى جانب أعمال ترفيهية معروفة.

ويعتمد النادي في تمويله على التبرعات المالية والعينية، إلى جانب عائدات بيع الكتب المتبرع بها واشتراكات الأعضاء. وتشير إدارة النادي إلى تراجع نسبي في التبرعات، بسبب اشتراط حداثة المواد المقدمة.

ويستفيد من الخدمة سنويا نحو 120 شخصا في المتوسط، فيما بلغ إجمالي المستفيدين نحو 2800 شخص على مدار السنوات. وفي حال عدم توفر مواد مطلوبة ضمن القوائم، يتم السعي لتوفيرها حسب الإمكانات.

وتأتي هذه المبادرة في ظل محدودية الوصول إلى الإنترنت داخل السجون، وتفاوت مستوى تجهيز المكتبات الداخلية في السجون، ما يجعل هذه الخدمة في بعض الحالات الوسيلة الوحيدة للحصول على المعرفة، خاصة في الأجنحة المغلقة داخل السجون.

(د ب أ)